

مَوَاهِبُ الْحَرَمِ  
فِي  
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تأليف

سماعة آية الله العظمى

السيد العلامة أبي موسى

السيدي

دام ظلّه العالی

الجزء السابع

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتُلْتَهُمْ لَانْتَقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْنَفْ عَنْهُمْ وَانْتَغْفِرْ لَهُمْ وَتَأْوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)  
 إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَتَّخِذْ لَكُمْ  
 قَدَمًا ذَا التَّدْيِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ  
 قَلْبَتَهُمْ كَتَلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠)

خطاب إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) بين فيه عز وجل فضله العظيم وما من الله عليه من الصفات الكريمة ويذكره نعمة الله تعالى عليه وعلى المسلمين أن جعل قلبه رحيماً بهم وليناً معهم ، وقد مدح رسوله الكريم بالعمو وترك الفظاظة والحشونة مع المؤمنين وانهم كانوا مستحقين لاكثر من اللوم والعتاب بعدما صدر منهم ما اوجب الفشل والهزيمة وقد ضعفوا امام اغراء الغنمة ووهنوا عن الجهاد في سبيله تعالى وقد ارشدهم سبحانه وتعالى في الآيات المتقدمة إلى ما ينفعهم ويسعدهم في دنياهم وترك ما يوجب شقائهم في الدنيا والآخرة .  
 والآيات المباركة تشمل على أهم الحقايق والصفات التي لا بد لمن يتصدى امور المؤمنين من التحلي بها وهي العفو عنهم ، والمشاورة

معهم ، والتوكل على الله لان فيها اظهار العبودية فتكون حياتهم واتجاهاتهم حسب ما قرره سبحانه وتعالى .

وفيهما وعدمهم عزوجل بالنصر على الاعداء لانه لا يعطى النصر إلا لمن يستحق ولا يكتب الهزيمة والخذلان إلا على من خالف اوامره ونواهيته تعالى وإلا فليس له الا الخذلان والردى ، وامرهم بالتوكل عليه .

### التفسير

قوله تعالى : فيما رحمة من الله .

إلتفات من خطاب المؤمنين إلى خطاب الرسول الكريم ( صلى الله عليه وآله ) لان الخطاب يتضمن اللوم والعتاب لما صدر عنهم في أحد وقد استحقوا بسببه التوبيخ من النبي ( صلى الله عليه وآله ) والتعنيف فقد فعلوا ما أوجب الهزيمة وما يمس النبي ( صلى الله عليه وآله ) وبالاعتراض عليه فانهم قالوا ان النبي هو الذي اورد من قتل منهم إلى ذلك ولكن عظمة رحمة الله تعالى التي انزلها على رسوله الكريم شملت الجميع فخاطب رسوله الكريم لانه ارسله رحمة للعالمين كما قال عز شأنه « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » الانبياء - ١٠٧ .

ومما ذكرنا يظهر ان الفاء في قوله تعالى : « فيما رحمة » هو لترتيب مضمون الكلام على ما سبق ، والمعروف ان « ما » زائدة جاءت مؤكدة للكلام ، وادعي الاجماع عليه . ولكنه موهون لانه ليس في القرآن الكريم حرف زائد مضافاً إلى ذهاب جمع إلى الخلاف في المقام وسيأتي في البحث الادبي ما يتعلق بذلك .

قوله تعالى : لنت لهم .

مادة ( لَسِنَ ) تدل على ضد الخشونة والصلابة وفي حديث  
اوصاف المؤمنين ه يتلون كتاب الله ليناً ، اي سهلاً على السنتهم  
لكثرة تلاوتهم له .

والمعنى : مع كون المؤمنين على ما وصفناهم فبرحة من الله تعالى  
عليك حيث جعلك متصفاً بمكارم الاخلاق لان جانبك ورؤفت بالمؤمنين  
وصرت تحتملهم وتعطف عليهم وتعفو عنهم وتشاورهم في الامر مع  
ما هم عليه من اختلاف الآراء والاحوال وما صدر عنهم مما اوجب  
اللوم والعتاب والتعنيف وعدم رضاء الله تعالى عنهم وبسبب هذه الرحمة  
العظيمة التي من بها عزوجل عليهم وبواسطة الفيض دخلوا تحت لوائه  
واهتدوا بهداه واقم عمود الدين وانتظمت شؤون الاسلام وانقضت  
شوكة الكفر والظفیان .

قوله تعالى : ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا

من حولك .

الفظاظة : هي الخشونة والشراسة في الاخلاق . وغليظ القلب :  
اي قسى القلب والثاني سبب للاول فان غلظة القلب وقساوته سبب  
للفظاظة ، وقدمها لظهورها في بادىء الامر .

وانما أكد عليها عزوجل لانه يتبعها كل صفة ذميمة ، والانفضاض  
التفرق قال تعالى : ، وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك  
قائماً ، الجمعة - ١١ وتستعمل في موارد التفرق الموجب للسقوط في  
الهاوية والردى .



والآية المباركة ترشد إلى أهم ما يجب على الزعيم الروحي ان يتحلى به وهو نبذ كل ما يوجب نفرة الناس منه قولاً أو فعلاً فإنه مهما كثرت فضائله وعمت نوائله وفواضله لكنهم يتفرقون عنه ويتركونه وشأنه إذا رأوا منه ما يوجب تنفيرهم عنه فلا ينتظم أمره ولا يستقيم شأنه وتقوته الغاية التي بعث الانبياء لأجلها وهي الهداية والارشاد والدعوة إلى الطاعة والعبودية .

وهكذا يقرر الاسلام صفات القائد الإلهي كالرسول العظيم الذي هو متصف بمكارم الاخلاق وبالمؤمنين رؤوف خديم مهتم بارشادهم وحريص على هدايتهم .

قوله تعالى : فاعف عنهم واستغفر لهم .  
بيان لسيرته ( صلى الله عليه وآله ) مع المؤمنين وتقريره تعالى لها وقد أمره عز وجل بعدم الترتيب على افعالهم اثر المعصية إذا خالفوه في امر الجهاد والقتال وما يرجع إلى نفسه المقدسة ويطلب لهم من الله تعالى المغفرة في ذلك .

قوله تعالى : وشاورهم في الامر .  
المشاورة المناظرة والمراجعة في أخذ الرأي واستخلافه من الغير قيل انه مأخوذ من شرت العسل إذا اجتباه واستخرجه من موضعه والاسم الشورى والمشورة بسكون الشين وفتح الواو .

والمراد بالامر هو ما يهتم بشأنه كالحرب وما يتعلق بها ، كما هو المنساق من الآيات الشريفة ولا تشمل الآية المباركة امور الدين وما يتعلق به أو ما انزل فيه الوحي من امور الدنيا .

يعني : وشاورهم في ما يعرض عليك من الامور في ما يهتم بشأنه

لمصالح كثيرة منها استصلاحهم وتطبيعاً لهم في الدخول في مكارم الاسلام والتخلق بفضائل الاخلاق واستمالة لقلوبهم وتعلبماً لامته بعدم تركها في امورهم . وإلا فانه ( صلى الله عليه وآله ) لم يكن بحاجة اليهم ولم تفده المشاورة-علماً أو سداداً أو صلاحاً- كيف وهو المسدد من قبل الله تعالى وقد قال عزوجل في شأنه « وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى » والنجم - ٤ وعن الحسن بن علي (عليه السلام) « قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده » وعن ابن عباس عنه ( صلى الله عليه وآله ) : « اما ان الله ورسوله اغتيايان عنها - اي المشاورة - ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتي فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ومن تركها لم يعدم غياً » .

والآية الشريفة تدل على امضاء سيرته عزوجل مع المؤمنين كالآية السابقة في المشاورة معهم ، والله تعالى راض عنه ، وقد استشار مع اصحابه في عدة مواطن منها غزوة بدر الكبرى حين ما نزل عند ادني ماء بدر فاشاروا عليه ان ينزل ادني ماء من القوم . وكاستشارته في غزوة أحد عندما كان رأيه ان يبقى في المدينة ويحارب فيها وقد اشاروا عليه الخروج عنها إلى أحد .

وكيف كان فللسورى فوائد جمة ومصالح كثيرة ، وقد وردت روايات كثيرة في مدحها ففي الحديث عنه ( صلى الله عليه وآله ) « ما تشاور قوم قط إلا هُتدوا لأرشد امرهم » وعن علي (عليه السلام) « لا تظهر كالمشاورة وما ندم من استشار » .

قوله تعالى : فاذا عزمتم فتوكل على الله .

إرشاد الهى بعدم الاتكال على المشاورة . والعزم : عقد القلب

والامضاء على اتيان الفعل بعد المشورة وعزم قلبه (صلى الله عليه وآله)  
انها يكون بنور الله تعالى وتسديده اه .

والتوكل على الله: هو تفويض الامر اليه عزوجل فانه الاعلم بمصالح  
العباد وهو يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد ، والمشورة والفكر وإحكام  
الرأي وامضائه لا تكفي في النجاح إلا بتوفيق من الله تعالى وتسديد  
منه ولا تؤثر الاسباب إلا به تعالى ، فان الموانع كثيرة لا يعلمها ولا  
يقدر احد ان يزيلها إلا الله عزوجل .

ومن ذلك يعرف ان التوكل انما يتم إذا استحكم الانسان امره  
واستكمل العدة وراعى الاسباب العادية الظاهرية ولكن لا يعول عليها  
ولا يتكل على حوله بل على حول الله وقدرته عزوجل فلا ينافي التوكل  
بمراعاة الاسباب العادية .

وللتوكل فوائد جمة ايضاً منها اظهار العجز والعبودية وغيرها كما  
يأتي في البحث الاخلاقي ان شاء الله تعالى .

وانما اتى عزوجل اسم الجلالة لبيان ان هسذه الذات المستجمعة  
لجميع الصفات الكمالية تستدعي التوكل عليه ولا ينبغي للانسان ان  
يتكل على نفسه وهو العاجز عن تدبيرها .

قوله تعالى : ان الله يحب المتوكلين .

المنقطعين اليه الواثقين به واذا أحب الله تعالى احداً كان ولياً  
وناصراً له ولم يخذله بحال ، ومحبة الله تعالى هي من اعظم الكمالات  
التي يسمى الانسان اليها وهي الخير بجميع معنى الكلمة

قوله تعالى : ان ينصركم الله فلا غالب لكم .

جملة مستأنفة ترغب المؤمنين الى طاعة من يستمد منه النصر وتخذّهم عن عصيان من يكون عصيانه سبباً للخذلان ، والخطاب فيها تشریفاً للمؤمنين يدعوهم الى التوكل ببيان وجه من وجوه الحكمة في وجوب التوكل على الله تعالى وهو ان الانسان اذا استعد للعمل وهيء مقدماته على قدر المستطاع وهو لا يعلم عواقب الامور فتوكل على من يعلمها ويدبرها على النحو الاحسن فلا محالة تحصل في نفسه ثقة واطمينان بتحقيقه ، وقد اقتضت حكمته محبة المتوكلين عليه ونصرتهم فاذا نصرهم فلا يغلب احد عليه .

وقوله تعالى « فلا غالب لكم » يبين نفي الجنس بنفي جميع افراد الغالب ذاتاً وصفة وهذا ابلغ من قول « لا يغالبكم احد » لانه يدل على نفي الصفة فقط .

قوله تعالى : وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده .

اي : وان اراد تعالى خذلانكم بسبب معاصيكم وعدم توكلكم عليه فلا احد يملك نصركم بعد خذلانه . والاستفهام إنكاري يفيد نفي التأخير ، والكلام في قوله تعالى « فمن ذا الذي ينصركم » على حد قوله تعالى « فلا غالب لكم » من نفي الجنس بنفي جميع افراد الناصرين ذاتاً وصفة . وانما لم يذكر سبحانه النفي صريحاً في هذه الآية المباركة كما ذكره في جواب الشرط الاول تلفظاً بالمؤمنين حيث لم يصرح سبحانه بانه لا ناصر لهم واكتفى بعدم الغلبة لهم وان كان هذا يفيد ذلك أيضاً .

قوله تعالى : وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

اي : ان ايمان المؤمنين يستدعي التوكل على الله تعالى فانه لا ناصر ولا معين لهم إلا هو عزوجل المستجمع لجميع صفات الكمال وهو الذي وعد المؤمنين بالنصر يوفقهم الى ذلك واليه يكون التجاؤم .

### بحوث المقام

بحث ادبي :

تقدم ان المعروف بين المفسرين ان « ما » في قوله تعالى : « فبها رحمة من الله » زائدة جاءت مؤكدة، وادعى الطبرسي والزجاج الاجماع عليه ، ولكنه موهون لذهاب جمع إلى الخلاف حيث ذهب جماعة إلى انها نكرة بمعنى ( شيء ) و « رحمة » بدل منها . وقال جمع آخر : ان « ما » لتفخيم قدر الرحمة التي لان بها لهم ويرجع هذا إلى قول من قال بأن ( ما ) استفهامية للتعجب والتقدير . والتنوين في رحمة للتفخيم يضاف إلى ذلك انه لم يرد شيء في القرآن الكريم إلا للمعنى مفيد ولم يكن حرف من حروف القرآن زائدة .

والفاء في قوله تعالى : « فليتوكل المؤمنون » لبيان ترتيب ما بعدها على ما تقدم من غلبة المؤمنين على تقدير نصر الله لهم أو مغلوبيتهم وخذلانه إياهم والعلم بذلك يستدعي قصر التوكل عليه عزوجل . وقد اشتملت الآية الشريفة « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم

في الامر ، على اسلوب لطيف وترتيب حسن يقبله الذوق السليم والطبع المستقيم فقد امر عزوجل بالعتو عن الحقوق التي ترجع إلى نفسه ( صلى الله عليه وآله ) ثم طلب الاستغفار من الله تعالى لهم فيما يتعلق بحقوقه عزوجل ، فاذا زال المانع عنهم واستعدوا للمشاورة امر عزوجل بالمشورة معهم ، ثم امر باظهار العبودية لله تعالى وعدم الاعتماد على غيره عزوجل بالتوكل عليه تعالى والانقطاع اليه فانه لا ملجأ إلا اليه ولا منجا إلا به .

## بحث دلالي

يستفاد من الآيات الشريفة امور :

- الاول : يستفاد من قوله تعالى : « فيما رحمة من الله لنت لهم - إلى اخر الآية الشريفة - » ان النبوات السماوية تتقوم بامرین :
- الاول : المظهرية التامة لاخلاق الله تعالى والمرآتية الكاملة للوحي المبين .
- الثاني : اجتماع جميع الجهات الانسانية في النبي من دون نقص فيها وبالأول يستفيض من الله تعالى ، وبالثاني يخالط الناس ويعاشرهم فيفيدهم ، وتدل على ما قلناه الادلة العقلية والنقلية قال تعالى : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » الانعام - ٩
- وقال تعالى : « قل انما انا بشر مثلکم يوحى إليّ » الكهف - ١١٠
- وقال تعالى حكاية عن الكافرين : « مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » الفرقان - ٧ وهذا الامر لا يختص بنبي دون آخر فهو جار في جميع الانبياء والمرسلين بل يجري بالنسبة الى اولياء

الله الداعين اليه المستمدين علومهم من قوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » البقره - ٢٨٢ واما سيد الانبياء وخاتمهم فقامه الجمع الجمعي من أجل المقامات واعلاها فهي كل آن له سفران سفر من الخلق إلى الحق المطلق لأن يأخذ منه الكمال المعنوية التي بها يرتب العباد تربية حقيقية كاملة ، وسفر من الحق إلى الخلق لتربية النفوس المستعدة ، واسفاره الجسائية وان كانت محدودة ولكن اسفاره الروحانية لا تعد ولا تحصى كيف وهو ( صلى الله عليه وآله ) يقول : « أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ربي » بل قول خليل الله : « الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقيني واذا مرضت فهو يشفين » الشعراء - ٨٠ يدل على ان لهم صلوات الله عليهم عالماً خاصاً غير ما نحن فيه وان كانوا يشتركون معنا في كثير من الامور .

والآيات الشريفة التي تقدم تفسيرها تدل على ما ذكرناه فهو ( صلى الله عليه وآله ) مظهر الرحمة الالهية واخلاق الله تعالى ؛ كما انه بشر كسائر البشر وقد أمر بأن يخالط الناس ويتشاور معهم .

الثاني : الآيات الشريفة تدل على ان الرحمة واللين مع الخلق والتودد معهم والرحمة لهم من أجل صفات الله تعالى فأفاضها على نبيه ( صلى الله عليه وآله ) فصارت من سيرته ( صلى الله عليه وآله ) كما ان العفو عنهم ، والاستغفار لهم ، والمشاورة معهم كانت كذلك والله سبحانه وتعالى راض عن فعله .

الثالث : يتضمن قوله تعالى : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر - الآية - » على شروط التوكل على الله تعالى وهي المخالطة مع الناس باحسن وجه ونهية الاسباب والمقدمات والمشاورة معهم وتبيين الوجه الصحيح

وعزم النية وعقد القلب ثم التوكل عليه عزوجل في اصلاح الامور  
وانجاحها وسيأتي في البحث الاخلاقي تفصيل ذلك

الرابع : يدل قوله تعالى : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم »  
على ان الاثر المهم المترتب على التوكل على الله هو النصر على الاعداء  
والظفر بالمراد ، ولا يمكن ان يدفع ذلك احد مهما كانت مرتبته أو  
عظمت سلطته ، لانه يدخل في سلطان الله تعالى وهو القوي الذي  
لا يغلب .

الخامس : يستفاد من قوله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون »  
ان شأن المؤمن ان يتوكل على الله ولا ينبغي له التخلي عنه بعد أن  
آمن به عزوجل وعلم بانه مسبب الاسباب وان الامور تحت ارادته  
ومشيئته ولا ناصر له غيره عزوجل فلا محيص من التوكل عليه ولذا  
كان التوكل من شأن جميع الانبياء والمرسلين واولياء الله الصالحين .

السادس : يدل قوله تعالى : « فما رحمة من الله لنت لهم » على  
ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) مثال الانسانية الكاملة والمرآة  
الكبرى لله جل جلاله وقد خلق من رحمته عزوجل كما ارسله رحمة  
للعالمين فصار ليناً لهم كما هو شأنه عزوجل فقد سبقت رحمته غضبه  
وعلى هذا يكون قوله تعالى : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا  
من حولك » قضية فرضية امتناعية كما هو شأن غالب استعمالات كلمة  
« لو » فان صدقها انا يكون بصدق لزوم ترتب الجزاء على الشرط  
لا الوقوع الخارجي ، فتصدق هذه القضية مع الامتناع للشرط مهما  
كان ترتب الجزاء على الشرط لازماً ولو امتنع الشرط .

وكيف كان فهذا الخطاب البليغ مع ايجازه يبين اقصى مراتب  
الانسانية الكاملة .



## بحث روائي

في الخصال عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : « سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد ( عليها السلام ) عن قوله عز وجل : « وما توفيقي إلا بالله » وقوله عز وجل : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده » فقال ( ع ) : اذا فعل العبد ما أمره الله عز وجل به من الطاعة كان وفقاً لامر الله سمي العبد موفقاً ، واذا اراد العبد ان يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ومتى خلى بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يركبها فقد خذله ولم ينصره .  
اقول : مثل هذا الحديث يبين حقيقة الايمان وكيفية إنسلاخ العبد عنه وبيان مراتب التوفيق له ، فيكون كل ذلك بمنشأية نفسه والامدادات الغيبية ، فالخذلان من نفس العبد اذا تجرأ على المعاصي ، كما ان الوصول الى المراتب يكون من نفسه أيضاً .

وفي تفسير العياشي عن علي بن مهزيار : « كتب إلي ابو جعفر الجواد ( عليه السلام ) ان اسأل فلاناً يشير علي ويتخير لنفسه فهو يعلم ما يجوز في بالده وكيف يعامل السلاطين فان المشورة مباركة قال الله تعالى لنبيه في محكم كتابه « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » فان كان ما يقول مما يجوز كنت اصوب رأيه ، وان كان غير ذلك رجوت ان اضعه على الطريق الواضح ان شاء الله . « وشاورهم في الامر »

قال ( ع ) : يعني الاستخارة .  
اقول الاستخارة من المؤمن من احدى مراتب التوكل لفرض ان  
المستخير بكل امره إلى الله تعالى والمراد من قوله ( عليه السلام )  
« ويتخير لنفسه » اي : اختيار . مورد المشورة لنفسه وبيانه لغيره .

### بحث اخلاقي

التوكل: فضيلة من الفضائل السامية وخلق كريم من مكارم الاخلاق  
وخصلة حميدة ، ومنزل شريف من منازل الايمان ومقام رفيع من  
مقامات الموقنين بل افضل مقامات الانسانية الكاملة ، به يظهر المؤمن صدق  
ايمانه وثبات اعتقاده ويجتمع فيه كثير من الفضائل والحاصل الحميدة  
فهو قرين الصدق والعز والاستعانة بالله العظيم وغيرها وبه ينتظم العلم  
والحال والعمل . وكفى به فضلاً ومنقبة ان الله تعالى يحب المتوكلين  
وهو من اخلاق الانبياء العظام ، ولما كانت السامية فقد امر به عز وجل  
نبيه الكريم ( صلى الله عليه وآله ) بالتحلي به في عدة مواطن من  
كتابه الكريم ، وقد ورد في فضل التوكل ومدحه والترغيب اليه من  
الكتاب الكريم والسنة الشريفة الشيء الكثير ونحن نذكر في هذا البحث  
ما ورد في التوكل من الفضل ، ومعنى التوكل ، وحقيقته ، وشروطه ، وآثاره ،

### فضل للتوكل :

قد ورد في مدح التوكل وفضله والترغيب اليه والحث على التحلي

به في الكتاب الكريم والسنة الشريفة ما يبهر منه العقول .

### التوكل في الكتاب الكريم :

وردت مادة (وكل) في القرآن المجيد على ما يناهز السبعين موضعاً وغالب استعمالها تدل على مدحه والترغيب اليه قال تعالى : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ الطلاق - ٣ ، وقال تعالى : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَانُصِرْ بِهِ وَتُسَلِّمْ لَهُ الْأَنْفَال - ٥٠ وقال تعالى : « فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ آل عمران - ١٥٩ . وقد ورد قوله تعالى : « وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون » آل عمران - ١٦٠ في عدة مواضع وكذا قوله تعالى : « وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المتوكلون » ابراهيم - ١٢ وقال تعالى : « وَعَلَى اللَّهِ فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » المائدة - ٢٣ ويستفاد منه ان الايمان منوط بالتوكل وقال تعالى : « فَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَاعُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » الشورى - ٣٦ وهذه الآية المباركة تبين حقيقة التوكل على ما ستعرف .

ويستفاد من الآيات الواردة في شأن الانبياء ان التوكل كان من سيرتهم وأنه فضيلة مشتركة بينهم قال تعالى حكاية عن ابراهيم (ع) والذي معه « ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير » الممتحنة - ٤ وقال تعالى حكاية عن يعقوب (عليه السلام) : « وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء إن الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون »

يوسف - ٦٧ وقال تعالى حكاية عن موسى ( عليه السلام ) : « وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » يونس - ٨٥ وقال تعالى حكاية عن شعيب : « وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » الاعراف - ٨٩ وقال تعالى حكاية عن هود ( عليه السلام ) : « اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم » هود - ٥٦ وقال تعالى حكاية عن صالح ( عليه السلام ) : « ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب » هود - ٨٨ وقال تعالى حكاية عن نوح ( عليه السلام ) « اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت » يونس - ٧١ . وقد تحدث سبحانه وتعالى عن جمع من الرسل ( عليهم السلام ) وحكى عن شأنهم وذكر ان التوكل من عمدة صفاتهم ومن سيرتهم وهو والصبر قرينان لذيهم قال تعالى : « قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » ابراهيم - ١٢ .

ويكفى في فضله ان الله تعالى قد امر به نبيه الكريم ( صلى الله عليه وآله ) في مواضع كثيرة من كتابه الكريم قال تعالى : « فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً » النساء - ٨١ وقال تعالى : « فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » التوبة - ١٢٩ وقال تعالى : « فاذا عزمتم فتوكل

على الله ان الله يحب المتوكلين ، آل عمران - ١٥٩ . والمستفاد من جميع ذلك ان التوكل فضيلة سامية وانه من اعلى مقامات التوحيد وهو يدل على كمال ايمان المؤمنين ولذا كان من صفات الانبياء الكرام والمؤمنين المخلصين بل هو توحيد عملي يكشف عن درجة الايمان وشدة اعتمادهم على الله عزوجل قال تعالى : « انا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » الانفال - ٢ . ويستفاد منه ان التوكل اجلى برهان واحكم علامة على ثبات عقيدة المؤمن ورسوخ التوحيد في قلبه لانه لا يرى لغيره عزوجل سلطة وشأناً فهو خاضع له يطلب منه وحده تهينة الاسباب وتدبيرها قال تعالى في الشيطان : « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » النحل - ٩٠ وسيأتي مزيد بيان .

### التوكل في السنة الشريفة :

وردت احاديث كثيرة عن نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) والائمة الهداة (عليهم السلام) تدل على فضل التوكل على الله وجميعها - سواء القولية والفعلية - تحكي سيرتهم التي تدل على شدة اعتمادهم على الله تعالى وتفويضهم الامر اليه وتحريض الناس عليه ففي الحديث عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) انه قال : « مَنْ انقطع إلى الله عزوجل كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها ، » . وقال ( صلى الله عليه وآله ) : « لو انكم تتوكلون على الله حتى

توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بظاناً .  
وقال ( صلى الله عليه وآله ) : « مَنْ سره ان يكون اغنى الناس  
فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده » .

وروي عن الصادق ( عليه السلام ) : « اوحى الله تعالى إلى داود  
ما اعتصم عبد من عبادي بي من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده  
السموات والارض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن وما  
اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلق عرفت ذلك من نيته إلا قطعت  
اسباب السموات والارض من يديه واسخت الارض من تحتها ولم أبال  
بأي واد هلك » .

وعنه ( عليه السلام ) : « ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع  
التوكل أو طنا » .

وعن الكاظم ( عليه السلام ) في قوله تعالى : « ومن يتوكل  
على الله فهو حسبه » قال : « التوكل على الله على درجات منها ان  
توكل على الله في امورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم انه  
لا يألوك خيراً وفضلاً وتعلم ان الحكم في ذلك له فتوكل على الله  
بتفويض ذلك اليه وثق به وفي غيرها » .

وقال الصادق ( عليه السلام ) : « مَنْ اعطي ثلاثاً لا يمنع ثلاثاً  
من اعطي الدعاء اعطي الاجابة ، ومن اعطي الشكر اعطي الزيادة  
ومن اعطي التوكل اعطي الكفاية ثم قال : أتلوت كتاب الله عزوجل  
« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، وقال : « ولئن شكرتم  
لازيدنكم » ، وقال تعالى : « ادعوني استجب لكم » . إلى غير ذلك  
من الاحاديث الكثيرة الدالة على فضل التوكل ومدحه والترغيب اليه  
وانه خلق كريم يجب على المؤمن التحلي به وبدل عليه العقل ايضاً .

## معنى التوكل :

التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل فلان الأمر إلى غيره أي فوضه إليه واكتفى به لاعتماده عليه انه ينجزه ووثق به ويسمى المفوض إليه متكلًا ومتوكلاً عليه ، واما الوكيل فانه فعيل يأتي بمعنى المفعول - وهو الذي يوكل الامر اليه أو موكول اليه الامر. ويأتي بمعنى الفاعل فيكون بمعنى الحافظ والناصر والرقيب والمطلع لانه الذي يرعى الامور ويحفظها ويتعهد بها وينصر من يركن اليه ومنه قوله تعالى : « وقالوا حسبنا الله ونعيم الوكيل » آل عمران - ١٧٣ لانه هو الذي يتعهد الامور النبي وكلت اليه من عباده وناصره وحافظه والاسم التكلان ( بضم التاء ) .

واذا رجعنا إلى اللغة نرى ان التوكل تارة يطلق ويراد منه التولي للغير ، يقال توكلت لفلان إذا صرت وكيلاً عنه وتوليت له ، ومنه الوكالة ( بفتح الواو ) أو ( بالكسر على لغة ) وهي الوكالة المعروفة في الفقه .

ويطلق اخرى ويراد به الاعتماد على الغير والثوق به . والتوكل على الله تعالى هو تفويض الامر اليه عزوجل والاكتفاء به ويشبه التوكل التفويض من هذه الجهة فهما يشتركان في تسليم الامر اليه عزوجل قال تعالى حكاية عن شعيب : « فستذكرون ما أقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد » غافر - ٤ : أي اسلم الأمور اليه عزوجل فهو الذي يكفيكمها ، وفي الحديث ان النبي ( صلى الله عليه وآله ) كان يدعو فيقول : « اللهم اني اسلمت نفسي وفوضت امري إليك » .

لكن التوكل يزيد على التفويض في انه يتضمن طلب النصرة منه والوثوق بأنه ينجزها ويحفظ من يكل اليه أمره والرضاء بفعل الله عزوجل بعد الاعتراف بالعجز ولقصوره امام عظمته وكبريائه .

### حقيقة التوكل :

التوكل على الله تعالى هو الاعتماد عليه عزوجل قلباً واطمينان النفس به والوثوق بأنه لم يهمله بعد الاعتراف بعجز الانسان امام قدرته وعامه وإخاطته وقيموميته ، والاعتقاد بأنه تعالى هو الفاعل لا غيره وان لا رب غيره فيعلم علماً قطعياً بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله . يضع الاشياء في مواضعها بحكمته وهو القادر على كل شيء في السموات والارض .

ومن ذلك يظهر السر في ذكره عزوجل العزة والحكمة في قوله تعالى « ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم » لان الاعتقاد بأنه حكيم يضع الاشياء في مواضعها وعزير قادر لا يمتنع عليه شيء إذا اراد فلا محالة يدعن المؤمن بأنه تعالى ناصره ومعينه وهو حسبه وكافيه ويحصل له الاعتقاد بأن كل ما يسوقه اليه ربه هو طيب وكريم وحسن وخير ويعتمد عليه في جميع اموره وتحصل الثقة بالله العظيم فيتوكل عليه عزوجل .

فالتوكل لنا هو ارتباط عالم الشهادة المتناهية من كل جهة بعالم الغيب غير المتناهي كذلك ولذا نرى انه والتوحيد قرينان لا يتحقق أحدهما من دون الآخر فمن لا توحيد له لا توكل له ومن لا توكل له لا ايمان له ويدل عليه قوله تعالى : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين »



بل يمكن ان يقال بأن التوكل طريق لمعرفة ايمان المؤمن بل هو محقق له لانه لا يرى لغير الله تعالى اثراً فالجميع مسخر تحت ارادته وانما جعل لها نظاماً معيناً أقام امور العالم به فتجربى وفق قانون الاسباب والمسببات خاضعة له لا تتخلف عنه ، إلا انها عاجزة عن اي نفع وضرر لانها لا تفعل شيئاً الا بارادته ومشيته عزوجل والمؤمن يذعن بهذا النظام الذي أقام الله تعالى هذا العالم به ويطلب كل شيء عن طريق سببه ويعمل ويكافح على ايجاد الاسباب الظاهرية المنوطة بها المسببات ويطلبها وفق ما امره الله تعالى طلباً تكوينياً أو تشريعياً ولكنه يعترف بالمعجز امام قدرة الله تعالى ويذعن بالجهل امام المقادير التي قدرها عزوجل ويعلم بأن الاسباب الظاهرية التي عمل الاجلها شيء والمقادير والقضاء والقدر والاسباب الخفية التي يجهلها شيء آخر وجميعها خاضعة له عزوجل مسخرة امام ارادته ومشيته وهو عاجز عنها فيوكل امره اليه معتقداً بانه حسبه وناصره ومعينه .

ومن جميع ذلك يعلم بأن التوكل لا ينافي الاسباب الظاهرية بل الاعتقاد بها والعمل عليها من جملة اساسيات فضيلة التوكل ويدل على ذلك قوله تعالى : « فما أو تيمم من شيء فتناح الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعملوا ربهم يتوكلون » الشورى - ٣٦ .

ويستفاد من هذه الآية الشريفة امران : الاول ان الانسان لا يمكن له التغاضي عن متاع الحياة الدنيا الذي هو من نعم الله تعالى عليه فهو الذي يقضى به مآربه ويحقق مقاصده ويعيش عليه في هذه الحياة الدنيا . وأما ما عند الله فهو خير من هذا المتاع القليل في الكمية والكيفية وانما جعل الله هذه الدنيا وسيلة لنيل ما هو اعظم منها ولا يمكن تحصيل هذا المتاع الا باسباب خاصة معروفة يجري عليها نظام هذا العالم فالتوكل

على الله تعالى والاعتماد على الاسباب الظاهرية قرينان بل هي من طرق  
تحصيل التوكل عليه عزوجل كما عرفت وبدل عليه قوله ( صلى الله  
عليه وآله ) : « اعقلها ثم توكل » .

الثاني : ان التوكل من شروط الايمان الصحيح بل هو من اعلى  
مقامات التوحيد فانه التوحيد العملي الذي اعنى به الله تعالى في كتابه  
الكريم واهتم به الانبياء والمرسلون فهو يبين الجانب العملي في الايمان  
لان التوكل وظيفة من وظائف القلب فان به تطمئن النفس ويسكن القلب  
وبه يدخل المؤمن تحت الآية المباركة « يا ايها النفس المطمئنة ارجعي  
إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » الفجر - ٣٠ .  
وبالجملة : لما كان هذا العالم متقوماً بالاسباب والمسببات الطولية  
والعرضية ولا بد من انتهاء تلك إلى سبب غيبي وربوبية عظمى لا يعقل  
فوقها ربوبية وقيومية كبرى ليس ورائها قيم اصلاً ، فيكون الجميع  
مسخرأ تحت ارادته ومشيته التامة ، فلا الماديات تعوق مشيته ولا  
التكثرات تمتنع قهاريته ، ولا ريب في تحقق ما ذكر في هذا النظام  
الاحسن واثار عظمته وابداعه ووجدانيته ظاهرة في كل شيء ،  
والتوحيد عبارة عن الاعتقاد بهذه الحقيقة ، والتوكل هو الاعتماد  
على مدبر هذا العالم وخالقه وصانعه ، فان طابق الاعتقاد مع الواقع  
على ما هو عليه تتجلى حقيقة التوكل وإلا فلا توكل .

ومن ذلك يظهر السر في ما ورد عن الائمة ( عليهم السلام ) :  
« ان قول القائل لولا ان فلانا هلكت شرك قيل له ( عليه السلام )  
فكيف نقول ؟ قال ( عليه السلام ) نقول لولا ان من الله عليّ  
بفلان هلكت » كما يظهر السر في قوله تعالى : « وما يؤمن اكثرهم  
بالله الا وهم مشركون » يوسف - ١٠٦ فالتوكل الحقيقي هو الاعتقاد

باستناد الكل اليه عزوجل وانبعث الجميع منه تعالى ، ويستلزم ذلك الاعتقاد بتسبب الاسباب والسعي في تحصيلها ، فان التوكل بدون ذلك لا ثمرة فيه بل هو لغو وباطل ، فترجع حقيقة التوكل إلى ارجاع الامور - لا يتعلق بها عقولنا من تحصيل المتعضيات - إلى الله تعالى لانه مسبب الاسباب ومسهل الامور الصعاب .

ومن ذلك كله يظهر ان التوكل عنوان التوحيد وهو داع اليه فهما متلازمان وبه ينتظم حال الانسان وعلمه وعمله . وبما ذكرناه يرتفع الغموض من حيث ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها بخلاف طريقة العقل والشرع ، والتوكل يرفع الغموض والعسر عن ذلك كله .

### شروط التوكل :

للتوكل على الله تعالى شروط لا يتحقق إلا بها تظهر من التمعن في ما ذكرناه في حقيقة التوكل وهي :

الاول : الاعتقاد بالله تعالى وانه الرب القيوم المدبر لجميع ما سواه وانه العزيز لا يمنع شيء ، الحكيم الذي يضع الاشياء في مواضعها وفق ارادة وعلم بجميع الخصوصيات .

الثاني : الاعتقاد بانه لا فاعل في هذا العالم إلا الله تعالى وان ما سواه مربوب له ومقهور تحت قهاريته العظمى ، فهو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

الثالث : الاذعان بأن هذا العالم ينتظم بقانون خاص لا يمكن التخلّف فيه ، وان الله تعالى هو الذي جعل هذا القانون وهو قانون

سورة آل عمران ١٥٩-١٦٠ ..... -٢٧-

الاسباب والمسببات ولا يمكن فيه التغيير والتبديل ولا التخطي عنه .  
الرابع : تحصيل الاسباب والمعدات والمقتضيات التي تقع تحت تصرف الانسان والسعي في تهيئتها واعدادها واما غيرها من الامور الخفية التي لا يعلمها إلا الله تعالى فلا بد من الرجوع فيها إليه تعالى والتضرع لديه في تحقيقها كما عرفت .

الخامس : حسن الظن بالله تعالى واستسلام القلب له عزوجل والخضوع لديه في رفع الموانع والعوائق في ترتب النتيجة على المقدمات والمسبب على الاسباب .

السادس : ان يكون التوكل على من يكون قادراً على جميع الامور ومستجماً لجميع الشرائط وهو ينحصر في الله تعالى قال عزوجل في عدة موارد من كتابه الكريم : « وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً » الاحزاب - ٣ وقال تعالى محكياً عن المؤمنين : « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » آل عمران - ١٧٣ فينحصر التوكل عليه عزوجل قال سبحانه : « فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً » النساء - ٨١ .

السابع : تفويض الامر إلى الله تعالى وتوكيله في جميع الامور والشؤون فانه القادر على تحقيقها بضعها وفق حكمته المتعالية لانه العالم بحقائق الامور وجميع خصوصياتها .

وإذا تحققت جميع هذه الشروط تحصل للانسان راحة نفسية واطمئنان قلبي فتحصل له حالة التوكل عليه عزوجل ويدخل في زمرة المتوكلين الذين يحبهم الله تعالى ، كما ورد في جملة من الآيات الشريفة قال تعالى : « ان الله يحب المتوكلين » آل عمران - ١٥٩ وقال عزوجل : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » المائدة - ٢٣ .

## درجات التوكل :

للتوكل درجات ومنازل تختلف حسب شدة اليقين وضعفه وحسب كثرة الامور المتوكل فيها وقتلتها وهي :

الاولى : ان يكون المتوكل على درجة كبيرة من اليقين والثبات في العقيدة والخضوع والطاعة لله تعالى بحيث لا يرى شيئاً إلا يرى الله تعالى معه يثق بكرمه وعنايته ، ويعبر بعض علماء الاخلاق عن هذه الدرجة بتوكل خاص الخاص ، وفي هذا المنزل يفوض المتوكل جميع اموره إلى الله تعالى ويرضي بحكمه فيكون بين يديه تعالى كالميت الملقى بين يدي الغاسل ، ولعل الآية المباركة تشير إلى هذه الدرجة : «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدراً» الطلاق - ٣ فان من اتقى الله تعالى ووثق به عزوجل وتوكل في جميع اموره عليه عزوجل اطمانت نفسه بأن الله ناصره وودو حسبه ، وهذه المرتبة عزيزة الوجود في الناس تختص بالانبياء واولياء الله تعالى المخلصين له وقد حكى الله جل شأنه عن الانبياء والمرسلين في كتابه الكريم ما يشهد لذلك .

الثانية : ان لا يكون على الدرجة من اليقين والثبات في العقيدة والاطمينان بما قسمه الله تعالى لعباده ولكن يعتمد في اموره على الله تبارك وتعالى يفرغ اليه ويعتمد عليه ولا يترك الدعاء والتضرع في كل مسألة وامر مثل الصبي الذي يفرغ إلى أمه ويتعلق بها وقد فنى في امه ولا يرى غيرها وفي هذه الحالة يفني المتوكل في الموكل عليه

ولا يلاحظ الواسطة ، ويعبر بعض علماء الاخلاق عن هذه الدرجة بتوكل الخواص .

وتفترق هذه الدرجة عن الدرجة السابقة في ان المتوكل في الاولى لا يرى شيئاً إلا الله تعالى قد وثق بكرمه ولطفه وعنايته فرمما يترك الدعاء والمسألة وثوقاً منه به عزوجل في قضاء الحوائج كما قال ابراهيم الخليل ( عليه السلام ) : « حسي من سؤالي علمه بحالي » وفي هذه الدرجة لا يترك الدعاء والمسألة والتضرع وإلى هذه الدرجة يشير قوله تعالى : « ان الله يحب المتوكلين » آل عمران - ١٥٩ فقد توكلوا في جميع امورهم عليه عزوجل وافنوا جميع حثياتهم في الله تعالى وقد اعرضوا عن غيره .

الثالثة : ان يكون كثير الاعتماء بالاسباب فيرى للتدبير والاختيار في تهية الأمور الاثر الكبير ولكن لا يترك التوكل عليه عزوجل وهو يعتمد على توكله ويلتفت اليه دائماً في اموره لا بغض النظر عنه وهذا هو الشغل الصارف عن الموكل اليه ، ولجل ذلك اختلفت هذه الدرجة عن سابقتها في ان المتوكلين في الدرجة الثانية يعتمدون على المتوكل عليه وحده كما يعتمد على التضرع لديه بالدعاء والابتهاال اليه عزوجل . والى هذه الدرجة يشير قوله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » آل عمران - ١٦٠ .

وتختلف أيضاً عن السابقة في ان هذه الحالة قد تدوم اياماً كثيرة أو في جميع الحالات لدى المؤمنين بينما في الدرجة الثانية لا تدوم إلا اياماً قليلة .

وقد عبر بعض العلماء ( رحمة الله تعالى عليه ) عن هذه الدرجة بتوكل العامي ، وربما يكون توكلهم في جميع الامور وربما يكون في بعضها .

وبالجملة : ان درجات التوكل تختلف باختلاف قوة الايمان بالله عزوجل والاعتقاد به تعالى وتفويض الامور اليه والتسليم بقضائه وقدره والرضا بما قسمه على عباده ، كما انها تختلف باختلاف تفويض جميع الامور أو بعضها وشدة الاعتقاد على الاسباب وقوة الاعتقاد بها .

### آثار التوكل :

اذا حصل التوكل على الله تعالى فانه يخلف آثاراً كبيرة على المتوكل نحن نذكر بعضاً منها :

الاول : التوكل يحقق معنى الايمان ويزيد فيه ويثبت دعائمه في المؤمن ويثبت عقيدة التوحيد في قلبه قال تعالى : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » المائدة - ٢٣ .

الثاني : التوكل سبب إلى النصر والفوز بالمراد قال تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » الطلاق - ٣ .

الثالث : التوكل يفتح أمام صاحبه طريقاً إلى الجنة فيدخل ويرزق فيها بغير حساب قال تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوثنهم من الجنة غزواً تجري من تحتها الانهار خالدون فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » العنكبوت - ٥٩ .

الرابع : ان التوكل يورث محبة الله تعالى والرضاء الالهي للمتوكل قال تعالى : « ان الله يحب المتوكلين » آل عمران - ١٥٩ وكفى بذلك فخراً .

الخامس : التوكل يجعل كل ما يسوقه الله تعالى الى العبد حسناً طيباً وخيراً .

السادس : التوكل يورث الاطمينان في قلب المتوكل والراحة في نفسه .  
هذا موجز ما اردنا ان نذكره في هذه الفضية الكبيرة وهو غيض  
من فيض فان كل ما يقال في هذا الخلق الكريم قليل وكفى بذلك  
داعياً في التخلق بهذه الفضية والمسارة الى هذا الخير العظيم .

وَمَا كُنَّا لِنَسْبِيَ أَنْ يَتَّعِلَّ وَمَنْ يَتَّعِلْ يَأْتِ بِمَا  
عَتَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ  
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَقْسَمَنْ أَتَّبِعَ رِضْوَانِ اللَّهِ  
كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُشَسَّ  
الْمُصَيِّرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ  
بِتَصْيِيرٍ بِيَمَانٍ يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَتَقْدَمَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ  
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ  
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ  
مُّبِينٍ (١٦٤)

الآيات الشريفة تبين جانباً آخر من الجوانب المتعددة في غزوة  
أحد فانها تظهر حقيقة المنافقين وضعفاء الايمان الذين لم يألوا جهداً  
من النبل من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فقد وصموا هذا  
النبي الأمين بالخيانة ونفى الله تعالى عنه هذه التهمة ووصفه بأحسن  
الاصناف وذلك اتباع رضوانه جلّت عظمته الذي هو اهم الغايات  
ولا يعدوه مؤمن فضلاً عن خاتم الانبياء والمرسلين .  
وقد اعلن سبحانه وتعالى انه من اتهم الرسول (صلى الله عليه وآله) وخالفه



فقد باء بسخط من الله تعالى كما بين عز وجل ان من يتبع رضوان الله تعالى في درجة ومن باء بسخط من الله في درجة اخرى .  
ثم ذكر سبحانه انه من على المؤمنين بموهبة عظيمة وهو النبي العظيم الذي اتصف بمكارم الاخلاق بل انه المنة الكبرى والنعمة العظمى وقد جعله اميناً على وحيه ومبلغاً لاحكامه لينقلهم من الضلال الذي كانوا فيه إلى الهداية ويطهرهم من دنس الشرك والمعصية ويخرجهم من الجهالة الى المعرفة ويعلمهم الكتاب والحكمة ومثل هذا النبي العظيم الامين كيف يمكن ان يتصف بالخيانة !! والآيات الشريفة مرتبطة بما قبلها من الآيات كما هو معلوم .

### التفسير

قوله تعالى : وما كان لنبي ان يغفل .

مادة غفل تدل على الخروج عن الحد المقرر أو الدخول في شيء من غير حل سواء كان في المال أو العقيدة أو غيرها ، وفي حديث صلح الحديبية : « لا إغلال ولا إسلال » . والاعلال : السرقسة الخفية ، والإسلال سل البعير في جوف الليل . وفي حديث أبي ذر : « غللتم والله » اي : خنتم في القول والعمل ولم تصدقوا . والتجاوز إذا كان في الفیء والمغنم تكون خيانة .

وقيل : ان غل يختص بالأخذ خفية وان كان في ما يضمرة الناس في صدورهم يقال رجل غلّ صدره اذا كان ذا غش أو حقد أو ضغن ويقال رجل غُلّ ( مجهولاً ) اشتد عطشه أو كان في جوفه حرارة . وتغلل في الشيء دخل فيه واختفى في باطنه . والغلول والغلل

( بالفتح ) هو السرقة والاخذ خفية سمي بذلك ، لأنها تجري في الملك خفية . وقيل : انها تختص بالمغنم والفيء .  
والمعنى : حاشا لني من أنبياء الله تعالى ان تقع منه خيانة مطلقا سواء كانت في ما يتعلق باحكام الله تعالى أو ما يتعلق بشؤون الناس فان الخيانة معهم خيانة مع الله أيضاً لأنه ليس من شأنهم ذلك ولا يصح منهم .

والخطاب ينزه ساحرة الانبياء عن الخيانة بأبلغ وجه وابدع اسلوب ، لأنه يتضمن حكماً مع دليل متين فهو ينفي الوقوع بنفي الشأن والصحة ، ولان الانبياء معصومون وهم أمنساء الله تعالى في ارضه وقد تقدم نظير هذا الخطاب في قوله تعالى : « ما كان لبشر ان يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي » آل عمران - ٧٩ ومر الكلام فراجع . وذكر العلماء في شأن نزول هذه الآية بعض الروايات لا يخلو عن ضعف سيأتي في البحث الروائي نقلها . وقد ذكر بعض المفسرين ان الغل انما هو في الوحي وكتابه عن الناس لا الخيانة في المغنم . ولكن ظاهر الآية المباركة التعميم لا الاختصاص ، ومما يهون الخطب ان الآية الشريفة تنزه ساحرة الانبياء عن الخيانة وتطهرهم عنها وعن كل سوء وفحشاء وقد ذكرنا ان الخيانة مع الناس خيانة مع الله تعالى أيضاً .

قوله تعالى : وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

جملة حالية تبين الجزاء المترتب على الفعل والخيانة اي : ان الخائن يلقى ربه بخيافته يوم القيامة وهو يوم ظهور حقائق الاعمال للناس فيفضحه الله تعالى من حين حشره .

والآية الكريمة تدل على تجسم الاعمال في يوم الجزاء ، والمراد باتيان الله تعالى بما غل هو الحضور لديه عزوجل وظهوره للناس وايجاد تلك الحالة في ذلك العالم بما يناسبه .

قوله تعالى : ثم توفي كل نفس ما كسبت .

اي : اذا حضر الغال للجزاء والحساب فيوفي وينال جزاء ما كسب غلاً كان أو غيره كما توفي كل نفس وفاءً تاماً بما كسبت ان خيراً فخير وان شراً فكذلك .

والآية الشريفة تدل على ان الغال كما ينال جزاء فعله ينال المغلول منه حقه فان ذلك هو الوفاء التام الذي يعطى لكل نفس يوم الجزاء . وفي ذكر «ثم» لبيان التفاوت بين يوم عرض الاعمال ويوم الجزاء .

قوله تعالى : وهم لا يظلمون .

بيان لتامة الوفاء من كل جهة اي : والحال انهم المحسنون والمسيئون لا يظلمون في جزائهم فلا يظلم المسيء بأن يجازي بغير ما كسب كما لا يظلم المحسن بنقصان جزائه ولا يعاقب العاصي باكثر ولا ينقص ثواب المحسن .

قوله تعالى : افمن اتبع رضوان الله .

هذه الآية الشريفة من جلائل الآيات القرآنية الراجعة إلى تهذيب الانسان وتربيته علمية وعملية . وهي تبين اختلاف الناس في الهداية والضلال والداخل في رضوان الله تعالى واختيار مسخته على رضوانه تبعاً لاختلاف الطينيات والاستعدادات فان هذا الاختلاف مما لا يسع لاحد انكاره إلا ان ذلك هل هو ذاتي غير قابل للتغيير والتبديل ، أو هو اقتضائي

فقط قابل لهما والافعال انما تنبعث عن كل واحد منها حين ثبتت الغالبية أو المغلوبية لكل واحد منها ؟ . والحق هو الثاني لادلة كثيرة يأتي في الموضوع المناسب تفصيل الكلام فيها والقول بالاول يستلزم بطلان الثواب والعقاب ومحاذير كثيرة لا يقبلها العقل . والآية الكريمة صريحة في المطلوب فانها تدعو الناس إلى ابتغاء رضوان الله عزوجل في الاعمال والاقوال والاعتقادات واطاعته عزوجل والاهتداء بهدى الداعين إلى الصلاح من الانبياء والمرسلين واولياء الله الصالحين ولا بد رسوخ هذا الامر الاقتضائي الذي يدعو إلى رضوان الله تعالى في النفس ليغلب على الطرف الآخر الذي يدعو إلى سخط الله تعالى وان لم يوجب زواله بالكليسة ولا يتحقق ذلك إلا بازالة الحجب والموانع عن النفس وما تدعو اليه الفطرة وما يرشد إلى الهداية وهذا من اهم الطرق التي اتبعها الانبياء في تربية النفوس الانسانية وبها يقوم النظام الاحسن الانساني .

ويمكن ان يقال : ان ذلك لا يختص بالتربية الالهية بل تجرى في غيرها من الامور الشرعية والعقلية فان في الانسان الفطرة المستقيمة ونور العقل وركيزة الجهل وحياة العزم والخيال ، والعالم قائم بذلك كله . والرضوان : مصدر كالرضا مصدر رضي والصحيح انه اسم مصدر فان معناه اوفر من الرضا وفيه من المزية ما لا توجد في مجرد الرضا قال تعالى : « يتغنون فضلاً من الله ورضواناً » الحشر - ٨ وقال تعالى : « ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم » التوبة - ٧٢ . والآية المباركة تدعو الناس إلى جعل رضوان الله تعالى مقصودهم في جميع امورهم وشؤونهم فانه السعادة العظمى والصراط المستقيم وهو لا يتحقق الا بمطابقة ما يصدر من الانسان مع دين الحق وشريعة الله

عز وجل واسباب الفوز بالرضوان كثيرة وقد ذكر سبحانه وتعالى في كتابه الكريم جملة منها كما ورد في السنة الشريفة جميعها .  
وفي الآية الشريفة رد على مزاعمهم وابطال لدعواهم في نسبة الخيانة إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) فان الذي يتبع رضوان الله تعالى في جميع اموره ولا يعدو عن رضا ربه كيف يتحقق فيه الخيانة لان الخائن قد باء بسخط من الله تعالى .

قوله تعالى : كمن باء بسخط من الله .

باء بمعنى رجع واستقر وفي الحديث : « من طاب علماً لياهي به العلماء فليتبوء مقعده في النار » اي لينزل ويستقر فيها .  
والسخط: هو الغضب العظيم والمراد من سخط الله تعالى هو الدخول في ما يوجب غضبه كالمعاصي والموبقات وما نهاه عز وجل ويجمعها متابعة الشيطان والنفس الامارة .

والمعنى : ليس من اتبع رضوان الله تعالى في اعتقاده وافعاله واقواله كمن دخل في سخط الله عز وجل بسبب افعاله واقواله واعتقاده وخروجه عن النهج القويم والصراط المستقيم واستوجب السخط والعقاب بفعل المعاصي والموبقات .

والآية الكريمة ترجع الامر الى الفطرة التي تحكم بالفرق بينهما ، وان قياس احدهما على الآخر قياس باطل بل هو جائر ونظير ذلك قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » السجدة- ١٨ .  
وانما لم يقل سبحانه وتعالى كمن اتبع سخط الله كما قال في رضوان الله ، لان ترك متابعتة يستلزم الدخول في سخط الله تعالى لانها من قبيل الضدين اللذين لا ثالث لهما مضافاً إلى ان اسباب الرضوان هي

الصراط المستقيم واعلام الهداية وهي مما يحكم العقل باتباعه بخلاف اسباب السخط فانها شرور وقبائح فلا وجه لاتباعها .

قوله تعالى : وماواه جهنم وبئس المصير .

بيان لحال من بء بسخط من الله تعالى . اي : ان المأوى الذي يريد ان يأوى اليه ليستريح فيه انها هي جهنم وقد ساء ذلك المصير الذي يصر اليه .

وانما عبر عزوجل بالمصير لان المكان الذي يصر اليه هو اسوء حالاً إذا قيس بالمكان الذي هو عليه في الدنيا ، ولان الرجوع الى سخط الله يكون مصيره التكويني النار ، فالآية المباركة من قبيل القضايا التي قياساتها معها .

وقد قال بعض العلماء الفرق بين المصير والمرجع ان الاول يستعمل في مورد يقتضي مخالفة ما صار اليه على ما كان عليه في الدنيا بخلاف المرجع فانه يقتضي انقلاب الشيء الى حال قد كان عليها .

وهو مردود لاستعمال كل واحد منهما في الآخر قال تعالى : « والى الله ترجع الامور » الانفال - ٤٤ وقال تعالى : « اليه مرجعكم جميعاً » يونس - ٤ إلا ان يريد اختلاف الجهات والحيثيات .

ولم يذكر سبحانه وتعالى جزاء من اتبع رضوان الله لعظمته وليذهب ذهن السامع كل مذهب ممكن فان رضوان الله اكبر وهو يستلزم كل نعيم وهو غير متناه من كل جهة .

قوله تعالى : هم درجات عند الله .

مدح بليغ لمن ابتغى رضوان الله تعالى وبيان لمقاماتهم العالية وما لهم الحميد الذي يرجعون اليه .

والضمير « هم » عائد الى الموصول الاول وهو « فمن اتبع رضوان الله » واما الطائفة الثانية وهي مَنْ بَاء بسخط من الله تعالى فقد ذكر سبحانه حكمها وحالها في يوم الجزاء في قوله عزوجل « وماواه جهنم وبئس المصير » مع ان سياق لفظ الدرجات ظاهر في الاختصاص .  
وانما أتى عزوجل بضمير الجماعة العائد إلى ذوي العقول لبيان ان درجات الرضوان عند الله تعالى لها حياة ابدية ومن اشرف انواع العقول وان كانوا متفاوتين في ما بينهم ولا يعلم احد خصوصيات ذلك وجهاته إلا الله عزوجل قال تعالى في شأن الانبياء العظام :  
« ورفع بعضهم درجات » البقرة - ٢٥٣ .

وظهر مما ذكرناه انه لا حاجة إلى ما قاله جمع من المفسرين: من ان الآية الشريفة على سبيل الاستعارة بأن شبههم بالدرج في تفاوتهم علواً وسفلاً ، أو انها على سبيل المبالغة في جعلهم نفس الدرجات فيكون تشبيهاً بليغاً بحذف الأداة كقولهم زيد عدل ، أو زيد أسد، أو انه على تقدير المضاف اي : ذوا درجات . وقال بعضهم : بأن الآية المباركة تشمل الطائفتين الا ان فيها تغليب الدرجات على الدرجات فان الاول لمن اتبع رضوان الله تعالى والثاني لمن باء بسخط من الله .  
والجميع كما ترى فان ظاهر الآية المباركة على خلاف ذلك كما قلنا .  
ويستفاد من قوله تعالى : « عند الله » عناية خاصة بهم لا تستفاد من غير هذا اللفظ فان ما عند من هو غير منناه لا يعقل ان يكون متناهياً ، كما لا يعقل ان يكون محدوداً بحد خاص من الكمال والجلال والعظمة والكبرياء .

والآية الكريمة مطلقة تشمل الدرجات في الدنيا والآخرة ، اما الدرجات في الدنيا فقد قال تعالى فيها « اهم يقسمون رحمة ربك نحن

سورة آل عمران ١٦١ - ١٦٤ - ٣٩ -

قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات  
ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ، الزخرف  
- ٣٢ وقال تعالى : « وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع  
بعضكم فوق بعض درجات ليلبواكم في ما اتاكم ان ربك سريع العقاب  
وانه لغفور رحيم » الانعام - ١٦٥ واما في الآخرة فالآيات فيها كثيرة  
قال تعالى : « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات  
العلي جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء  
من تركي » طه - ٧٦ وقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم  
والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » المجادلة - ١١ واما  
قوله تعالى : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة اكبر  
درجات واكبر تفضيلاً » الاسراء - ٢١ فانه يشمل درجات الآخرة  
قال تعالى : « وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجراً عظيماً درجات  
منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً » النساء - ٩٦ والآيات في  
سياق ذلك كثيرة وهي تبين بعض اسباب رفع الدرجات وموجبات نيلها .

قوله تعالى : والله بصير بما يعملون .

بيان بأن نيل تلك الدرجات لا يكون على التمني والوهم والخيال  
وانها هو على الحقيقة والاعمال ، فان الله تعالى لا يغيب عنه شيء ولا يفوت  
عنه الحقير من خير أو شر فهو عليم بما في الضمائر والنيات ودقائق  
الامور والاعمال فيجازى بحسبها .

قوله تعالى : لقد من الله على المؤمنين .

ذكر لافضل افراد من اتبع رضوان الله تعالى وبيان لأهم سبيل  
من سبل الدخول في رضوانه عز وجل .



والمنة: وهي النعمة العظيمة التي تفاجيء الانسان من دون سبق سئوال  
ومن صفات الله العليا : «يا من منته ابتداء وعطيته فضل » ومن اسمائه  
جلت عظمته « المنان » اي المنعم المعطي .

ولاخير في الممكنات مطلقا اعلى واكمل واشمل من تكميل النفوس  
الناقصة المستعدة فهو الخير المطلق في الدنيا والآخرة ، بل لا آخرة إلا  
بذلك فيكون اعظم صنع الله تعالى ولم يخلق ما سواه الا لأجله ، ولذا  
أجمل سبحانه هذه المنة العظيمة في المقام واهملها فان انبياء الله تعالى  
وان خلقوا في هذا العالم لكنهم ( صلوات الله عليهم اجمعين ) شوارق  
غيب يستمدون من الفيض الرباني غير المتناهي ويفيضون على الاعيان  
المستعدة فهم بوجودهم الجمعي ليسوا الا العقل الكلي المجرد يظهر  
قارة في صورة خليل الله تعالى ابراهيم واخرى في صورة حبيب الله  
احمد ( صلى الله عليه وآله ) فالحقيقة واحدة والشوارق مختلفة ، ومن  
ذلك يظهر السر في اقوالهم ( عليهم السلام ) : « مَنْ لا عقل له  
لا ايمان له ومَنْ لا ايمان له لا عقل له » والآيات الشريفة ناصة في  
هذا التلازم كما ستعرف ذلك ان شاء الله تعالى .

ان قلت : ان ما ذكر من ان إفاضة الخير من دون سبق سئوال  
تسمى منة مخالفة لظاهر قوله تعالى حكاية عن ابراهيم (عليه السلام)  
« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة  
ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » البقرة - ١٢٩ وقول سيد الانبياء  
« انا دعوة أبي ابراهيم » .

قلت : ان المراد من دون سبق سئوال من نفس المفاض عليه لا من  
يكون من طرق الفيض وفي سلسة الافاضة .

قوله تعالى : اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم .

بيان لمنته العظمى التي من بها الله تعالى على المؤمنين وتأكيدها  
فقد ابتداء عز وجل بالنعمة ان بعث فيهم رسولاً عظيم الشأن جليل  
القدر . و ( اذ ) ظرف - ل من - ويتضمن التعليل .  
وقد وصف سبحانه وتعالى هذا الرسول باوصاف تدل على جلالة  
قدره وتؤكد المنة عليهم وان كل واحد منها نعمة جليلة تستوجب  
الشكر ، وهي اربع :

الاول : انه رسول من انفسهم اي : من جنسهم فلم يكن من  
غير الانسان ولا من غير العرب ليستأنسوا به كما يستأنس الرجل  
بأبيه واخيه فيفهموا كلامه ويسهل التلقي منه وليتأكدوا على احواله  
وكاله وملكاته العظيمة الفائقة واخلاقه الفاضلة وغيرها مما يدعو الى  
الاقبال عليه والانقياد اليه والتصديق به ؛ ولئلا تأخذهم النخوة والعصية  
أو العزة بالاثم من الايمان به لو كان من غيرهم ، فكان من عظيم  
المنة على العرب ان سهل عليهم التعرف على الرسول ويسر لهم الايمان  
به وازدادوا بذلك شرفاً وعزة ، وقد أكد عز وجل هذه المنة في  
مواضع متعددة في القرآن الكريم قطعاً للمعاذير واتهاماً للحجة قال تعالى :  
هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم  
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، الجمعة - ٢ .

قوله تعالى : يتلوا عليهم آياته .

وصف ثان : الآيات جمع آية والمراد بها الآيات التي اوحاها الله  
تعالى عليه المشتملة على جميع المعارف الالهية والعلوم الحقيقية الواقعية .  
والتلاوة هي القراءة مع التدبر والتمعن ليسهل عليهم فهم تلك الآيات

ويدركوا معانيها وحقايقها واشاراتها وقد جعل الله تعالى معجزة هذا الرسول العظيم والدليل على رسالته في القرآن الكريم الذي نزل بلغتهم .

قوله تعالى : ويزكيهم .

وصف ثالث وهو تزكية نفوسهم وتطهيرها من العقائد الزائفة والآراء الباطلة والاخلاق الذميمة والصفات الرذيلة التي كانوا عليها قبل بعثته فان مع وجود تلك الملكات الفاسدة في النفس لا يمكنها التحلي بالمعارف الالهية وهي حجب ظلماتية تعوق عن الوصول الى الفيض الالهي ، والتخلية متقدمة على التحلية .

قوله تعالى : ويعلمهم الكتاب والحكمة .

وصف رابع وهو تعليمهم الكمالات الانسانية وجهات الحكمة العلمية والعملية ، والحكمة بأي معنى اخذت مما يفتقر اليها الانسان ويعجز عن الاحاطة بها البيان .

والتعليم وان كان مترتباً على التلاوة الا انه لا بد من التزكية التي هي عبارة عن تخلية النفس عن الرذائل والحجب وتصفية النفس وتهذيبها بالفضائل ثم تكميلها بالعلم والتعليم المترتين على التلاوة ، ونظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » البقرة - ١٢٩ إلا ان الفرق بينها في تقديم التزكية على التعليم وتأخيرها عنه ويأتي في البحث الدلالي ما يتعلق بذلك .

والآية المباركة تدل على ان جهات تكميل الانسانية الواقعية تكون مفوضة الى الله تعالى وليس للجهات الامكانية دخل فيها ابداً .

قوله تعالى : وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين .  
 حملة حالبة تبين حالتهم السابقة التي كانوا عليها قبل البعثة وقد  
 وصفها الله تعالى بالجاهلية في مواضع متعددة من القرآن الكريم ،  
 ويتضمن هذا اللفظ على جهات الفساد في العقيدة والعمل .  
 والمراد من قوله تعالى : « من قبل » التبليغ الرتبة اي قبل العمل  
 بالشريعة فيشمل ما بعد البعثة وقبلها .

### بحث دلالي

يستفاد من الآيات الشريفة امور :

الاول : يستفاد من سياق قوله تعالى : « وما كان لني ان يغفل »  
 تنزيه ساحة الانبياء وطهارتهم عن السوء والفحشاء وعصمتهم عن كل  
 معصية ورذيلة فيصح ان تجعل هذه الآية الكريمة من حملة الادلة الدالة  
 على عصمة الانبياء ولو عن معصية الخيانة فتتم في غيرها بالقول بعدم  
 الفضل ، وكذا نقول في القائمين مقامهم .  
 الثاني : يدل قوله تعالى : « ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة »  
 على تجسم الاعمال وظهور الملكات بما يناسبها من الصور والحقائق في  
 يوم القيامة والظالم المذنب يتحمل تبعات تلك المعاصي فيحاسب عليها  
 ويوفي جزاؤه .

الثالث : يرشد قوله تعالى : « وهم لا يظلمون » على ان نسبة  
 الخيانة إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) ظلم ولا بد من التنزه عنها كما  
 تنزه عز وجل عنه فلا يظلم عباده يوم الجزاء مطلقا .

الرابع : يدل قوله تعالى : « أفن اتبع رضوان الله » على ان النبي ( صلى الله عليه وآله ) لا يمكن رميه بالخيانة ، والخائن باء بسخط من الله تعالى .

وفي الآية المباركة الموعظة للمؤمنين وارشادهم الى اتباع رضوان الله تعالى والتعريض لهم بأن هذه الاقوال والاعمال من التعرض بسخط الله ولا بد من الابتعاد عنه .

الخامس : يستفاد من قوله تعالى : « هم درجات عند الله » ان لمن اتبع رضوان الله تعالى منازل كريمة واجراً عظيماً ، وقد عبر عزوجل في موضع آخر : « لهم درجات » الانفال - ٤ ولعل الاختلاف في التعبير باعتبار الاضافة الى الله تعالى التي هي الاصل لجميع خيرات الدنيا والآخرة فقال « لهم درجات عند الله » ومن حيث الاضافة الى نفس العاملين الموفين فقال : « هم درجات عند الله » والجميع صحيح لا اشكال فيه ، مع انه يصح ان يقال ان اللام في قوله تعالى « لهم درجات » للاختصاص الذاتي كما يقال : للجنة اشجار واوراد ورياحين .

السادس : يستفاد من قوله تعالى : « أفن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله » اهم اصل من اصول التعليم والتربية في الاسلام وهذه الآية المباركة مع إنجازها تتضمن اعظم المقومات في السير والسلوك في الاخلاق وهي تدل على ان المتبوع لها يتصف بفضيلة الصلاح وهي توجب الفوز بالسعادة الفردية والاجتماعية لمن عمل بها، كما انها تبين الحد الفاصل بين الحقيقة والوهم والخيال ، فان كل من لم يتبع رضوان الله تعالى انا هو قشر بدون لب وجسد بلا روح ، وان كان الظاهر مليحاً ولكنه سراب زائل وضال ولم يبين سبحانه سبل رضوان

الله تعالى لانها ذكرت في القرآن الكريم والسنة الشريفة وهي معلومة يحكم بحسبها العقل والفطرة المستقيمة ، ولذا ورد في الحديث « ان الذين اتبعوا رضوان الله تعالى هم الأئمة ( عليهم السلام ) لأنهم يدعون الى الكمال المطلق وهم مثال للاخلاق الفاضلة والاصل في جميع الاحكام .

السابع : بين قوله تعالى « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم » ان جهات تكميل الانسان لا بد ان تكون من الله تعالى وان مكمل الانسانية يجب أن يكون مبعوثاً من قبله عز وجل لان جهات التكميل الواقعية مما لا يمكن ان يحيط بها العقل .

وبمثل هذه الآية الشريفة يمكن ان يستدل على ان وصي الرسول لا سيما خاتم الأنبياء ( صلى الله عليه وآله ) لا بد ان يكون باختيار الله تعالى وتخصيص من النبي ( صلى الله عليه وآله ) عليه لان ما يتمم الانسانية الواقعية مثل المكمل للانسانية لا دخل لاختيار الناس فيه فلا بد وان يكون باختيار من الله عز وجل وتعيين من واسطة الفيض بطريق التنصيب وسيأتي في الآيات اللاحقة تفصيل الكلام ان شاء الله تعالى .

الثامن : انما خص المؤمنين بالذكر في قوله تعالى ، « لقد من الله على المؤمنين » مع ان رسول الله تعالى وانبيائه مبعوثون الى كافة الناس لبيان مزيد المنة وتماميتها عليهم لأن تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية ولانهم مستعدون لنيل الافاضات الربوبية ، وقد تقدم في قوله تعالى : « هدى للمتقين » ما يرتبط بالمقام فراجع .

التاسع : انما قدم عز وجل التزكية على التعليم في المقام وأخرها في قوله تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » البقرة-١٢٩

لبيان التلازم بين التخلية والتحلية في النفوس المستعدة فلا بنا في تقديم احد المتلازمين على الآخر في موضع مع تأخره عنه في موضع آخر ، أو لأن التزكية والتعليم الواقعيين لا بد ان يدعوا كل واحد منهما الى الآخر وإلا فليسا من التخلية والتحلية بشيء .

### بحث روائي

في تفسير القمي في قوله تعالى : « وما كان لنبي ان يغفل » قال ( عليه السلام ) : « فصدق الله لم يكن الله ليجعل نبياً غالاً » ومن يغفل يأت بما غفل يوم القيامة ، ومن غفل شيئاً رآه يوم القيامة في النار ثم يكلف ان يدخل اليه فيخرجه من النار .

أقول : الحديث ينص على تجسم الاعمال وان العامل مأخوذ بعمله في الدار الآخرة .

وفي المجالس عن الصادق ( عليه السلام ) : « وإن رضاء الناس لا يملك والستهم لا تضبط ، ألم ينسبوه - أي نبينا الأعظم ( صلى الله عليه وآله ) - يوم بدر الى انه اخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء حتى اظهره الله على القطيفة وبرآء نبيه من الحياة ، وانزل في كتابه : « وما كان لنبي ان يغفل ومن يغفل يأت بما غفل يوم القيامة » .

أقول : الروايات في مضمون ذلك كثيرة مروية من الخاصة والجمهور ، ويستفاد منها انهم قد نسبوا ذلك اليه ( صلى الله عليه وآله ) في عدة مواضع .

في الكافي عن عمار الساباطي قال : « سألت أبا عبد الله ( ع )

عن قول الله عز وجل : « افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند ربهم » فقال ( عليه السلام ) : الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة ، وهم والله يا عمار درجات للمؤمنين ، وبولايتهم ايانا يضاعف الله لهم اعمالهم ويرفع الله لهم الدرجات العلى .

اقول من كان مع الحق وفي الحق في جميع افعاله واقواله تنطبق عليه الآية الشريفة فتكون الرواية من باب التطبيق .

وفي تفسير العياشي عن أبي الحسن الرضا ( عليه السلام ) في قوله تعالى : « هم درجات عند الله » قال ( ع ) : « الدرجة ما بين السماء الى الارض » .

اقول : لا ريب في اختلاف الدرجات اختلافاً كثيراً بل ربما تكون التفاوت غير متناهية .

أُولَئِكَ مِمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْنِهَا قَلْتُمْ  
 أَنِّي هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي  
 الْجَمْعَانِ قِتْيَاذِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦)  
 وَلِيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَاتِلُوا لَوْ تَعْلَمُونَ قِتَالًا  
 لَا تَتَّبِعُنَا كُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِ بَيْدِ اقْتَرَبَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ  
 يَقُولُونَ يَا قَتُوا هَيْهَاتَ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ  
 أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَاتَلُوا لِأَخْوَانِهِمْ



وَقَعْتَهُدُوا لَتَوْا أَطْنَاعُونَنَا مَا قَتَلُوا قَتْلًا فَتَادِرُوا عَنَّا  
 أَنْتَفْسِيكُمْ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)

الآيات الشريفة تبين جانباً من الجوانب المتعددة في غزوة احد  
 فقد كشفت عن شبهات المنافقين وكيدهم في اضلال المؤمنين عن  
 القتال وتعرضت للرد عليهم وبينت الحقيقة فيهم وانهم على الكفر والضلأل .  
 والآيات المباركة تكشف عن الموازنة بين ما اصابهم من خسارة  
 وهزيمة حصلت من عند انفسهم وبين تلك النعمة العظمى والمنة الكبرى  
 بما تحقق لهم من اتباع الرسول العظيم الذي هو من انفسهم .

### التفسير

قوله تعالى : او لما اصابكم مصيبة قد اصبتم مثلها .  
 بيان لحقيقة واقعية وهي ان ما يصاب الانسان من المصائب انما  
 يكون بسبب المعاصي التي تقع منه جرياً على قانون الاسباب والمسببات  
 وقد تقدم في الآيات السابقة بيان الكبرى فراجع قوله تعالى : « وتلك  
 الايام نداولها بين الناس » آل عمران - ١٤٠ .  
 والاستفهام للتقريع فيكون السؤال الاستنكارى في موضعه . والواو  
 عاطفة وقد تقدمت عليها همزة الاستفهام لان لها الصدارة في الكلام  
 و « ما » ظرف بمعنى حين و « قد اصبتم » صفة لمصيبة وقيل في  
 محل نصب على انه حال .

والمصيبة هي التي اصابتهم يوم أحد إثر عصيان الرسول (صلى الله عليه وآله)

ومخالفتهم لاوامره وعدم التقوى عندهم والفشل والتنازع بينهم مما كان سبباً لهزيمتهم وتوبيخهم وتقريعهم . والمشهور بين المفسرين ان المراد بالمثلين : المذللان في غزوة بدر الكبرى فانهم قتلوا من المشركين سبعين واسروا منهم سبعين فكان ذلك مثل ما اصاب المسلمين يوم أحد ممن قتل سبعين منهم . والظاهر انه اعم من ذلك ومما اصاب المسلمون من المشركين في غزوة احد فقد هزموا اول الامر وقتلوا منهم جمعا ولكن عصيانهم للرسول وفشلهم وتنازعهم كان السبب في هزيمتهم وقتل المشركين لهم . وكيف كان ففي هذا التوصيف تسكين لقلوبهم وتحقير للمعصية ولما يورث السكون وهذا كاف في الجواب عن سؤالهم . والمعنى : اتدرون لماذا اصابكم تلك المصيبة فانها كانت من عند انفسكم ونتيجة حتمية لاعمالكم لانكم مخالفتم اوامر الرسول ( صلى الله عليه وآله ) وفشلتم واختلقتم وتنازعتم فكان ذلك سبباً في افساد الفتح والظفر اللذين كانا من نصيبكم .

قوله تعالى : قلمت انى هذا .

سؤال عن سبب المصيبة تعجباً منهم واستعظاماً واستبعاداً للحادثة مع مباشرتهم لسببها والجملة جواب « لما » وهذه واحدة من تلك الشبهات التي ذكروها في المقام بعدما رأوا النصر الباهر في بدر فاعتبروا أن ذلك لأجل كونهم مسلمين ولكنهم ذهلوا عن الحقيقة . قوله تعالى : قل هو من عند انفسكم .

بيان للحقيقة التي غفلوا عنها وتأكيدها بينه عز وجل سابقاً من ان ما يصيب الانسان إنما هو آثار افعاله ونتائج اعماله .

والمعنى : قل يا رسول الله في جوابهم انكم اخطأتم في الرأي فان الذي اصابكم إنما هو بسبب اعمالكم وافعالكم حيث مخالفتم اوامر الرسول

( صلى الله عليه وآله ) وفشلتم وتنازعتم في الرأي ، وانكم اخترتم هذه المصيبة لانكم طمغتم بفداء الاسرى مع ان الرسول ( صلى الله عليه وآله ) انذرهم بأنه يقتل منهم بعددهم واشترط عليهم ذلك فرضوا به . وهذا محمول على الغالب من الذين كانوا معه ( صلى الله عليه وآله ) واما اعظم الصحابة مثل علي ( عليه السلام ) ونحوه فلا تشملهم الآية الشريفة فلا وجه لاشكال بعض المفسرين في المقام .  
قوله تعالى : ان الله على كل شيء قدير .  
اي : ان الله تعالى قادر على الظفر عند المطاوعة والصبر والخذلان عند المخالفة . وما وقع انما كان بسوء اختياركم . وجرباً على سنة الاسباب ولكنه تعالى قادر على اللطف بكم .  
وفي الآية الشريفة كمال العناية بهم وتطبيب لأنفسهم حيث قرن مرارة التقرير بحلاوة الوعد وفيها درس من دروس الحكمة التي يعلمها الله تعالى للمؤمنين .

قوله تعالى : وما اصابكم يوم التقي الجمعان فباذن الله بيان لقدرته الكاملة ، وذكر لاحد مصاديقها فان كل شيء لا بد ان ينتهي الى اذن الله تعالى وقدرته . وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليماً قديراً . فاطر . ٤٥ فكل ما اصاب المسلمين يوم التقي جمعهم بجمع المشركين في احد من قتل وجراح انما كان باذن الله تعالى وارادته الازلية وتقديره وقضائه فانه جرت إرادته على امتحان المؤمنين وتمحيصهم ليكمل ايمانهم بذلك وينال من قتل منهم بدرجة الشهادة .

وذكر بعض المفسرين ان هذه الآية الشريفة تؤيد المراد من الآية السابقة لان المستفاد من قوله تعالى : « قل هو من عند انفسكم »



اختيارهم الفداء من اسرى يوم بدر ، وشرطهم على انفسهم لله ما شرطوا فاصابهم هذه المصيبة باذن الله تعالى .

وفيه : ان ظاهر هذه الآية المباركة يبين القدرة الكاملة والارادة التامة الازلية التي قضى بها عزوجل على اجراء سنة الاسباب في هذا العالم ويمكن ان يكون لما اصابهم اسباب كثيرة قد بين جملة منها في الآيات السابقة ويدل على ما ذكرناه ذيل الآية الشريفة .

قوله تعالى : وليعلم المؤمنين .

غاية اخرى من الغايات المترتبة على ما اصابهم من المصائب وهي وقوع المعلوم في الخارج ليطبق علمه الازلي اي : اصابكم المصيبة ليعلم حال المؤمن في قوة ايمانهم وضعفه . وليعلم الذين صبروا وثبتوا مع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في ميدان القتال والذين آثروا الفرار وخذلوا الرسول الكريم ، فهذه الآية الشريفة لبيان وجه الحكمة والغاية والآية الاولى لبيان السبب .

وكيف كان فهذه الآيات الشريفة تبين جانباً من الجوانب المتعددة في غزوة احد التي اشتملت على وجوه من الحكمة وتضمنت غايات متعددة قلما اجتمعت في غزوة اخرى .

وانما ذكر عزوجل المؤمنين ابتداءً تشریفاً لهم عن الانتظام والدخول في الطائفة الاخرى فان الفريقين مختلفان من جميع الجهات ، ويمكن ان يكون ذكر اسم الفاعل الدال على الثبوت والاستمرار للاشارة الى ما ذكرناه .

قوله تعالى : وليعلم الذين نافقوا .

تمهيد لذكر احوال المنافقين الذين ظهروا في غزوة احد باقبح

صورة سواء في اقوالهم أو افعالهم . والجمله عطف على قوله تعالى :  
« فباذن الله ، وانا اعاد عزوجل الفعل للتأكيد على هذه الغاية واعتناء  
بهذه العلة .

والمراد من « الذين نافقوا » هم الذين اظهروا الايمان وابطنوا  
الكفر ، اي انها اصابكم المصيبة ليظهر المنافق ويميز بينه وبين المؤمن .  
وانما ذكر عزوجل هذه الطائفة بموصول صلة فعل ، للدلالة على  
الخلو وعلم الثبوت بانه قد يتوب منهم بعد ذلك ويرجع الى الايمان  
وقد ذكرهم تعالى بعد ذكر المؤمنين للعبارة بسوء عاقبتهم والاحتراز  
عن افعالهم واقوالهم وعدم التشبه لهم .

قوله تعالى : وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو  
ادفعوا .

بيان لوجوه نفاقهم منها ان الذين نافقوا قد دعوا الى القتال في  
سبيل الله ونصرة دينه لينالوا الشهادة فيفوزوا بدرجاتها العالية ولو لم  
تقاتلوا كذلك فادفعوا عن انفسكم واهليكم حية أو ابتغاءاً للغنمة  
والكسب وغير ذلك من المقاصد الدنيوية ولكنهم تكاسلوا وراوغوا بنفاقهم .  
وانما ذكر عزوجل « تعالوا » لما فيه من الدلالة على التظاهر  
والتعاون ترغيباً لهم عليها والمشاركة مع المؤمنين في نيل السعادة .

قوله تعالى : قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم .

مظهر من مظاهر نفاقهم فانهم قالوا لو كنا نعلم انكم تلقون العدو  
لاجل القتال في سبيل الله واقامة الحق لذهبنا معكم ولكن لانرى  
قتالاً حقاً في البين ، وهذا تطل منهم نفاقاً واستهزاءً بالمؤمنين ،  
فان القتال معلوم حيث نزل العدو بساحتهم بجميع عدده وعدته وقد

حنق غيظاً على الحق وعلى المؤمنين به . وقد رد عزوجل عليهم  
وبين كذبهم .

والمراد باتبعنا كم هو الذهاب مع المؤمنين للقتال ولم يفصحوا بالقتال  
لكمال معاندتهم مع الحق وغيظهم واحجامهم عن ذكره .

قوله تعالى : هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان .  
اي : هم يوم اذ قالوا لو تعلم قتلاً ، اقرب إلى الكفر منهم  
قبل ذلك إلى الايمان لظهور امارته عليهم فان هذه المقالة كفر بالله  
العظيم واستهزاء بالنبي الكريم فانهم يميلون إلى الكفر اكثر من ميلهم  
إلى الايمان .

وانما ذكر عزوجل يومئذ ، مع انهم لم يؤمنوا لرفع شأن ذلك  
اليوم الذي ظهر فيه الحق وتمييز المؤمن عن المنافق .

كما انه سبحانه وتعالى قال : هم اقرب ، لبيان ظهور كفرهم  
الصريح واما النفاق فأمره واضح لانهم واقعوه قبل ذلك وظهر على  
افعالهم واقوالهم ، ولترغيبهم إلى الاسلام والدخول فيه ولو كانوا على  
خلاف الحق وعدم ايتاسهم .

قوله تعالى : { يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم } .  
بيان لحال المنافقين مطلقاً ، والجملة مستأنفة تبين حقيقة نفاقهم .  
اي : انهم لم يؤمنوا بالحق ولم يتبعوكم ولو علموا به لانهم على الكذب  
دائماً واطهار خلاف ما يفسرون وذلك عاداتهم وسيرتهم ، فهم  
مستمرون عليه . والافواه : جمع فاه وانا ذكره عزوجل للتأكيد ومقابلة  
للقلوب وزيادة في التقرير ونظير ذلك قوله تعالى : { يقول لك المخلفون  
من الاعراب شغلتنا امواتنا واهلونا فاستغفر انا يقولون بالسنتهم ما ليس

في قلوبهم ، الفتح - ١١ .

قوله تعالى : والله اعلم بما يكتُمون .

اي : انهم غافلون عن الحقيقة فان الله تعالى اعلم بما يكتُمونه من الكفر والتفاح والشر والفساد وهو بحاسبهم به ويجازيهم عليه .

قوله تعالى : الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا .

مظهر آخر من مظاهر نفاقهم وانا صدر منهم هذا القول بعد القتال ، كما ان القول السابق صدر منهم قبله كما هو واضح . والجملته بدل . والمراد باخوانهم : الآخوان في النسب ، وانا ذكره بالخصوص لانهم يدعون الآخوة الظاهرية ومع ذلك يخالفونها ولم يقفوا بدعواهم فانهم قعدوا عن مساعدتهم حين ابتلائهم بالقتال وهذا أقبح تعبير في الجاهلية فضلاً عن الاسلام .

قوله تعالى : لو اطاعونا ما قتلوا .

هذا من من المشبطات التي كان المنافقون يتوسلون بها في تضعيف المؤمنين وبث روح الشك والارتياب في نفوسهم . والمعنى : انهم قالوا لآخوانهم لو اطاعونا بالقعود عندنا وعدم الذهاب إلى مادعاهم إليه رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) من الجهاد مع اعداء الله تعالى ما قتلوا كما لم يقع علينا القتل . وقولهم هذا يرجع إلى جحودهم للقضاء والقدر واعتقادهم بأن الموت يستند إلى اسباب معلومة إذا اتقاهما الانسان سلم عنه وان الموت مما يمكن ان يستدفع عنه ويتحرز منه وهذا مكابرة منهم وانكار للوجدان الذي يحكم بأن الموت والحياة وان كانا امرين طبيعيين لهما اسباب معلومة

لكنها كسائر الحوادث الكونية تحت ارادة الله تعالى وقضائه وقدره  
كما أكد عز وجل ذلك في الآيات السابقة .

قوله تعالى : قل فادرؤا عن انفسكم الموت .

تثبيت لارادة الله تعالى وتأكيد بان الامور تحت قضائه وقدره .  
والدبر هو الدفع .

اي : قل يا محمد في جوابهم تبكيتاً لهم واظهاراً لكذبهم فادفعوا  
عن انفسكم الموت فان القعود لا ينجيكم منه لانه امر محتم محمل إذا  
حمل الاجل وان طال بلا فرق بين القاعد والمجاهد ، والحذر عن  
سبب معين لا يقى عن باقي الاسباب التي تقع بارادة الله تعالى .

قوله تعالى : إن كنتم صادقين .

قضية شرطية معلقة على امر ممتنع فيكون الصدق منهم ممتنعاً في  
ذلك . وفي الآية الشريفة التأكيد على كذبهم فانه يمتنع ان يكونوا  
صادقين في اقوالهم وافعالهم .

اي : فان كنتم صادقين فادرؤا عن انفسكم جميع اسباب الموت .

## بحوث المقام

بحث ادبي :

« ما » في قوله تعالى : « وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن  
الله » اسم موصول مبتدأ و « اصابكم » صلته « فباذن الله » خبره



وانما دخل عليه الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط وقيل انه للسبب .  
وانما ترك العاطف بين « تعالوا » و « قاتلوا » في قوله تعالى :  
« تعالوا قاتلوا » لبيان التلازم بينهما وان المقصود بهما واحد .  
قوله تعالى : « وقعدوا » إما حالية من ضمير قالوا باضمار (قد)  
وإما معطوفة بالواو التي هي لمطلق الجمع فتكون جملة معترضة بين  
قالوا ومقوله وهو قوله تعالى : « لو أطاعونا ما قتلوا » .  
الظرفان في قوله تعالى : « هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان »  
قبيل ان كليهما متعلقان بـ « اقرب » وذكروا أن من القواعد في باب  
الظروف انه لا يتعلق حرفا جر ، أو ظرفان بمعنى واحد بمتعلق واحد  
إلا في ثلاث صور :  
الاولى : ان يتعلق أحدهما به مطلقا ثم يتعلق به الآخر بعقد  
تقييده بالاول .  
الثانية : ان يكون الثاني تابعا للاول ببدلية أو عطف بيان أو نحوهما .  
الثالثة : ان يكون المتعلق افعل تفضيل لتضمنه الفاضل والمفضول  
اللذين يجعلانه بمنزلة تعدد المتعلق كما في المقيد والمطلق ، والمقام من  
هذا القبيل .  
والجامع في جميع ذلك لحاظ الوحدة الاعتبارية فكما لوحظ فيه هذه  
الجهة يصح ذلك ولا يختص بتلك الصور الثلاث .

## بحث دلالي

بستفاد من الآيات الشريفة امور :

الأول : يستفاد من قوله تعالى : « أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها » واقع الانسان بعد إصابة المصيبة بأنه يلتمس اسباباً لتلك وإلقاء تبعاتها على الغير تخفيفاً للوعة المصاب ولما فيه الأثر النفسي الكبير . والآية الشريفة لا تنفي ذلك بل تبين الطريق الصحيح ونهدي الانسان إلى الصراط المستقيم وتبين ان الاسباب لتلك المصائب والمهموم انما تكون من عند الانسان نفسه وقد أتى الجواب عن جميع تلك الاسئلة والشبهات واضحاً يبين الحقيقة قال تعالى : « قل هو من عند انفسكم » وقال تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير » الشورى - ٣٠ وعلى الانسان التفكير في عقيدته وافكاره وافعاله واقواله فان فيها الاسباب التي تقتضي حدوث المصائب على الانسان وكيفية التحرز عنها بالالتزام بالشرع والالتكال على الله تعالى .

الثاني : يدل قوله تعالى : « ان الله على كل شيء قدير » على ان قانون الاسباب والمسببات الذي بني عليه هذا النظام لا يخرج عن قدرة الله تعالى وقضائه وقدره فانه عزوجل المدبر لهذا النظام الكيافي وهو المهيمن على جميع ما يجري فيه فان الاسباب وان اقتضت المسببات المعلومة إلا انها تؤثر بارادة الله عزوجل واذنه .

ومن ذلك يعلم السر في تعقيب ذلك بقوله تعالى : « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله » وأكد ذلك بقوله عزوجل : « وليعلم المؤمنون » الذي يدل على ان الاعتقاد بذلك من الايمان .

الثالث : يدل قوله تعالى : « وليعلم الذين نافقوا » إلى اهم ما كان يريد المنافقون من اقوالهم وافعالهم وهو تشييط المؤمنين عن القتال وبث روح الشك في نفوسهم والاحجام عن تنفيذ اوامر الله تعالى وترك طاعة الرسول ( صلى الله عليه وآله ) وقد فند عزوجل مزاعمهم وابطل

دعوايهم واعلن كفرهم واظهر كذبهم وحقيقة امرهم وهي انهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وأن ذلك صار من عادتهم وسيرتهم .  
 الرابع : يستفاد من قوله تعالى : « قل فادروا عن انفسكم الموت » حسن المحاوررة والحاجة مع المنافقين والكافرين واقامة البرهان لهم حتى يرجعوا إلى الايمان وحيث لا بد ان تكون بالتي هي احسن ولا يخرج عن الحدود الشرعية وهذه الآيات كلها تعلم للحكمة التي وردت في الآية السابقة « ويعلمهم الكتاب والحكمة » .

### بحث روائي

في تفسير العياشي في قوله تعالى : « او لما اصابتم مصيبة قد اصبتم مثلها » قال الصادق ( عليه السلام ) : « كان المسلمون قد اصابوا ببدر مائة واربعين رجلاً قتلوا سبعين رجلاً واسروا سبعين رجلاً ، فلما كان يوم أحد اصاب من المسلمين سبعون رجلاً فاغتموا بذلك فانزل الله تعالى : « او لما اصابتم مصيبة قد اصبتم مثلها » .  
 اقول : قد روى الجمهور مثل ذلك ايضاً والرواية على فرض صحتها ترشد إلى استنكار التعجب منهم بعد وصول مثل ما اصابهم اليهم في يوم بدر .

وفي تفسير القمي في قوله تعالى : « وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله » قال : فهم ثلاثمائة منافق رجعوا مع عبد الله بن أبي سلول ، فقال لهم جابر بن عبد الله انشدكم في نبيكم ودينكم ودياركم فقالوا والله لا يكون القتال اليوم ولو تعلم ان يكون القتال لا تبعناكم ، يقول الله : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان » .  
 اقول : بيان لبعض مصاديق النفاق وقد تقدم في التفسير ما يتعلق بذلك .

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّهُمْ آمِنًا بَلْ  
 أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا  
 آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ  
 يَلْمِزْهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا  
 هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ  
 وَقَضَلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)  
 الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ  
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ  
 عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ  
 جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا  
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةِ  
 مِنَ اللَّهِ وَقَضَلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ  
 اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ  
 الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا  
 أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)

بعد ما بين سبحانه وتعالى مكر المنافقين وضعف نفوسهم وتحداهم  
 بأمر واقع لانكران فيه بأن الموت كما يصيب المجاهدين في سبيله  
 تعالى كذلك يصيب القاعدين ولا يستطيعون درء الموت عن انفسهم يقعدوهم.  
 بين في هذه الآيات الشريفة المائز والفارق بين ميته القاعدين وبين  
 ما يصيب المجاهدين في سبيله تعالى ولا يموتون ميتتهم فانهم ليسوا

امواتاً ولا تكون حياتهم محدودة فلا تنتهي وانما لهم الحياة عند ربهم متصفين بأكل الصفات واسماها ، فرحين ، ومستبشرين ، لا يطرأ عليهم خوف ولا حزن لانهم عند « ملك مقتدر » .

والاحياء عند ربهم هم الذين استجابوا لله والرسول ولم تزل لهم المحنة ولم تقلدهم الجراحات عن الجهاد في سبيله ولم يخشوا من تجمع الاعداء ولم يرهبهم ارجاف الناس بل زادهم كل ذلك ايماناً به تعالى وتسليماً لامره فاعتمدوا عليه وساروا على النهج الذي فيه رضوان الله تعالى ويستبشرون خيار المؤمنين بكامل سعادتهم .

وقد كشف سبحانه وتعالى عن منشأ الخوف وهو الشيطان الذي يخوف اولياءه تعالى ولكنهم لا يخافون سواه تعالى وان قلوبهم مملوءة بالثقة بالله العظيم والايمان به .

### التفسير

قوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً .

بيان حقيقة من الحقايق الواقعية التي غفل عنها جميع من قصر نظره على المادة والماديات واعرض عن الواقع والحقيقة ، ولأجل اهمية المضمون تحقق الالتفات في الآية المباركة عن خطاب المؤمنين إلى خطاب الرسول ( صلى الله عليه وآله ) فكأن هذه الحقيقة لا يمكن دركها بسهولة ولا يتقبلها عقول سائر الناس المأنوسة بالماديات إلا من كان متصلاً بالفيض الربوبي ومتربياً بالتربية الالهية ومهتدياً بهدى الله تعالى . والآية المباركة رد لجميع مزاعم المنافقين والكافرين وكل متوهم

يتوهم ان الموت هو سبب لصيرورة الميت كالجهاد روحاً وبدناً وانعدام كل منها فلا حياة بعد ذلك وراء هذه الحياة الدنيا ولا بعث. والتعبير بالحسبان للاعلان ببطلان هذا الزعم وفساده .

والمراد بسبيل الله كل سبيل شرع لاقامة الحق وإزاحة الباطل وقمعه سواء كان من الجهاد الاكبر أو الجهاد الاصغر ، وتعلم المعارف الربوبية والاحكام الشرعية ، وتهذيب النفس بما يرتضيه الله تعالى ، بل ويشمل السعي في قضاء حوائج المؤمنين تقرباً إلى الله تعالى ، فكل من قتل في سبيل تلك تشمله الآية الشريفة .

كما ان المراد بالموت هنا هو الموت الظاهري وسقوط الادراك لاجل مفارقة تلك الحياة الحيوانية المعروفة .

والحياة الثانية هي الحياة الواقعية المعنوية ، فالشهيد بالحق وفي الحق تصعد روحه الى الجنة وتعيش في المقامات المعدة لها ، فتكون ارواح الشهداء من مظاهر تجليات الحق بالحق ومن شوارق اشعة الذات غير المحدودة بحد أبدأ .

فالآية الشريفة تبين حقيقة من الحقائق الواقعية وهي الحياة بعد الموت وان الانسان بروحه لا يجسده فحسب فهي التي تشقى أو تسعد والمناقون وغيرهم غفلوا عن هذه الحقيقة واقتصروا على ما هو المحسوس وكان قصدهم من ذلك تشبیط المؤمنين عن الجهاد في سبيل الله تعالى وتقنينهم عن مأمولهم وما كانوا يرجونه في جهادهم وقتلهم في سبيل الله تعالى لكن الوجدان الانساني يعلن بطلان اقوالهم ويحكم عليهم بالخزي والعار وان نصيبهم من ذلك الحرمان والشقاء .

فالآية المباركة ترشد إلى أمر وجداني يدع عن الانسان به بعد أدنى تفكير وروية ، ولعل ذلك كله هو الوجه في تأكيد هذه الحقيقة في القرآن

الكريم وتكرارها في مواضع متعددة منه وقد تقدم في قوله تعالى :  
« ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون »  
البقرة - ١٥٤ فقد نفى عزوجل عنهم الشعور لكثرة انبهم بالماديات  
وغفلتهم عن الحقائق والمعنويات وبعد التفكير وعدم الاقتصار على  
الجانب المادي فقط في هذه الحياة تنكشف الحقيقة بوضوح ههنا  
وللاذعان بهذه الحقيقة فوائد كثيرة فانه يوجب الاعتقاد ببقاء الروح  
وانها تنتقل من عالم الى عالم آخر ، كما انه يقتضي زوال كثير من  
الحموم والغوم التي تصيب الانسان في الحياة الدنيا وشدة الاقدام  
والمثابرة في تحمل المكاره للعلم بانها اذا كانت في سبيل الله تعالى فان لها  
الجزاء الاوفى وهي توجب السعادة والعيش الهنيء في العقبى .

ولذا نرى ان هذه الحقيقة انما تذكر بعد آيات الجهاد والقتال في  
سبيل الله لما لها الأثر الكبير على الصبر في ميدان القتال والمثابرة عند النزال .  
كما ان الاعتقاد بهذه الحقيقة يكون من اسباب استكمال الانسان  
واعداد نفسه لحياة اخرى بوجه اتم واكمل كما تدل عليه ذيل الآيسة  
الشريفة وآيات اخرى في مواضع متعددة ، يضاف الى ذلك ان لها  
الأثر الكبير في النفس فتجعلها مطمئنة راضية بما قسمه الله تعالى وما  
ينزل عليها من المصائب .

قوله تعالى : بل احياء عند ربهم يرزقون .

إبطال لما زعموه في المقتولين في سبيل الله تعالى بأنهم اموات قد  
انتهت حياتهم بل هم احياء بحياة خاصة ومقربون عند ربهم يتمتعون  
بانواع الرزق في تلك الحياة الكريمة وسعداء في ذلك العالم الحميد ،  
وقد كرمهم عزوجل بذكر ( عند ) والربوبية وازافتها الى ضمير

( هم ) وفيه غاية التكريم والتبجيل وقد تقدم في آية ( ١٥٤ ) من سورة البقرة بعض الكلام فراجع .

قوله تعالى : فرحين بما آتاهم الله من فضله .

الفرح : السرور وهو ضد الحزن اي: انهم مسرورون بما وجدوه من فضل الله الذي كان حاضراً مشهوداً عندهم ، والفضل هنا يكون زائداً على الرزق فانه ما كان من غير مقابلة قال تعالى : « ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » فاطر - ٣٠ .  
وهذه الآية الشريفة تثبت الحياة الكاملة لهم بعد قتلهم ، وتبين نهاية السعادة ورفعة الدرجات .

قوله تعالى : ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم .  
مزيد بيان لتلك الحياة فانهم في نعمهم في فضل الله تعالى يفرحون بأخبار خيار المؤمنين الباقين في الحياة الدنيا ويستبشرون بسعادتهم وصلاحهم في الآخرة . وانما عبر تعالى : « من خلفهم » لبيان انهم على طريقة الشهداء ويقتفون اثرهم .

قوله تعالى : الاخوف عليهم ولا هم يحزنون .

بيان لصلاحهم في الآخرة اي : انهم يستبشرون بمن خلفهم بانهم لاخوف عليهم من المتوقع ولا هم يحزنون من الواقع وانما كان ذلك منهم مشاهدة وارشاداً للمؤمنين بأن لا يخافوا مما يصيبهم ولا يحزنوا مقابل تلك المقامات العالية .

وقد أبهم الخوف والحزن لتدل على التعميم من كل جهة يمكن ان تفرض ، لان النكرة في سياق النفي تفيد العموم .



قوله تعالى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل .

جملة مستقلة لم يذكر فيها حرف العطف اهتماماً وتمظيلاً لأن مفادها نعمة عظيمة فوق جميع النعم .

والاستبشار هو الخبر السار الظاهر سروره على البشرية وهذا الاستبشار اعم من الاستبشار بحال انفسهم والاستبشار بحال غيرهم ، وانا حصلت هذه الفضيلة لهم من مجاهداتهم في سبيل الله تعالى والاسطبار عليها .

والنعمة : هي الاجر الجزيل الذي اتخفهم تعالى به وخصهم بولايتهم ، والفضل هو الكرامة التي حباهم عزوجل زيادة على اجرهم وجزائهم نظير قوله تعالى : وللذين احسنوا الحسنی وزيادة يونس - ٢٦ . واما جمع عزوجل بين الاستبشار بانتفاء الخوف والحزن ، والاستبشار بنعمة من الله وفضل لبيان تامية النعمة وكال الحياة بعد الموت ، والارشاد الى ان اعمالهم مشكورة ومقبولة عند الله وهي محفوظة لهم قال تعالى : « وما تقدموا لانفسكم من خير تجلووه عند الله » البقرة - ١١٠ ولعله لأجل ذلك كره سبحانه وتعالى الاستبشار والفضل في الآيات المتقدمة .

وقد ابهم عزوجل النعمة و اضافها الى نفسه جمل جلاله ليقترن الفخامة الذاتية لفخامة الاضافية ، وليذهب ذهن السامع كل مذنب ممكن ، كما انه عزوجل جمع بين النعمة والفضل لبيان ان النعمة التي انعمها الله تعالى عليهم مضاعفة ولا نهاية لسرورهم ولذاتهم ولا حد لعنايتهم عزوجل بهم .

قوله تعالى : وان الله لا يضيع اجر المؤمنين .

تأكيد آخر بتوفية الله اجر المؤمنين من الشهداء وغيرهم من غير

نقصان ، والآية الشريفة تبين وجه نفخي الحزن والخوف عنهم فان الانسان انا يخاف إذا كانت النعمة التي هو فيها في معرض الزوال ، ويحزن إذا علم بفقدان السعادة التي اكتسبها فاذا تبين بأن الاعمال محفوظة عند الله تعالى وانه عزوجل لا يضيع الأجر عنده فيرتفع الخوف والحزن عنه وهذا هو الفضل الذي ذكره تعالى ابتداءً وإذا كان عزوجل هو الذي يتولى امرهم ويمنحهم الفضل الكبير لاوجه للحزن والخوف عنده .

وانما ذكر عزوجل المؤمنين تنويهاً بمقامهم السامي وان تلك المقامات التي ذكرها عزوجل انا تنال بالايمن . فا ذكره تعالى في هذه الآيات انا هو لبيان تمام النعمة والدخول في حياة كاملة لا ينقصها شيء من الكدورات وقد خصهم عزوجل بولايته ومنحهم انواع النعم . والآيات الشريفة المتقدمة من أجل الآيات التي وردت في اثبات الحياة للروح بعد الموت واثبات عالم البرزخ وتنعم ارواح الشهداء وابطال مزاعم الكفار والمنافقين في هذا المجال وهي في غاية الفصاحة والبلاغة بأسلوب جذاب لطيف في منتهى الجمال والروعة وقد ذكر عزوجل فيها من الدقائق والرموز التي لا يمكن ان يدركها عقول سائر الناس إلا بواسطة الوحي المبين وارشاد واسطة الفيض الربوبي وهي تدل على امور نحن نذكر جملة منها في المقام .

منها : انه عزوجل ذكر ابتداء الأمر بطلان كل ما قيل من السوء أو يقال في هذا المجال وبين فساد مزاعم المنافقين في ارواح الشهداء والمؤمنين وادرج جميع ذلك في قوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ، ويستفاد من ذلك ان الاعتقاد بخلاف ما ذكره عزوجل من مجرد الحسبان الذي لا واقع له .

ومنها : ثبوت الحياة الكاملة لارواح الشهداء التي شرفها عز وجل وانها حازت مقام القرب لديه الذي هو من أجل المقامات ولا يتقل مجده فوق هذه المحمدة لان الشهداء بذلوا اعز الاشياء عندهم وهي الروح فاذا فدى الانسان ما هو اعز الاشياء لديه في سبيله جلت عظمته كان الجزاء عظيماً وينال ذلك المقام العظيم وهو مقام القرب ولذا ورد في الحديث انه « فوق كل بر بر إلا القتل في سبيل الله فليس فوقه بر » والعندية المذكورة في الآية المباركة ليس المراد بها العندية الظاهرية بل العندية الواقعية الحقيقية التي لا يتقل لها احد وليس لجلالنا ولا لكاملها غاية فهي خارجة عن الحدود الامكانية وادراكات العقول ورزقنا الله تعالى لحة من لحاتها وشارقة من شوارقها .

ومنها : انها تنعم في تلك الحياة بانواع الرزق الظاهرية والمعنوية بجميع مراتبها فلا ينقص من تلك الحياة شيء من اسباب العيش الخنيء وقد منحهم عز وجل ذلك الرزق العظيم لانهم حرموا في هذه الحياة المحدودة الفانية عن تلك الارزاق ببذل اعز شيء عندهم في سبيل الله تعالى وكانوا في جهاد مستمر مع النفس الامارة واعداء الله تعالى .

ومنها: انهم فرحون بما اتاهم الله تعالى من فضله لانهم وجدوا جزاء اعمالهم تاماً كاملاً قد منحهم الله تعالى الفضل الكبير، وهذا الفرخ بما يزيد في بهجة تلك الحياة ، وانما كانوا فرحين فيها لانهم كانوا محزونون في الحياة الدنيا بسبب افعال الكافرين والمنافقين واقوالهم وما كان يصيبهم من شدة البلاء والمثابرة في سبيل الله تعالى .

ومنها : ان المقتولين في سبيل الله تعالى لما كانوا يحيون حياة كاملة ويتنعمون فيها بانواع الرزق وهم فرحون فيها لا يحزنهم شيء مما كان يحزنهم في هذه الحياة الفانية قد اتم الله تعالى عليهم النعمة وانهم في

اتصال مع خيار المؤمنين الباقين بعدهم في الدنيا يستخبرون عن احوالهم ويصل اليهم اخبارهم ويسألون عن شؤونهم ويسرون بصلاحتهم، ويفرحون بنجاتهم عن سوء العقاب .

ومنها : انهم بمشاهدتهم جزاء اعمالهم واعمال المؤمنين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وبذلك كملت حياتهم لان الحياة التي اشتمت على جميع اللذات واسباب الفرح وخلصت من جميع ما يوجب الحزن والخوف لا يعقل فوقها. كما وإذا كان ذلك على وجه الدوام والخلود ولم يكن في معرض الزوال فلا نقمة من هذه الجهة ايضاً ، فهذه هي السعادة العظمى ، ولذا نرى ان الله تعالى يؤكد على هذا الجانب في آيات اخرى قال تعالى : « وما عند الله خير وابقى » القصص - ٦٠ وقال تعالى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » النحل - ٩٦ .

ومنها : انهم في ولاية الله تعالى يرعى شؤونهم ويفيض عليهم ما يوجب استبشارهم في كل آن لانهم رأوا جزاء ما عملوا حاضراً قد زانه الفضل من الله تعالى وبعد اجتماع تلك الخصوصيات في هذه الحياة لا يعقل حياة ولا سعادة فوقها .

قوله تعالى : الذين استجابوا لله والرسول بعدما

اصابهم القرح .

الآية الشريفة بأسلوبها اللطيف تبين كيفية تأثير التربية الحقيقية المهمة في نفوس المؤمنين بعد ان وعوا تلك الدروس الهائلة التي مرت بهم في معركة احد ، وبعدها لاقوا من الشدائد والصعاب بسبب المخالفة والعصيان ، فكانت حصيلة تلك التعليمات الالهية والارشادات الربوبية انهم هبتوا من غفلتهم ، وافاقوا مما لحقهم من تبعات المعصية

والتفرق والاختلاف ، ورجعوا إلى الحق والصراط المستقيم فاجتمعت فيهم صفات الثبات والصمود والعزيمة والتوكل على الله تعالى فاطاعوا الله والرسول واستجابوا له عند ما دعاهم إلى قتال الكفار إثر المعركة السابقة فقد لاحقوا جيش المشركين في رجوعهم من معركة اخذ على ما هم عليه من الجراح وهم لا يزالون يقاسون الآلام التي انهكت قواهم واصرروا على ان لا يعودوا إلى العهد السابق حذراً من العتاب والخروج عن الحق فأدوا العمل على اكمل وجه واتقوا التقصير الذي حصل منهم في تلك المعركة فكانوا في صورة مقابلة للصورة السابقة التي حكى عنها عزوجل في قوله « إذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول بدعوكم في احرامكم » - ١٥٣ هذه هي التربية الالهية التي تؤثر في النفوس وتغيرها إلى صورة اخرى مخالفة للتي كانت عليها قبلها ، وهؤلاء هم المؤمنون الذين حكى عنهم عزوجل آتفاً بان الشهداء يستخبرون عن احوالهم ويستبشرون بجزائهم الجزيل ومقامهم الرفيع . وانما ذكر سبحانه وتعالى « لله والرسول » مع ان اطاعة احدهما اطاعة للآخر لبيان أن ما صدر منهم في أحد قد تضمن مخالفة الله وعصيان الرسول كليهما اما الاولى فقد خالفوا الله تعالى في اوامره بالصبر والثبات فعصوه بالفرار والتولي . واما عصيان الرسول ( صلى الله عليه وآله ) فقد كان بمخالفة امره بالصمود في فم الشعب ولزوم مراكرهم . وفي هذه الواقعة قد استجابوا لله والرسول فاستحقوا الثناء الجميل والاجر الجزيل .

قوله تعالى : للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم .  
ثناء جميل لمن احسن ممن استجاب لله والرسول واتقى في اقواله

سورة آل عمران ١٦٩ - ١٧٥ - ..... - ٦٩ -

وافعاله وامثله اوامر الله تعالى والرسول بحسن نية واخلاص واخترز  
عن كل ما يوجب البعد عنه عزوجل ، فان الله تعالى وان وصف  
الجميع بالاستجابة إلا انها اعم من الاحسان والتقوى اللتين عليهما مدار  
هذا الثناء والاجر الجزيل .

والاستجابة امر ظاهري تشمل جميع من تبي دعوة الرسول  
( صلى الله عليه وآله ) إلا ان وراء ذلك امراً خفياً لا يمكن ان يطلع  
عليه إلا الله تعالى وهو تحري الاخلاص ، ومراقبة العمل والتحذر مما  
يشينه فانه الاحسان الذي امرنا الله تعالى بابتغائه في جميع الاحوال .  
وإذا لازم ذلك التقوى والتحرز عما يوجب سخط الله تعالى في الاقوال  
والافعال ، فقد استحق العامل ذلك الثناء الجميل وعظيم الأجر ،  
وهذا مما يختص به طائفة معينة .

فالآية المباركة تقسم المستجيبين إلى طائفتين احدهما ما حصل  
منهم الاستجابة الظاهرية التي خلت عن الاحسان والتقوى ، والثانية  
كانت محسنة ومتقية فاستحققت عظيم الاجر .

ومن ذلك يظهر ان « من » في قوله تعالى : « فمنهم » تبعيضية  
وقيل ان « من » بيانية وعليه الاكثر . كما في قوله تعالى : « محمد  
رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم - إلى ان قال  
تعالى - وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً واجراً  
عظيماً ، الفتح - ٢٩ وعليه يكون المستجيبون لله والرسول كلهم محسنين  
ومتقين ، والجمع بين الوصفين انها يكون للمدح والتعليل لا التقييد ،  
ويمكن تقريب هذا الاحتمال على ما يوافق الاول بأن الآية الشريفة في  
الموردتين وان كانت صورتها جارية على النوع إلا ان المراد منها  
البعض بالتقريب المتقدم وفي غيره يكون التأويل خلاف السياق ويأتي

في البحث الادبي ما ينفع المقام .  
قوله تعالى : للذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم

بأخشواهم .

اثر من آثار التربية الحقة الحقيقية انهم لا يتأثرون بأقويل المرجفين

وتحذير المنافقين بل ان اثر ذلك يكون على الخلاف فزيد في ايمانهم

بالله تعالى وتوكلهم عليه عزوجل والثبات والعزيمة وقد كان ذلك فضلاً

كبيراً من الله تعالى عليهم ولذا عرف المشركون عزم المؤمنين

وذلك الثبات لم يصدقوا بأن فلول الجيش المتفرقة المضطربة في الأمان

تريد القتال مع ما بهم من الجراح فارهبتهم هذه العزيمة فأثروا الفرار

على الفرار .

والمراد بالذين هم الذين استجابوا لله والرسول فهي بدل من قوله

تعالى « الذين استجابوا » . كما ان المراد من الناس الاول هم الخاذلون

المثبطون للعزيمة الذين قد اشاعوا خبر اجتماع العدو ليخذلوا المؤمنين

عن القتال والمراد بالناس الثاني المشركون .

والظاهر من الآية المباركة انهم في كلا الموردين جماعة لا واحداً

واختلفوا في المراد من الناس الاول فقيل انه نعيم بن مسعود الاشجعي

قبل اسلامه فيكون اللفظ عاماً ويراد به الخاص ، وقيل انه ركب

من قريش وقيل غير ذلك .

قوله تعالى : فزادهم ايماناً .

اي : ان هذا القول زادهم ايماناً بالله تعالى وبرسوله لانهم

اخلصوا لله عزوجل عن جميع ما سواه واحسنوا ظنهم به جلت عظمته

وصدقوا بوعدده فأثرت فيهم التربية الحقة وجنبوا انفسهم من الرذائل

والمعاصي فتجأت في قلوبهم الانوار الربوبية فلا يبقى موضوع حيثئذ

لتأثيرها بما كان من غير الحق قولاً أو فعلاً فزيد التحذير والتخويف في اشتداد الايمان بربهم ولم يعد يؤثر في نفوسهم فان الانسان إذا لم يحسن الظن بأحد واعتقد بكونه على الخلاف ويريد الاضلال والافساد من اقواله وافعاله فانه لا يلتفت إلى تخويفه وكل ما اصر عليه زاد في تصميمه والمضي على ما يريد وقوي العزم عنده على طاعة الله والرسول وثبت على دين الحق لانه يرى نفسه محقاً وانه على يقين من نصر الله تعالى وعلى علم من ان الله عزوجل لم يتم لهم امرهم إلا مع ملاقاته الا هو ال وان النصر لا يكون إلا في الجهاد مع اعداء الله تعالى والقتال معهم .  
وانما يظهر اثر هذه الزيادة في الايمان في اعتقاده واقواله وافعاله ويشهد بذلك كاه عزمته على الاقتحام في الشدائد وتحملها في جنب الله فلا يخاف فيه لومة لائم .

قوله تعالى : وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

هذا اثر من آثار زيادة الايمان فيهم واشتداده في قلوبهم فانهم صدقوا في اقوالهم وعبروا عما يجيش في نفوسهم واعتقدوا بأن الله تعالى يكفيهم من الامور وقد اعرضوا عن ما سوى الله تعالى ، وهو نعم الوكيل الذي يسدبر أمورهم ويكفيهم اعداؤهم وينصرهم عليهم لانه لا يعجزه شيء في السموات والارض فاجتمعت النية الصادقة والفعال الحسان والقول الحق فيهم .

وحسبنا مأخوذ من الإحساب وهو الكفاية يقال احسبني الشيء اي كفاني . وقيل انه مصدر مأول باسم الفاعل اي فحسبنا . والحق هو الاول .



قوله تعالى : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء .  
ترتب هذه الآية الشريفة على الآية السابقة من قبيل ترتب المعلول  
على العلة التامة المنحصرة ، فان المؤمن إذا وكل امره إلى الله تعالى  
واعتقد انه عزوجل يكفيه ويعطيه الله تعالى الجزاء العظيم .

وقد ذكر عزوجل اموراً اربعة هي ، الانقلاب بنعمة من الله ،  
والفضل ، وصرف السوء ، واتباع الرضا .

اما النعمة : فهي عودة المؤمنين إلى التربية الحقة والاستجابة لله  
والرسول ( صلى الله عليه وآله ) ، والطاعة بعد المعصية والصمود  
بعد الخذلان وهذه هي نعمة كبرى ، فجزاهم الله تعالى بان صرف عنهم  
الأسواء والمهالك ، فا ذكره بعض المفسرين في هذه النعمة من ان  
المراد منها السلامة والعافية والرجوع عن حمراء الاسد بدون قتال انما  
هو تخصيص بلا مخصص نعم هي من لوازم تلك النعمة الكبرى .  
واما الفضل فهو زيادة الايمان وثبات العقيدة والخروج عن العصيان  
والخذلان كما حصل منهم في غزوة أحد وهذا الانقلاب كان واضحاً  
عندهم وقد استشعروا برد تلك النعمة والفضل في نفوسهم وظهرت  
آثارها على اقوالهم وافعالهم .

ومن زيادة النعمة عليهم انهم لم يمسسهم سوء فلم يصبهم قتل أو  
نكبة وبرأهم الله تعالى عن السوء الذي لاقوه في معركة احد .

قوله تعالى : واتبعوا رضوان الله .

ثناء جميل ومدح عظيم لهم ، واتباع رضوان الله تعالى هو السعادة  
العظمى ومناط كل خير وقد مدح عزوجل من اتبع رضوان الله تعالى  
في الآيات السابقة ، وفي هذه الآية الشريفة يبين تعالى حقيقته وهي

الاستجابة لله والرسول ، وشرطها الاحسان والتقوى .

قوله تعالى : والله ذو فضل عظيم .

لانه تعالى وفقهم لهذه التربية الصالحة ومن عليهم ان استجابوا لله والرسول ، واخرجهم عن ما هم عليه في معركة أحد فعادوا إلى الصراط المستقيم وزاد ايمانهم وقويت عزيمتهم واشتد توكلهم على الله تعالى ومن الفضل عليهم انهم مع ما هم عليه من الجراح والشدة ان العدو لما رأى فيهم العزيمة على القتال خشي ان يتقلب عليه الامر فتقع عليه الهزيمة والفرار دون القتال وهذا هو الفضل العظيم على المؤمنين في هذه الحال .

قوله تعالى : إنما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه .

بعدما اثبت سبحانه وتعالى ان المؤمنين خرجوا عن غفلتهم وعصيانهم بالاستجابة لله تعالى والرسول وانقلبوا عن التفرق والاختلاف والطاعة وتفضل عليهم ربهم ان من عليهم وثبتهم وهداهم إلى الصراط المستقيم فعادوا اقوى عزيمة وأتم ايماناً واشد توكلًا على الله تعالى إلا ان الشيطان يلعب دوراً هاماً في حياة الانسان يتربص بالمؤمنين الدوائر ويريد إغواءهم ويبث اولياءه واعوانه ليقوموا بهذه المهمة فينشروا الفساد في الارض ويروجوا الضلال ، فكان ذلك النداء الشيطاني بالخشية من العدو حفظاً لاوليائه وحماية للكفر والضلال وتشتيتاً للمؤمنين عن القتال بالقاء الرعب والخوف في نفوسهم ليخضعوا لهم .

والآية الشريفة ترشد المؤمنين الذين كل ايمانهم واهتموا بهدى الله تعالى وتوكلوا عليه عزوجل حق التوكل إلى امر مهم يمس عقيدتهم ومعادتهم في الدارين وهو ترك الرهبة والخوف من الشيطان واوليائه

وعام الوقوع في حباله ووساوسه لان الخوف يستوجب الوهن في العزيمة ويلزم ذلك الطاعة لمن يخاف منه فمن خاف الله تعالى فانه لا محالة يتبع احكامه فيبتعد عن الشيطان ، وإذا خاف الشيطان واوليائه فانه يطيعه ويقم حكمه فيبتعد عن الله تعالى وهذا هو السبب للتأكيد على ترك خوف الشيطان بقوله تعالى « فلا تخافوهم وخافون » .  
واسم الاشارة في قوله تعالى : « انما ذلكم الشيطان » انا راجع إلى الناس المذكور في قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس فيكون من اطلاق الشيطان على الشياطين . وإما ان يرجع إلى الوسوس الحاصلة بين الناس من الشيطان ، وانما اتى بضمير ذوي العقول ترجيحاً للموسوسين على نفس الوسوسة .

قوله تعالى : « فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » . لان الايمان يستلزم خوف الله تعالى ، والخوف يوجب الطاعة كما عرفت والله تعالى هو ولي المؤمنين وناصرهم وقد وعدهم النصر وحسن الجزاء فلا ينبغي الخوف من غيره فالسعادة في خوف الله جلّت عظمته وتقواه دون غيره .

وفي الآية الشريفة الذم لابليس واوليائه والبشرى للمؤمنين ومن اتبع رضوان الله تعالى بالأمن من شر الشيطان واوليائه ، ولا تختص الآية الكريمة بخصوص مشركي قريش وغيرهم للموم في الطرفين .

## بحوث المقام

### بحث ادبي :

المفعول الاول في قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً » محذوف وهو انفسهم .  
وقوله تعالى : « عند ربهم » قيل انه في محل رفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر ، أو صفة لـ (احياء) ، أو في محل نصب على انه حال من الضمير في « أحياء » .  
وقوله تعالى : « فرحين » منصوب إما على انه حال من الضمير في « يرزقون » أو يكون على المدح أو الوصفية .  
ويستبشرون عطف على « فرحين » ويحتمل ان تكون جملة استئنافية أو على تقدير (وهم يستبشرون) فتكون حالاً في الضمير من (فرحين) .  
وقوله تعالى : « ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » بدل اشتمال من « الذين من خلفهم » مبين للاستبشار .  
والذين في قوله تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول » مبتدأ والخبر قوله تعالى : « للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم » . وقيل انه منصوب باضمار اعني وقيل انه في موضع رفع على اضمار «هم» .  
ومنهم في قوله تعالى « للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم » حال من الضمير في احسنوا . ومن للتبعيض ، كما عرفت .  
وقيل انها للبيان . ويرد عليه ان التي للابهام لا بد ان تكون مباينة

فيه ابهام في جنسه ويكون في مجرورها بيان يرفع ذلك الابهام ، ولا ابهام في الآية الشريفة حتى يرفع بـ من ومجرورها . ومما يهون الخطب انه يمكن ارجاع ذلك إلى القول الاول كما عرفت في التفسير .

وقيل ان « من » للتبعض والضمير يرجع إلى المؤمنين في آخر الآية السابقة اي : ان من المؤمنين من لم يخرج إلى حراء الاسد . وعلى هذا لا بد من نصب ( الذين ) على المدح في اول الآية المباركة إذ لا يستقيم ذلك على كون ( الذين ) مبتدأ والخبر جملة « للذين احسنوا منهم » إذ تبقى الجملة بلا رابط .

ويرد على نصب ( الذين ) على المدح انه لا عطف يدل على المغايرة مضافاً إلى ان جعلها منصوباً على المدح بعيد ، إذ لا دليل عليه . والذين في قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس » بدل من « الذين استجابوا » أو صفة .

والمخصوص بالمدح في قوله تعالى : « ونعيم الوكيل » محذوف هو ضميره تعالى والجملة الخبرية ، وفي الآية الكريمة كلام طويل في عطف الجملة الانشائية على الجملة الخبرية .

والحق ان كل ذلك تطويل بلا طائل تحته ، بل ان جميع هذه الآيات حمل مستقلة ووردت في مقام مدح المؤمنين وبيان صفاتهم ووجيء بالواو لتزيين الكلام .

وجملة « يخوف اوليائه » جملة مستأنفة مبينة لشيطنة الشيطان ، أو حال . وخاف يتعدى إلى مفعول واحد ، ويتعدى بالتشديد إلى مفعول ثان ، وقد يحذف المفعول الاول كما في الآية الشريفة فان الاصل يخوفكم اوليائه . وقد يحذف المفعول الثاني كما تقول خوفي عمرو .

## بحث دلالي

تدل الآيات الشريفة على امور :

الاول : يدل قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً ، على حقيقة من الحقايق الواقعية التي كشف عنها القرآن وأكد عليها في مواضع متفرقة وهي تجرد الارواح وحياتها بعد الموت وقد كانت هذه الحقيقة مورد البحث والنظر من اول حدوث العالم ، فالروح جوهر مجرد مختلف التكون عن غيرها وهي من شعاع الذات المقدسة غير المتناهية .

والآية المباركة رد على شبهات المنافقين والمشركين من ان الانسان يموت حين القتل في سبيل الله والموت نهاية الحياة في الارض فتذهب ذكراه ولا يبقى له اسم ولا رسم بعد فترة تطول أو تقصر .

والمستفاد من الآية الشريفة انها تثبت الحياة بعد القتل ، وتبين أجر المؤمنين وهو الرزق عند الله تعالى ، وانه نعمة من الله تعالى وفضل منه ، وزاد عز وجل عليهم انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذه كلها من اهم مقومات الحياة الكاملة السعيدة الهنيئة في عالم البرزخ .

الثاني : يستفاد من قوله تعالى : « فرحين بما آتاهم الله من فضله » ماهية هذه الحياة السعيدة وحقيقتها التي تقوم بالفرح والاستبشار ونفي الحزن والخوف ، وهي مرزوقة عند الله تعالى وهذا هو الحد الفاصل في ما يقال في هذه الحياة ، فلا يصغي إلى ما قد قيل فيها من ان ارواح المؤمنين في حواصل طير خضر ، فان ارواح المؤمنين اجلّ قدرأ من ان

يجعلهم الله تعالى في تلك الحواصل ، بل هو نحو من التماسخ الذي ثبت بطلانه .

وقد انعم تعالى عليهم بانواع الرزق ، واعزهم بأن جعلهم (عنده) .  
الثالث : يدل قوله تعالى : « عند ربهم » على سنخية ارواح المؤمنين لعالم القدس كيف لا وان الله تعالى خلقها من روحه . قال عز وجل : « ونفخت فيه من روحي » ص - ٧٢ فنزلت من المحل الاربع لتتحد مع البدن برهة من الزمن وبعد الموت أو القتل تصعد الى محلها فتكون عند ربها ، وهذه العنودية اعظم قدراً من العنودية المكانية أو الزمانية بل هي تبين حقيقة تلك الارواح المقدسة التي خلقت من روح الله جلت عظمتة .

فاختلاف العلماء والمفسرين في المراد من قوله تعالى « عند ربهم » لا وجه له بعد ملاحظة سياق الآية الشريفة وما ورد في هذا المضمار في مواضع متعددة من القرآن الكريم قال تعالى : « والله عنده حسن المآب » آل عمران - ١٤ وقال تعالى : « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخير » ص - ٤٧ وغيرهما من الآيات الشريفة .

الرابع : يدل قوله تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح » على ان القرح وما يصيب المؤمنين في ميدان القتال مع اعداء الله تعالى في اثبات الحق وإعلاء كلمة الدين وإزهاق الباطل له الاثر الكبير في تهذيب المؤمنين وارجاعهم الى الصواب بل له دخل في النظام الاحسن فان ملاقاته المؤمنون من المصائب والمتاعب بسبب عصيانهم وفشلهم والعتاب الشديد العنيف تارة والخفيف اللطيف اخرى كان السبب في زيادة ايمانهم والرجوع الى التربية الحقة والانقلاب عن التفرق والاختلاف الى الطاعة والاتحاد وشدة العزيمة والتوكل على

الله تعالى فهو من المقتضيات في إعداد الانسان نفسه بالدخول في السير التكاملي . ولأجل ذلك كانت المصائب والقرح الذي لحقهم في معركة أحد من اهم طرق التربية الالهية الحقة . ولذا عدّ سبحانه وتعالى تلك نعمة ربانية وفضلاً من الله تعالى عليهم لانها كانت من الاسباب المهمة في تقويم النفوس واحياء القلوب فقد رجعت الى الحق وخلصت في ايمانها واشتد توكلها عليه تعالى فكان في الخذلان والهزيمة والمعصية دروساً كبيرة اثرت في نفوسهم بل كانت معركة أحد أهم مدرسة للمؤمنين عبر التاريخ .

الخامس : يمكن ان يجعل قوله تعالى : « للذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح » من الآيات الدالة على لزوم مراعاة الاستقامة الحقيقية للحق في الحق نظير قوله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ان لا يخافوا ولا يحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » فصلت - ٣٠ وقوله تعالى : « فاستقم كما امرت ومن تاب معك » هود - ١١٢ وقوله تعالى : « وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » الجن - ١٦ إذ لا ريب في ان بناء الشيطان واوليائه انا هو التشكيك في عقيدة المؤمنين وبث الاشواك والمزائق في طريق الوافدين الى الله تعالى لان العبد حينئذ انا ازال جميع الحجب الظلمانية عن نفسه بالصبر والمثابرة حتى وصل الى معدن النور والعظمة فلم يبق في البين إلا سرادق الجلال والجمال التي قال فيها جبرائيل اعظم الاملاك : « لو دثوت انملة لاحترقتم » ولعل المراد بالاحتراق انطاس الحدود الامكانية بالكلية.

السادس : يدل قوله تعالى : « للذين احسنوا منهم واثقوا أجر عظيم » ان الاحسان والتقوى هما المناط في القرب الى الله تعالى واحراز



الاجر العظيم والثناء الجميل وهذان الامران لا يتوفران في كل احد لان المؤمنين على درجات متفاوتة والاحسان والتقوى يكشفان عن شدة الخلوص لله تعالى فيهم وكمال الايمان عندهم وشدة ارتباطهم مع الله تعالى وذلك هو السبب في استحقاقهم لهذا الاجر العظيم الذي ابهه تعالى ليذهب ذهن السامع إلى كل مذهب امكن .

السابع : يستفاد من قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا » حقيقة من الحقائق القرآنية وهي دأب المنافقين واهل الباطل على التشكيك في معتقدات المؤمنين واهل الحق والسعي في فسخ عزائمهم ونقض همهم والقاء الرعب والخوف في نفوسهم وهما مصدران لكل الفساد والخروج عن الطاعة ، والطغيان على الاوامر الالهية والاحكام الربوبية .

وتبين الآيات الكريمة ان ذلك ناشىء من المضادة التي هي بين الطرفين كما ان اهل الحق يسعون في ابطال مزاعم المنافقين وافساد مكرهم وكيدهم بالطاعة لله تعالى والرسول والاستجابة لاوامرهما ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارشادات الحقة ولا تزول تلك المضادة إلا باضمحلال احد الضدين كما هو واضح بالوجدان .

الثامن : يستفاد من قوله تعالى : « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » كمال ايمانهم وخلوصهم فيه وانهم كانوا مخلصين لله تعالى مسلمين امرهم اليه عزوجل قد اكتفوا بالله سبحانه عن غيره من الاسباب ، واعتقدوا بأن الله ناصرهم ومؤيدهم ، كما قال تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ امره » الطلاق - ٣ فلا يخشون غير الله تعالى ولا يخافون لومة لائم وقد صدق الله وعده فيهم بأن قال : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » واعطاهم الأجر العظيم .

التاسع : استفاد من ظاهر الآية الشريفة : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » ان مضمونها لا تختص بحالة دون اخرى ولا بعالم دون آخر .

والمراد بالانقلاب المعنى العام الشامل للتحويلات الدنيوية والبرزخية والاخروية ، كما ان المراد بالنعمة والفضل ايضاً كذلك ، وتشمل النعم الدنيوية والمثالية والاخروية والوجه في ذلك ان الموضوع كلما اتسعت جهات كماله وفضله إتسع جميع جهات الاضافة إلى الله تعالى والمنعم إذا كان محيطاً ووسيعاً من جميع الجهات المفروضة فيه ، فلا يعقل وجه للتخصيص حينئذ ، وجهة التعميم تارة مأخوذة في الكلام كما إذا قيل : لا تأكل الرمان لانه حامض فيشمل الكلام كل حامض ، واخرى مأخوذة في السياق العام من الكلام ، والثانية اولى من الاول بمراتب ، وقد اشتهر في العلوم الادبية ان الكناية ابلغ من التصريح والقرآن العظيم مشتمل على انحاء الكتابات والاستعارات والتشبيهات البليغة وفقنا الله تعالى للتدبر فيها .

العاشر : استفاد من قوله تعالى ، « والله ذو فضل عظيم » ان من لم يتصف بما ذكر في الآيات السابقة قد فوت على نفسه امرأ عظيماً لا يمكن ان يتدارك وهو جدير بأن يتحسر على ما فاته .

الحادي عشر : استفاد من قوله تعالى : «إنا ذلكم الشيطان يخوف اوليائه » ان الخوف الناشئ من الامور الدنيوية انما يكون منشأه الشيطان الذي يريد ان يخرج الانسان بسببه عن طاعة الله تعالى والاحجام من تنفيذ أوامره واحكامه عزوجل والخوف الذي يكون مصدره الشيطان هو من اهم سبله التي يتوصل بها لاغواء الانسان ولذا امرنا عزوجل بعدم الخوف وحصره الله تعالى في نفسه ، فان الخوف منه عزوجل

مصير كل خير ومبعث كل سعادة فالآية المباركة ترشد المؤمنين إلى الصراط المستقيم والكمال العظيم الذي لا كمال فوقه كما انها تنبه المؤمنين إلى الموازنة بين ولي الكافرين والمشركين والمنافقين واهل الباطل الذي عجز عن نصرهم وبين ولي المؤمنين الذي لا يعجزه أمر وهو القادر على كل شيء .

الثاني عشر : يدل قوله تعالى : « ان كنتم مؤمنين » على ان الايمان جنة واقية تحرس صاحبه من الخوف عن غير الله تعالى . وان الايمان مع الخوف من غير الله تعالى هما ضدان لا يجتمعان فمن يرجع الخوف من اولياء الشيطان فان ايمانه مشكوك فيه ، فهذه الآية الشريفة من الآيات التي ينبغي ان يوزن الانسان نفسه وایمانه واعماله بها .

### بحث عرفاني

يستفاد من قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله » كمال العناية بالشهداء الذين قتلوا في سبيل الله فقد ارادوا من جهادهم وبذل ارواحهم العالية في اعلاء كلمة الله واحياء الحق وامانة الباطل فاعطاهم الله تعالى الاجر الجزيل والثناء الجميل ، والذكر الحميد ، ومنحهم السعادة الكبيرة ان جعلهم عنده يرزقون ويستبشرون ويفرحون قد خلت حياتهم عن كل ما ينفصتها من الخوف والحزن والآلام ، فاذا كان الجهاد الاصغر له هذه الحظوة عند خالق الارواح ، فما ظنك بالجهاد الاكبر مع النفس الامارة لكسر سورتها ، وقمع الهوى بالصبر والاصطبار وكان العبد معه مطيعاً لمولاه مخالفاً لهواه مراقباً لنفسه

وأعماله وأقواله فإن له الفضل العظيم والمنزلة الكبرى عند الله عز وجل قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » العنكبوت - ٦٩ والجهاد الأصغر وإن كان في وقت معين معلوم أما الجهاد الأكبر فإن مدته أطول ومعاناته أشد وأعظم .

والمجاهدون مع النفس الامارة لهم الحياة الحقيقية لأن الأرواح لها نحو تعلق خاص بالمبدأ الفياض ، والحى القيوم فإذا اشتد ارتباطها معه اشتقت إليه ، وإن حبها له قد تصل إلى مرتبة لا تحس بآلام الجراح ووقع السيوف مثل ما نسب إلى علي ( عليه السلام ) من عدم توجهه إلى اخراج السهم من بدنه حين اشتغاله بالصلاة وقد نظم هذه القضية جملة من العرفاء بأشعار لطيفة وما نسب إلى الصادق ( عليه السلام ) من مشيه على النار وقوله ( عليه السلام ) : « أنا ابن إبراهيم الخليل » إلى غير ذلك من آثار ذلك العالم الواسع الذي لا يمكن أن يحيط به بيان فإنه لا يهتدي من الجنة إلا بعض ثمارها لاتمام أشجارها . وحينئذ يقدر العبد المجاهد المؤمن على الخلع واللبس ، ومن حيث شروق نوره على هذا البدن يتحرك البدن بقدر ذلك الشارق ، ومع ذلك هذه المرتبة قد يصل إلى مرتبة جمع الجمع بأن يكثر بدنه كما نسب إلى بعض الأولياء من وجودهم في زمان واحد في امكنة متعددة ، وقد رأينا بعض مشائخنا ( رضوان الله تعالى عليه ) ورآه بعض أصحابه في عين هذا البدن في محل آخر ، ولكن لا يعد ذلك شيئاً في مقابل تلك المجاهدات لشدة تفانيه في مرضاة الله تعالى ومن هنا تنكشف أبواب من المعارف .

ويمكن أن يكون قوله تعالى : « للذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » إشارة إلى بعض مقامات العارفين بالله في سيرهم

وسلوكهم ، وهم الذين طرحوا جميع الجهات الجسمانية للوصول الى المعشوق الحقيقي والمحجوب الواقعي ، فيكون ألم النبال والسهام في ذلك يسير ووقع الصمصام على ابدانهم سهلاً حقيراً ، بل وجدوا في ذلك التذاذاً كبيراً ، وهم الذين سمعوا زئير جهنم بأذانهم ورأوا الحور المقصورات في الخيام بأعينهم ، فتجاوزوا عن ذلك كله وخرقوا جميع الحجب الظلمانية بهمهمم العالية وطرحوا حدود الامكانية فوصلوا الى حد الوجوب ورأوا ان الاملاك قد وضعت اجنحتها تبركاً بمقدمهم ووصلوا الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فنزلت عليهم انوار الجمال واستشرقوا من مشارق الجلال الى غير ذلك من جذبات الحبيب التي يبهر فيها كل عاقل لبيب . رزقنا الله تعالى رشحة من تلك الرشحات ونسمة من تلك النفحات .

وخلاصة الكلام ان هذه الطائفة من المخلصين ( بفتح اللام ) هم الذين تابعوا نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) حيث قيل له : « هل لك شيطان يارسول الله ؟ قال ( صلى الله عليه وآله ) : نعم ولكن اسلمت شيطاني بيدي » .

### بحث روائي

في المجمع في قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً - الآيات - » عن الباقر ( عليه السلام ) « نزلت في شهداء بدر وأحد معاً » .

اقول : وردت في ذلك روايات متعددة في بعضها انها نزلت في

شهداء أحد خاصة وفي بعضها في شهداء بئر معونة وقصتهم مشهورة  
وذكر كل ذلك من باب المثال لا التخصيص كما هو كذلك في شأن  
زول الآيات .

وفي تفسير القمي في قوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله  
امواتاً - الآية - « عن أبي بصير عن أبي عبد الله ( عليه السلام )  
قال : « هم والله شيعتنا إذا دخلوا الجنة واستقبلوا الكرامة من الله  
استبشروا بمن لم يلحق بهم من اخوانهم من المؤمنين في الدنيا » .  
اقول: المراد من الشيعة هنا من تابع رسول الله ( صلى الله عليه وآله )  
في اعتقاده وافعاله واقواله حتى في قوله ( ص ) : « انى تارك فيكم  
الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي » وقوله ( ص ) : « من كنت  
مولاه فهذا اهل مولاة » الى غير ذلك من الأحاديث التي رواها  
المسلمون في شأن ذلك .

وفي تفسير العياشي في الآية المتقدمة ايضاً عن الصادق ( عليه السلام )  
« هم والله شيعتنا حتى صارت ارواحهم في الجنة واستقبلوا الكرامة  
من الله عز وجل واستيقنوا انهم كانوا على الحق وعلى دين الله عز وجل  
فاستبشروا بمن لم يلحقوا بهم من خلفهم من المؤمنين » .  
اقول : المراد من الشيعة من تابع رسول الله ( صلى الله عليه وآله )  
فان متابعتهم متابعتهم ايضاً كما مر في الرواية السابقة

وفي تفسير العياشي ايضاً عن جابر عن أبي جعفر ( عليه السلام )  
قال : « اتى رجل رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فقال : انى  
راغب نشيط في الجهاد في سبيل الله قال ( ص ) : فجاهد في سبيل  
الله فانك إن تقتل كنت حياً عند الله ترزق وان مت فقد وقع اجرک  
على الله وان رجعت خرجت من الذنوب إلى الله هذا تفسير » ولا

تحسين الدين قتلوا في سبيل الله امواتاً ، .  
اقول : لا منافاة بين هذا التفسير وما مر من قول الصادقين  
( عليهما السلام ) .

وفي اسباب النزول عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى  
الله عليه وآله ) لما اصيب اخوانكم بأحد جعل الله ارواحهم في اجواف  
طير خضر ترد انهار الجنة ، وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل  
من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب ما آكلهم ومشربهم  
وا ( حسن ) مقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا ( عنا ) انا في الجنة  
نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب ؟ فقال الله عز وجل  
انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى : « ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل  
الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون » .

اقول : رواه في الدر المنثور وقال اخرج احمد وابن داود ، وابن  
جرير ، وابن المنذر ، والحاكم - صححه - والبيهقي من الدلائل وغيرهم  
رووا جميعاً عن أبي سعيد الخدري ، وعبدالله بن مسعود ، وأبي العالية  
وابن عباس وغيرهم ، وهي وان اختلفت في بعض الالفاظ ولكنها  
متشاربة في المعنى . وهذه الروايات لا بد من تأويلها على نحو تساو القواعد  
العقلية والنقلية ، والمؤمن اعز على الله تعالى من ان يحصره في حواصل  
الطير ، ويمكن ان يراد بحواصل الطيور الخضر الأبدان المثالية التي  
تكون لهم في ذلك العالم ، وقد تقدم ما يتعلق بهذه الروايات في  
سورة البقرة آية - ١٥٣ .

وفي الدر المنثور في قوله تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول  
من بعدما اصابهم القرع للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم »  
اخرج ابن اسحاق وابن جرير ، والبيهقي في الدلائل « انها نزلت

في حمراء الامد ، وفي تفسير القمي أيضاً انها نزلت في حمراء الامد .  
وفي المجمع عن الباقر ( عليه السلام ) في الآية المباركة انها نزلت  
في غزوة بدر الصغرى .

اقول : يأتي في البحث التاريخي تفصيل الكلام .

وفي اسباب النزول في قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس إن  
الناس قد جمعوا لكم ، عن قتادة : « ذلك يوم بعد القتل والجراحة  
وبعدما انصرف المشركون - أبو سفيان واصحابه - قال نبي الله لاصحابه  
الاعصاب تشدد لامر الله فتطلب عدوها فانه انكى للعدو ، وأبعد  
للسمع ، فانطلق عصابة على ما يعلم الله تعالى من الجهد حتى إذا كانوا  
بذي الحليفة جعل الاعراب والناس يأتون عليهم فيقولون : هذا أبو  
سفيان مائل عليكم بالناس ؛ فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل  
الله تعالى فيهم قوله : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا  
لكم ، ، وفي المجمع وتفسير القمي عنها ( عليها السلام ) في الآية  
يعنى نعم بن مسعود الاشجعي .

اقول : انه على تقدير كون الغزوة هي غزوة بدر الصغرى وإلا  
فان الناس المحذرين هم غيرهم ويحتمل ان يكون هذا الشخص قد  
حذر المؤمنين في الغزوتين فلا منافاة في البين .  
وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال رسول الله  
( صلى الله عليه وآله ) إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا « حسبنا  
الله ونعم الوكيل » .

وفيه أيضاً عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) انه قال :  
« حسبي الله ونعم الوكيل أمان كل خائف » .  
اقول : على فرض صحتها فانها تدلان على اهمية الآية الشريفة على كل تقدير .



## بحث تاريخي

تقدم ان قوله تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعدما اصابهم القرع » يشير إلى وقعة اخرى من وقعات الرسول ( صلى الله عليه وآله ) التي كانت مع المشركين والكفار واعداء الله تعالى لتثبيت الاسلام والدفاع عنه وعن المؤمنين من كيد المشركين والكافرين والمنافقين وابطال مزاعمهم وتقدم في أحد مباحثنا السابقة ذكر عدد غزوات الرسول ( صلى الله عليه وآله ) وسراياه ، وتكلمنا عن غزوة احد مفصلاً ونذكر في المقام ما يتعلق بغزوة حراء الاسد وموقعها ، واسبابها ، واهدافها .

وقبل ان نذكر ذلك لابد من التنبيه على أمر وهو ان المعروف بين العلماء والمفسرين أن الآيات المتقدمة نزلت في شأن غزوة حراء الأسد على ما عرفت وقد وردت في ذلك احاديث من الفريقين ، وذهب جمع من المفسرين إلى ان الآية الكريمة نزلت في خروج رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بمن معه لموعد أبي سفيان في غزوة بدر الصغرى في السنة الرابعة في شهر ذي القعدة رأس الحول من وقعة أحد على ما رواه الواقدي ، أو في شعبان من السنة الرابعة في رواية الدر المنثور عن مغازي ابن عتبة ، ودلائل البيهقي . وفي تاريخ ابن جرير عن ابن اسحاق ، وفي الدر المنثور عن ابن شهاب قال : « ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) استنفر المسلمين لموعد أبي سفيان بدرأ فاحتمل الشيطان اولياءه من الناس يخوفونهم وقالوا :

قد اخبرنا ان العدو قد جمعوا لكم من الناس مثل الليل يرجون ان يواقعوكم فيثبتوكم فالخذرا الحذر ، فعصم الله المسلمين من تخويف الشيطان فاستجابوا لله ورسوله وخرجوا ببضائع لهم ، وقالوا : ان لقينا ابا سفيان فهو الذي خرجنا له ، وان لم نلقه اتبعنا بضائعتنا وكان بدر متجرأ يوافي كل عام فانطلقوا حتى أتوا موسم بدر فقصوا منه حاجتهم ، واخلف أبو سفيان الموعد فلم يخرج هو ولا اصحابه ، ومروا عليهم ابن حمام فقال من هؤلاء ؟ قالوا رسول الله واصحابه ينتظرون ابا سفيان ومن معه من قريش فقدم على قريش فأخبرهم فارعب أبو سفيان ورجع إلى مكة وانصرف رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) إلى المدينة بنعمة من الله وفضل فكانت تلك الغزوة تعد غزوة جيش السوق وكانت في شعبان من السنة الرابعة ، وروي قريب منه عن أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) وفي المجمع رواه أبو الجارود عنه ( عليه السلام ) أيضاً .

ولكن الاول هو المعروف بين العلماء والمفسرين ورواه القمي في تفسيره بطريق معتبر ، والشيخ الطوسي في التبيان وقد نسب الثاني إلى القبيل . وكيف كان فان تسمية هذه الواقعة بالغزوة باعتبار خروج رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بنفسه الشريفة على ما اصطاح عليه العلماء ، وإلا فانه لم يكن في هذه الواقعة قتال ، بل كان المقصود منها مطاردة المشركين ، وابطال نواياهم ، وافساد ما كانوا يشنونه من الحرب الدعائية ضد المسلمين ، فانهم كانوا يذكرون نتائج غزوة احد ويظهرونها بمظهر يرفع من قدرهم والخط من قدر المسلمين على ما استعرف ، فتسميتها بقوة مطاردة لها اهداف معينة غير القتال لما كان يعلم رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) انه لم يقع قتال اولى وقد تحققت تلك الأهداف بأحسن وجه .

## الموقع والزمان :

حمراء الأسد : سوق للعرب على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الخليفة ، والمعروف انه انتهى اليها رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في اليوم الثاني من يوم أحد ، فان وقعت أحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة وفي اليوم الثاني من يوم أحد اي اليوم الخامس عشر من شوال ، ولما كان الغد أذن مؤذن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بالغزو ، وقال : « لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس » فاستجاب المؤمنون لله والرسول فخرجوا إلى حمراء الأسد فاقاموا بها ثلاثة ايام ثم رجعوا إلى المدينة حين علم ( صلى الله عليه وآله ) ان قريشاً قد استمرت إلى مكة وقال : « والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها كانوا كأمس الذاهب » .

## العدد :

عدد المسلمين الذين خرجوا للحرب كما في تفسير العياشي : « ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بعث علياً ( عليه السلام ) في عشرة استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح » وفي اسباب النزول للواحدى : « ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) استنفر الناس بعد أحد حين انصرف المشركون فاستجاب له سبعون رجلاً » ويمكن رفع الاختلاف بان رواية الواحدى وردت في مجموع الذين

استجابوا لله والرسول ، ورواية القمي وردت في خصوص المحسنين  
 والمتقين منهم .  
 وفي تفسير القمي : « فلما دخل رسول الله المدينة نزل عليه جبرئيل  
 فقال : يا محمد إن الله يأمرك ان تخرج في إثر القوم ولا يخرج معك إلا  
 من به جراحة ، فأمر رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) منادياً  
 ينادي يا معشر المهاجرين والانصار من كانت به جراحة فليخرج ومن  
 لم يكن به جراحة فليقم ، فاقبلوا يضميدون جراحاتهم ويداوونها فأنزل  
 الله تعالى على نبيه : « ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون  
 كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » وهذه الآية ( المباركة ) في  
 سورة النساء ويجب ان تكون في هذه السورة قال عز وجل : « وان  
 عمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداؤها بين الناس  
 وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » فخرجوا على ما بهم من  
 الألم والجراح ، فلما بلغ رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بحمراء  
 الأسد وقريش قد نزلت الروحا قال عكرمة بن أبي جهل ، والحارث  
 ابن هشام ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ترجع فنغير على  
 المدينة فقد فقد سرائهم وكبشهم يعني حزة فوافاهم رجل خرج من المدينة  
 فسأله الخبر ، فقال تركت مجداً واصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جد  
 الطلب ، فقال أبو سفيان : هذا النكد والبغي قد ظفرنا بالقوم وبغينا  
 والله ما افلح قوم قط بغوا ، فوافاهم نعم بن مسعود الأشجعي فقال  
 أبو سفيان اين تريد ؟ قال المدينة لامتار لأهلي طعاماً ، قال هل لك  
 ان تمر بحمراء الأسد وتلقى اصحاب مجد وتعلمهم ان حلفاءنا وموالينا  
 قد وافونا من الاحابيش حتى يرجعوا عنا ولك عندي عشرة قلابص (الابل)  
 املؤها تمرأ وزيبأ ؟ قال : نعم ، فوافي من غد ذلك اليوم حمراء

الأسد فقال لأصحاب محمد ( صلى الله عليه وآله ) ابن تريدون قالوا :  
 قريش ، قال : ارجعوا فان قريشاً قد اجنحت اليهم حلفاؤهم ومن  
 كان تخلف عنهم وما اظن إلا واوائل القوم قد طلغوا عليكم الساعة  
 فقالوا « حسبنا الله ونعم الوكيل » ونزل جبرئيل على رسول الله  
 ( صلى الله عليه وآله ) فقال : ارجع يا محمد فان الله قد اربق قريشاً  
 ومروا لا يلون على شيء ورجع رسول الله ( صلى الله عليه وآله )  
 إلى المدينة وانزل الله : الذين استجابوا لله والرسول من بعدما اصابهم القرع .  
 اقول : قوله ( عليه السلام ) : « ويجب ان تكون في هذه السورة »  
 ايس المراد الوجوب الاصطلاحي حتى يستلزم التحريف ولعل المراد  
 المناسبة السياقية كما يدل عليه ذيل الحديث أيضاً .

### الاسباب :

اما اسباب هذه الواقعة فهي متعددة ويمكن تلخيصها في امور :  
 الاول : الخشية من مدهامة العدو لمدينة استغلالاً منهم لضعف  
 المسلمين وما اصابهم في أحد ففي الدر المنثور اخرج النسائي وابن  
 أبي حاتم والطبراني عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لما رجع  
 المشركون عن أحد قالوا : لا مجدأ قتلتم ولا الكواعب اردفتن بثس  
 ما صنعتن فسمع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بذلك فندب  
 المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الاسد - إلى ان قال - فقال المشركون  
 نرجع قابل فرجع رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فكانت تعد غزوة .  
 الثاني : بلوغ رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ان المشركين قد

ازمعا على الرجعة ، ففي الدر المنثور عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حرم قال : « خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله ) بحمراء الأسد ، وقد اجتمع أبو سفيان بالرجعة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله ) واصحابه ، وقالوا : رجعنا قبل ان نستأصلهم لنكون على بقيتهم ، فبلغه ان النبي (ص) خرج في اصحابه يطلبهم فبني ذلك أبا سفيان واصحابه . »

الثالث : الحرب الدعائية التي شنها المشركون باظهار نتائج غزوة احد بمظهر يرفع من قدرهم ويحط من قدر المسلمين ، ومن المعلوم ان لذلك اثراً كبيراً في وهن العزيمة ، وتفكيك القوى والقاء الخلاف في الصفوف وهو زوال الهبة التي اكتسبها المسلمون في غزوة بدر .  
الرابع : إعادة الكرة في التطهير العام لإعادة النظام وتمييز المؤمن المستسلم عن غيره والقاء الرعب في قلوب الاعداء .

### الاهداف :

كانت لهذه الوقعة اهداف معينة وقد حصلت جميعها وهي متعددة منها : 'إزالة اثار الهزيمة عن نفوس المؤمنين ، فانه لو استقرت في قلوبهم لأورثت الرعب في قلوبهم وبقيت اثار الخوف في نفوسهم فلا يعودون يقتحمون ميدان الجهاد بسهولة ، وكانت لهذه الوقعة الاثر الكبير في ازالة تلك الآثار وتشجيعهم على القتال ، والقاء الرعب والخوف في قلوب الاعداء فانهم لم يصدقوا ان افراداً من الطائفة التي منيت بالهزيمة بالامس وقتل صناديدهم وشجعانهم قد تجمعت اليوم لقتالهم

وهي مشغنة بالجراح فارهبتهم هذه العزيمة فخشوا ان تنقلب عليهم  
الدائرة فيذهب ما احرزوه من النصر بزعمهم .  
وفي اسباب النزول : « قال نبي الله ( صلى الله عليه وآله )  
لاصحابه ألا عصابة تشد لأمر الله فتطلب عدوها فانه انكفى للعدو وأبعد  
للسمع فانطلق عصابة على ما يعلم الله تعالى من الجهد - الحديث - .  
ومنها : ظهور التربية الالهية فيهم فراحم يلبون دعوة الله والرسول  
من دون شك وارتياح وقد أخذوا من الدروس الماضية عبراً ووعوها  
وجعلوها محط نظرهم وصغت لها قلوبهم ، فخرجوا من غفلتهم  
وغسلوا نفوسهم من آثار المعصية والتفرق والاختلاف وعادوا إلى  
الصورة التي ينبغي ان يكونوا عليها .

ومنها : ان هذه الواقعة بينت للمشركين ان المسلمين على ما هم  
عليه من الجراح ففيهم القوة الكافية لمجاوبتهم ورد كيدهم فاورثت  
رعياً في نفوس الاعداء قال ابن اسحاق و « انا اخرج رسول الله  
( صلى الله عليه وآله ) مرهبا للعدو وليبلغهم انه اخرج في طلبهم ،  
ليظنوا به قوة وان الذي أصابهم لم تؤهنتهم عن عدوهم » .

وَلَا يَحْزَنُ نَكَ الْبَازِينِ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا يُجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ( ١٧٦ ) إِنَّ  
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ( ١٧٧ ) وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُضِلُّهُمْ لَبِئْسَ مَا كَفَرُوا لَسَيُنزِلُ اللَّهُ سَوَابِقَ الْعَذَابِ فِي قُلُوبِهِمْ لَمَّا هُم كَافِرُونَ ( ١٧٨ )

مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذْهِبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ حَتَّى  
يَمَيِّرَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ  
عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَسِبِي مِنْ رَسُولِهِ مَنْ  
يَشَاءُ فَمَا مَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا  
فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)

الآيات الشريفة ترشد المؤمنين إلى أمور تهتمهم في حياتهم الدنيوية  
والآخرة وتمس عقيدتهم ، فهي تحذروهم من المنافقين والكافرين  
وأكاذيبهم وقبائح أفعالهم ومكرهم فانهم لم يتخرجوا من إعلان الكذب  
على الله عزوجل ورسوله ( صلى الله عليه وآله ) وما يوجب وهن  
العزيمة والخط من قدر المسلمين ، والشك في عقيدتهم وتفسيرهم  
عن الاسلام .

والآيات المباركة تسلي النبي الكريم من ما يوجب حزنه ، وتعلن  
ان الله تعالى لن يتركه والمؤمنين فهو يرعاهم ويحفظهم ، وتبين ان  
ذلك كله سنة الهية جارية في خلقه فلا بد من تمييز المؤمنين من المنافقين  
والخبث من الطيب ، وتأمير المؤمنين بالايمان بالله ورسوله والتقوى  
والتسليم لأمره ليفوزوا بالأجر العظيم .

والآيات الكريمة مرتبطة بما تقدم من الآيات التي وردت في بيان  
الجوانب المتعددة في غزوة احد وقد تقدم ذكر المنافقين وبعض كيدهم  
وفي المقام بين سبحانه وتعالى نوعاً آخر منه ، ويحذر المؤمن من .



### للتفسير

قوله تعالى : ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر .

تسلياً للنبي الكريم ( صلى الله عليه وآله ) ومواساة له من الحزن الذي كان يصيبه من افعال المنافقين واقوالهم مما يوجب وهن عزيمة المؤمنين وايقاع الشك في عقيدتهم والوقوع في الكفر . وكل ذلك مما يوجب الحزن .

والآية المباركة توجه الخطاب للنبي ( صلى الله عليه وآله ) تشریفاً له ولأنه واسطة الفيض ، ولأنه المسؤول عن أمته ويرعى مصالحهم وهو يكشف عن ان الشغل الشاغل للرسول العظيم هو امر الدين والمؤمنين به وهي ترفع الحزن بتفني اسبابه وترشد المؤمنين بازالة الحزن عن انفسهم ببيان الواقع في المقام وهو انهم لن يضرروا الله .

وقد اسند الحزن إلى ذواتهم باعتبار كونها مظاهر الفساد والغواية والضلال فتراهم يسارعون في الكفر ويقعون فيه سريعاً من دون تراثٍ ويجتهدون فيه ويمارسونه في اقوالهم وافعالهم ونياتهم لانهم استقروا في الكفر وتمكن في قلوبهم ولاجل ذلك كله تعدت المسارعة بـ ( في ) ولم تتعد بـ ( إلى ) ومثل ذلك ما ورد في حق المؤمنين قال تعالى : « ويسارعون في الخبرات » آل عمران - ١١٤ فان من شدة ايمانهم بالله تعالى وكإلهم أنهم حريصون على الخير وراغبون فيه ، وقد داوموا على ملابتهم له واستقروا فيه . ولعل تعدي المادة بـ إلى في قوله تعالى « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض

اعدت للمتقين « آل عمران - ١٣٣ باعتبار ان المغفرة والجنة منتهى سيرهم ومسيرهم الاستكمالي .

قوله تعالى : انهم لن يضروا الله شيئاً .

بيان لحقيقة من الحقائق الواقعية فان الله تعالى غني عن العالمين لا يغلبه شيء في السموات والارض ولا يضره كيد المنافقين والكافرين وغيرهم وتظاهرهم على اطفاء نور الله تعالى وابقاع الضرر بالؤمنين لا يوجب اطفاء ذلك النور وطمس الحق ، فهم لا يضررون إلا انفسهم لانهم يحاربون الله تعالى وقد خرجوا بسبب ذلك عن اهلية اللطف وحرموا انفسهم عن كل خير فلا يبقى موضوع للتحزن والأسى، وهم مسخرون تحت ارادته ومشيته عزوجل فقد تعلقت ارادته بأن يجرمهم من حظ الآخرة ويسلك بهم إلى أسوء العذاب فكانت عاقبة مسارعتهم في الكفر وبالاً عليهم .

وفي تعليق الضرر به تعالى كمال التسلية للنبي ( صلى الله عليه وآله ) والتشريف للمؤمنين ، وليبان ان مضارتهم مضارته تعالى وهي خير معقول في الواقع وهذا أيضاً كذلك .

قوله تعالى : يريد الله ان لا يجعل لهم حظاً في الآخرة .

تعليل وتأكيده لعدم مضارتهم له تعالى واعلام بأن المضارة الحقيقية هي التي كانت في الآخرة دون ما يتوهموه وهم قد سلكوا مسلكاً .  
إختاروا فيه الملذات الدنيوية الفانية على الدرجات الرفيعة الاخروية وزعيمها وحرموا على انفسهم نصيب الآخرة ، وتعلقت ارادة الله تعالى الاقتضائية على طبق اختيارهم . ويأتي في الآيات التالية تفسير كيفية تعلق ارادته عزوجل بجرمانهم من نصيب الآخرة .

قوله تعالى : ولهم عذاب عظيم .

اي ولهم مع الحرمان من كل ثواب ونعيم في الآخرة عذاب عظيم لا يتقدر بقدر جزاء ما كانوا يكفرون .

وقد وصف سبحانه وتعالى العذاب بأنه عظيم إما باعتبار ان المسارعة في الكفر تدل على عظم قدره عند المسارع اليه وتعلق كل ارادته به وصرف جميع حيثياته في سبيله ، فوصف تعالى عذابه بالعظيم تنبيهاً على حقارة ما مارعوا اليه ، أو لأجل ان التصديق عظيم لانهم قصدوا اضراراً عظيماً لامنتهى لعظمته فيترتب عليه العظيم .

ولم يقيد سبحانه وتعالى العذاب بالآخرة كما قيد الحرمان بها لكون عذابه اعم ولا مانع في ذلك فقد ورد في المنافقين : « سنعذبهم مرتين » التوبة - ١٠١ . واستحقاق العذاب العظيم هو نتيجة الحرمان من نصيب الآخرة لان كل من لم يكن له نصيب في الآخرة يكون سعيد في الدنيا وان بلغ ما بلغ سبباً في زيادة العذاب .

قوله تعالى : ان الذين اشكروا الكفر بالايمان .

تعميم لجميع الكافرين بعد تخصيص الآية السابقة بالمسارعين في الكفر فيصح ان تكون علة اخرى تعم لنفي ضرر جميع الكافرين وفيهم المسارعون في الكفر تقديراً للحكم السابق وتأكيذاً له ولزيادة التسرية عن قلب سيد الانبياء ( صلى الله عليه وآله ) والتسلية له .

وانما ذكر سبحانه لفظ الاشرار زيادة في التقرير لانهم بمعاملتهم في تبديل الايمان بالكفر قد استبدلوا الشريف العظيم بالدني الخفير ، وليبان انهم قد اخذوا الكفر رغبةً منهم في ما اخذوا واعراضاً عما تركوا فيكون اظهر على سوء الاختيار وكال الرضاء منهم ، ولا يتأني

سورة آل عمران ١٧٦ - ١٧٩ - ..... - ٩٩ -

ذلك في لفظ آخر ويستفاد منه علمهم بالخسران الكلي والحرمات الأبدية  
فيكون الضرر عليهم عظيماً .

ويصح ان يكون المراد بالكفر في المقام جميع مراتبه من الاعتقادي  
والقولي والعملي ، ويشهد لهذا التعميم بعض الآيات الشريفة قال  
تعالى : « ولقد انزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون »  
البقرة - ٩٩ وقال تعالى : « وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، الممتحنة  
- ١ كما ان الإيمان كذلك .

قوله تعالى : لن يضروا الله شيئاً .

اي : ان الكافرين جميعاً لن يضروا الله شيئاً وهذه العلة عامة  
يمكن تعليل الخاص وهم المسارعون في الكفر بها أيضاً .

والآية المباركة تبين قضية عقلية حقيقية هي عين الواقع لان من  
كان جامعاً للصفات الكمالية والجلالية بالذات ومسلوباً عنه جميع النواقص  
الواقعية والادراكية لا يعقل في حقه النقص والنفع وإلا يلزم الخلف  
المحال ولعله لذلك عبر تعالى بالنفي التأييدي وعن مولانا السجاد  
( عليه السلام ) في صحيفته المملوكية « يامن يستغنى به ولا يستغنى  
عنه ويامن يرغب اليه ولا يرغب عنه ويامن لا تفني خزائنه المسائل  
ويامن لا ينقطع عنه الوسائل » .

قوله تعالى : ولهم عذاب اليم .

جزاء لتمردهم على الله تعالى ، وهو يدل على شدة العذاب  
وظاظته بذكر أحد آثاره وهو غاية الابلام .

وقد وصف سبحانه وتعالى العذاب في الآية السابقة بالعظيم وهنا  
بكونه أليماً لتفاوت الطائفتين فان الاولى كانوا مسارعين في الكفر

فكان الجزاء المترتب على فعلهم عظيماً وقد حرموا أيضاً من نعم الآخرة ولذاتها واستحقوا العذاب العظيم .

قوله تعالى : ولا يحسبن الذين كفروا أنهما نسلي لهم

خير لأنفسهم .

بيان لحقيقة من الحقائق الواقعية التي كشف عنها القرآن الكريم ، وهي سنة من السنن الحكيمة في الاجتماع البشري ، فإننا نرى على السبيل التكاملي الجاري عليه هذا النظام الاحسن . وتتضمن التوجيه للمؤمنين في ما يدور في نفوسهم اثر كل انتماء للباطل على الحق في الظاهر كما انها توجه الحديث إلى الكفار لتنذرههم بعدم الاغترار بما يحرزونه من النصر الظاهر المؤقت وما يمليه لهم الله تعالى عليهم من انواع نعمه في الاعمار والارلاد والاموال فان ذلك ليس لاجل غاية خاصة من الله تعالى بهم ، بل انها سنة جارية في الخلق فلا يهتبروه خيراً لكل واحد منهم بحسب نفسه ولا يضمرون في نفوسهم الحبيبات بأنهم خير من المؤمنين ، أو ان الباطل الذي هم عليه خير من الحق ففي الواقع يكون الاملاء سبباً لاسترسالهم في النفي والضلال والعجز وعلّة لغرورهم فتزيد آثامهم وجرائمهم لتكون خاتمة اعمارهم واعمالهم العذاب المهين فان العبرة بالخواتيم لا بالمبادئ ، فالآية الشريفة قطعاً لا عذار المبطلين ، وازالة لكل وهم وحديث نفس من البين ، فان ما املى الله تعالى به لكل فرد لا بد ان يصرف في التوجه إلى الحبوب الحقيقي والمطلوب الواقعي حتى يصل إلى الدرجة العالية من الكمال والحياة الابدية والنعم السرمدية ، وان غير ذلك يكون وبالاً على صاحبه وغتياً وضلالاً فاملأه الله تعالى للكافرين والعصاة انما يكون وفق

سنة حكيمة ولعل من بعض اسرارها اعمار نظام الدنيا الظاهري حتى تظهر دولة الحق فان الله تعالى اراد ان يعمرها بهذا النحو لاجل مصالح كثيرة، وان الله تعالى ينعم على الكافرين ليميز الخبيث من الطيب ويزيد في درجات المؤمنين أو يرجع الكافر من العصيان الى الطاعة والايمن فاذا اختاروا صرف ما املي به الله تعالى لهم في الطغيان والعصيان فهم في غضب الله تعالى ومسخته ما لم يرجعوا فاذا رجعوا إلى الايمان والطاعة دخلوا في رحمته ورضوانه فالاملاء ليس علة تامة للمعصية بل هي تصدر بعمد الفاعل واختياره .

ولا يختص مضمون هذه الآية الشريفة بالذين كفروا أو بشخص معين بل يجري في النوع وفي كل من يعصى الله تعالى .

ومادة ( ملل ) تدل على رفع القيد، ومنه أملي لفرسه إذا أرخى الطول ابرعى كيف شاء ومنه الملاء : الحين الطويل والارض الواسعة لانه يرجع إلى رفع القيد والاطالة أيضاً، وإلى هذا يرجع الملوان وهما الليل والنهار لطول تعاقبها .

والمعنى : لا يحسن الكافرون إن املاءنا لهم بالامهال وازالة القيود المانعة عن الاستفادة من اموالهم واولادهم وشؤونهم خير لانفسهم لان الانسان بطبعه يحب الخير لنفسه والشيء انا يكون خيراً إذا صرفه الانسان في تهذيب نفسه وتركبتها من مساوي الاخلاق أو كسب به عملاً صالحاً ينتفع به دائماً ولكنهم صرفوها في الخيرية الموقته الزائلة ولا ريب انه ليس بخير بل الخير ما كان نفعه دائماً وابدأ .

قوله تعالى : إنا نملي لهم ليزدادوا اثماً .

بيان لاحدى المصالح والحكم التي اقتضت املاء الله تعالى لهم

وهي تعلق ارادة الله تعالى بأن يكون امهالاً لهم واستدراجهم إلى زيادة الاثم بسوء اختيارهم وإضراراً بانفسهم جهلاً منهم .

واللام في قوله تعالى : « ليزدادوا » للعاقبة نظير قوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً » القصص - ٧ .  
والحصر المستفاد من « انما » باعتبار العاقبة لا تحصر الحكمة في ذلك فقط .  
اي : ليس لهم عاقبة خير ما داموا على الكفر والعصيان كما عرفت .

قوله تعالى : ولهم عذاب مهين .

بيان لسوء حالهم في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا اي وراء ذلك عذاب معه الهوان جزاء كفرانهم وانما كان عذاباً مهيناً باعتبار تعزيرهم وتجبرهم في الدنيا بما املى الله تعالى به لهم من انواع التعمير وإطالة الاعمار فأورثتهم ذلك في الآخرة عذاباً مهيناً لهم .

قوله تعالى : ما كان الله ليذر المؤمنين على ما اتم عليه .

ذكر تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة جملة من القضايا الحقيقية الدائمة في الطبيعة التي هي مسخرة تحت ارادته ومشيته جلّت عظمتها وهي من أهم القوانين الجارية في مسير التكامل والاستكمال ، ولا تختص بنوع معين بل هي جارية في جميع الماديات من الجهاد والنبات والحيوان والانسان لان المهم لافراد الانسان في عالم المادة هو تمييز الخبيث من الطيب لاغراضهم العقلانية ورمى ذلك في الاعشاب والنبات والاثار والمعادن والاحجار إلى غير ذلك مما لا يحصى واوكل الله تعالى كل ذلك إلى بني آدم كما في قوله تعالى : « سخر لكم ما في السموات وما في الارض » لقمان - ٢٠ على حسب مراتبهم في العقول والافكار .  
واما نفس الانسان فقد تصدى الباري عز وجل تمييز خبيثهم عن

طيبهم بواسطة انبيائه ورسله الذين هم ادلة مقاله وتراجمة وحيه ،  
وكفى بذلك فخراً لهم على غيرهم من الممكنات .  
وفي هذه الآية الشريفة التفات إلى المؤمنين وإعراض عن خطاب  
الكافرين الذين بين سبحانه وتعالى حقيقة الأمر بالنسبة اليهم ، وفيها  
أرشد عزوجل المؤمنين إلى انهم لم يخرجوا عن سنة الابتلاء التي هي  
من أهم سبل التكميل .

والمراد بقوله تعالى : « على ما اتم عليه ، اي : بما هم عليه  
من اشتباه الحال واختلاط بعضهم ببعض . وفي الآية الشريفة الوعد  
بالنسبة إلى المؤمنين والوعيد بالنسبة إلى الكافرين والمنافقين . وقد ذكر  
المفسرون في المراد من الآية الكريمة اقوالاً لا ترجع إلى محصل .

قوله تعالى : حتى يميز الخبيث من الطيب .

غاية للنفي السابق اي : ان الله تعالى ما كان يذر المؤمنين على  
اشتباه الحال واختلاط المخلص في الايمان بغيره حتى يفرق بين الخبيث  
والطيب فانه لا بد من التمييز لان الامور لا تستقيم إلا اذا تميز الخبيث  
من الطيب لان الخبيث لا اهلية له بالاختلاط مع الطيب ولا اهلية له  
لحمل الأمانة الملقاة على المؤمنين ولا تستقيم حالهم إذا خالطهم الخبيث فانه  
يعوقهم عن إقامة الحق ويوهن عزائمهم ويعوج لهم الطريق المستقيم  
فالخبيث بمنزلة المرض الذي يوجب الهلاك والفناء .

والمراد بالخبيث كل من كان منقاداً للشيطان وتابعا لهواه ولم يتنور  
قلبه بنور الايمان فيسرع الى فعل الموبقات وارتكاب الآثام ويسعى  
إلى البغي والفساد والانقلاب على الاعقاب .

والطيب بخلافه وهو المطيع لله تعالى المخالف لهواه والمتبع للحق .



ويعزى - بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء - فعل مضارع وماضيه ماز ، وقرىء بالتشديد فيكون ماضيه ميمز ، وهما لغتان بمعنى ، كما عن جمع من اللغويين ، وليس النضعيف لتعدي الفعل لأنها يتهديان إلى مفعول واحد يقال : مزت الشيء بعضه من بعض أميزه ، وميزته تمييزاً وقال بعضهم : مزت الشيء أميزه ميزاً إذا فرقت بين شيئين ، فإن كانت أشياء قلت ميزتها تمييزاً نظير ( فرق ) فإنه إذا جعلت الواحد شيئين يقال : فرقت بينها ( مخففاً ) . ومنه فرق الشعر وإذا جعلت بين الأشياء يقال فرقت ( مشدداً ) تقريباً . وامتاز القوم أي تميز بعضهم عن بعض وفي الحديث : « من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة » .

والطيب والخبث قد ينسبان إلى الذوات ، وقد ينسبان إلى الأفعال والأعمال والصفات ، ولمشيته تبارك وتعالى وإرادته دخل في تمييز الخبيث من الطيب بنحو الاقتضاء كما ان لإرادة العبد أيضاً دخلاً كذلك ، فإذا اجتمعت جميع مقتضيات الخبثة فالى النار لا محالة ، كما إذا اجتمعت جميع مقتضيات الطيب فالى الجنة لا محالة ، والمقتضيات في كل واحد منها كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى ، ولعل تعقيب هذه الآية الشريفة بقوله تعالى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » إشارة إلى ذلك .

وطرق تمييز الخبيث من الطيب كثيرة ولا يتعين في طريق خاص فاما الإخبار بالطيبين والخبثاء والإطلاع عليهم بالوحي من دون مقاساة الأهوال والبلايا ولكن ذلك خلاف حكمته تعالى فإنه لا يطلع على غيبه احد وما اقتضته السنة الاجتماعية والنظام الاحسن . أو الابتلاء الذي يكشف عن خفايا النفوس وغير ذلك .

وكيف كان فلا بد من تدبير ربوبي ومعية قيومية ولا يمكن ان يقوم به غير الله تعالى وهو من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى به نفسه فلا يطلع عليه احد إلا من اجتبي من رسله فيطلع به على ذلك بالوحي وفي ذلك يقول تعالى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء » .

والتمييز هذا يقترن مع الشددة والجهد وبذل النفس والاموال وفيها مفاصلة البلاء ومشاهدة مختلف الاهوال والمتاعب والمشاكل الكثيرة ويحتاج الى الصبر والمثابرة ، فان جميع ذلك مقدمة للسعادة العظمي والفوز الاكبر في الدنيا والعقبى ، بل مقدمة لوصول العاشق المتم الى المحشوق الحقيقي وليست متاعب هذه المرتبة محدودة بحد خاص ودرجة مخصوصة وقد وصف علي ( عليه السلام ) المؤمنين المتحنين بالامتحان الربوبي في خطبته المباركة الواردة في وصف المتقين بأحسن وصف .

ولكن لا بد ان يعلم ان التمييز الذي يوجب الحمد واستحقاق عظيم الأجر والثواب انما هو ما كان بالاختيار الحاصل من الايمان بالله تعالى ورسله ، والعمل الصالح والتقوى ، فالطيب والخباثة انما يدوران مدار الامر الاختياري وهو الايمان والكفر ولذا كانا امرين اختياريين ، ولعل ذيل الآية الشريفة يرشد الى ذلك قال تعالى : « فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم » آل عمران - ١٧٩ .

قوله تعالى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب . اي ان الله تعالى لا يلقى بحكمته وجلالة شأنه ان يطلع احداً من عباده على الغيب إلا من يجتبي من رسله من يشاء فيطلع به على الغيب بالوحي .

والمراد بالغيب الشريعة وشؤونها وموارد الامتحان وخصوصياته ودرجاته فانه كما عرفت له شأن كبير ليس كل احد اهلاً له ، بل قيام كل فرد به إختلال النظام ولأن عالم المادة هو عالم الحجب الظلمانية وعالم الغيب مبين له فكيف يمكن ان يطلع المحجوب بالحجب الظلمانية على الغيب المكنون . نعم لو أمكن لعبد ازالة تلك الحجب باختياره لعلم ما لا يعلمه غيره وهو يختص بمقام الانبياء والمرسلين حيث اشرفت على نفوسهم المقدسة الشوارق الازلية وكانوا اهلاً للكمال فخرجوا بهمهمم العالية عن الامور الدنيئة فتتابعت عليهم الفيوضات الالهية فصاروا قسيمي الجنة والنار .

قوله تعالى : ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء . اي: ان الطريق الذي اختارته الحكمة الالهية والذي يكشف به خبايا النفوس ويتميز الطيب من الخبيث هو ان يرسل الله من يجتبيه من رسله ويدعوا الناس الى الايمان بالله ورسله والطاعة له والجهاد في سبيله تعالى والصبر على الايمان فانه الطريق الذي يميز به الخبيث من الطيب . وقد بين سبحانه وتعالى في موضع آخر من القرآن الكريم ان الحياة الدنيا هي محل الابتلاء قال تعالى : « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملاً » الملك - ٢ .

والاستدراك في الآية المباركة « ولكن الله يجتبي » لبيان كيفية وقوع التمييز على سبيل الاجمال واطارة الى امر مهم لا يمكن ان يتصدى له احد الا هو عزوجل وهو الاصطفاء والاجتباء من عباده للانذار والتبشير وتصديه للتمييز بين الخبيث والطيب بأمره تبارك وتعالى ، ولعل في ذكر اسم الجلالة إيماء الى ان تلك الامور يتصف بها هو عزوجل لكونه الهاً .

قوله تعالى : فأمنوا بالله ورسوله .

أتم بيان للتمييز بين الخبيث والطيب اي : آمنوا مخلصين في إيمانكم بالله ورسوله الذين اجتباهم تعالى لهدايتكم . والتفريع باعتبار ان الإيمان بالله تعالى والرسول مادة الطيب وروح الحياة الطيبة كما قال تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل - ٩٧ وهو يدل على ان ثمرة الإيمان هي الحياة الطيبة ، والمستفاد من ذلك ان الطيب والخبيث يدوران مدار الإيمان والكفر ، وقد امر سبحانه وتعالى باكتساب سبب الطيب ومادته بالاختيار لان الإيمان امر اختياري .

قوله تعالى : وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم .

إعلام بأن آثار الحياة الطيبة مترتبة على العمل الصالح والاجر متفرع على الإيمان والتقوى بعد بيان أن الإيمان روح الحياة الطيبة وهو مادة الطيب فالاجر العظيم المعد للمؤمنين انها يكون لمن آمن بالله تعالى ورسوله واتقى ما يوجب مخالفته عزوجل وهذا ما يدل عليه جملة كثيرة من الآيات الشريفة . ولذا كرر عزوجل الأمر بالإيمان فان الاول كان لدرك طيب الحياة ، والثاني لدرك الاجر العظيم الذي لا يعرف كنهه وخصوصياته الا الله تعالى لان الابتلاء عظيم وهو شاق على النفوس فيكون أجره عظيماً ايضاً .

## بحوث المقام

### بحث ادبي :

قوله تعالى : « ولا يحزنك » بفتح الياء وضم الزاي ، فان ( يحزن )  
بفتح الياء والزاي للقاصر ، و بضم الزاي للمتخذي وفي المصباح انهما  
لغة قرينين وعليها استعمال القرآن الكريم في تسعة سوارد منها المقام واسم  
المفعول ( يحزون ) في العامة من هذه اللفظة .

وشيثاً في قوله تعالى : « لن يضرروا الله شيئاً » واقع موقع المصدر  
اي شيئاً من الضرر وهو يفسد السموم لوقوعه في حيز التنفي اي  
لا واقفاً ولا وهماً .

وقوله تعالى : « ولا يحسبن الذين كفروا اننا نملي لهم خيراً لانفسهم »  
عطف على قوله تعالى : « ولا يحزنك » والفعل مستند الى الموصول  
( ان ) ومعلومها سادس مستمفعوليه الموصول المقصود وهو تعلييق  
افعال القلوب بنسبة بين المبتدأ والخبر ، وقيل المفعول الثاني محذوف  
( ما ) إما مضافية أو موصولة ، والضمير في ( نملي ) محذوف  
أو التقدير عليه وكان الحق ان تكتب ( ما ) في الوجهين مفعولة  
واكتها كتبت موصولة في المصاحف ، ولعل الوجه ذو المشاكلة لما  
بماه . و « خير » خبر وقرىء « خيراً » بالنصب على ان يكون  
لانفسهم هو الخبر . و « لهم » بيان أو حال من « خير » هذا .  
وقرىء و « لا تحسبن » بالناء والخطاب إما للنبي ( صلى الله عليه وآله )

أو لكل مَنْ يتأتى منه الحسابان فيكون الموصول مفعولاً و «أنا نملئ» بدل اشتغال من «الدين» فيسند مسد المفعولين كما عرفت .

واللام في قوله تعالى : « ما كان الله ليذر » قيل انها متعلقة بمحذوف هو الخبر والفعل يذر منصوب بأن مضمرة اي : وما كان الله مريداً لان يذر المؤمنين .

وقيل إن اللام مزبدة للتأكيد وناصبة للفعل ، والخبر هو الفعل واشكل عليه بأن الزائدة كيف تعمل ويحجب عنه بانه لا يقدرح زيادتها فان الزائد قد يعمل كما في حروف الجر .

والحق ان اللام لا تكون زائدة بل هي للتأكيد وتنصب الفعل لانه لا معنى للزيادة في القرآن ولو بحرف واحد كما عرفت .

و « يذر » من يوذر حذف الواو منها تشبيهاً لها بيدع وليست العلة التي اوجبت حذفها موجودة في الأخيرة ولكنها موجودة في « يذر » اذ لم تقع بين ياء وكسرة ولا ما هو في تقدير الكسرة بخلاف (يدع) كما هو معلوم .

وانما فتحت الدال تشبيهاً بيدع فان الدال فيه فتحت لان لامه حرف حلقي مثل بسع ، ويقع ، ولم يستعملوا من « يذر » ماضياً ولا مصدرأ ، ولا اسم الفاعل ، استغناءً بتصريف مرادفه ، وهو يدع .  
وامن في قوله تعالى : « ولكن الله يحب من رسله » لتبين الصفة لا التبويض لان الانبياء كلهم محبتون كما في قوله تعالى : « ما يفتح الله للناس من رحمة » فاطر - ٢ ، وكما في قولك : ( عندي عشرون من الدراهم ) اذا قصد بالدراهم جنسها دون دراهم معينة ، وقد اوضح ذلك الشيخ الرضي في شرح الكافية .

وقيل : إن ( من ) في المقام لإبتداء الغاية وتعميم الاجتباء لسائر

الرسول للدلالة على ان شأن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) في هذا الباب له اصل اصيل وأمر مبين له وجار على سنة الله تعالى الجارية في جميع الرسل ( صلوات الله عليهم اجمعين ) .

ولا فرق بين الوجهين من حيث النتيجة لان الانبياء في كل من الوجهين يكونون من المجتبيين لله تعالى ، ولكن الوجه الأخير من الوحدة في الكثرة باعتبار ان مقام سيد الانبياء ( صلى الله عليه وآله ) مقام جمع الجمع بخلاف الاول فانه بلحاظ الكثرة بنفسها .

وقيل : ان ( من ) للتبويض لان الاطلاع على المغيبات مختص ببعض الرسل بما فضل الله تعالى به بعضهم على بعض لا بأصل الرسالة ولكنه بعيد عن السياق خصوصاً بملاحظة التفريغ في قوله تعالى : « فآمنوا بالله ورسوله » .

وطلع في قواه تعالى : « ليطلعكم » لازم ومتعد يقال : طلعت على كذا ، واطلعت عليه ، واطلعت عليه غيري فهو لازم ومتعد .

## بحث دلالي

تدل الآيات الشريفة على امور :

الاول : يدل قوله تعالى : « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر » على ان اعراض الناس عن الايمان موجب لحزن سيد الانبياء ( صلى الله عليه وآله ) ونظير ذلك قوله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً » الكهف - ٦ وقوله تعالى : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون »

فاطر - ٨ فهو الحريص على ايمان الناس جميعهم والدخول في رحمة الله عزوجل ولا يبقى بغى وظلم على وجه الارض .  
والآية الشريفة تسلي النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك وترشده الى الحزن لانه ليس له الا البلاغ قال تعالى : « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » الرعد - ٤٠ ، مضافاً الى أن الاستفادة من الآية الكريمة أن سبب حزنه (صلى الله عليه وآله) هو مسارعتهم في الكفر وخوف الاضرار بالمؤمنين ، ولذا ورد في علة النهي « انهم لن يضرُوا الله شيئاً » .

الثاني : يدل قوله تعالى : « انهم لن يضرُوا الله شيئاً » على كمال عنايته عزوجل بالرسول الكريم ( صلى الله عليه وآله ) والمؤمنين حيث جعل مضرتهم مضرته عزوجل ، وهو يعدهم بأن اضرار الكافرين لا يصل اليهم كما ان اضرارهم لا يصل الى الله تعالى فانه الغني عن العالمين والقادر على أن يغني المؤمنين ويعزهم بعزته ، ويمنحهم الصبر ويجزيهم الجزاء الاوفى ، ويقمع كيد الكافرين ويرده عليهم قال تعالى : له مقاليد السموات والارض « الزمر - ٦٣ . ومن مظاهر استيلاء الله تعالى عليهم وعدم امكان اضرارهم له أن حرمهم الله تعالى من حظ الآخرة الذي هو عظيم امره ، واوعدهم العذاب العظيم الذي اعدده الله تعالى للكافرين جزاء مسارعتهم في الكفر وكانت ارادته تعالى اذلك مستمرة معهم لا تبديل لها وهم اختاروا ذلك .

الثالث : يدل قوله تعالى : « ان الذين اشترؤا الكفر بالايمان لن يضرُوا الله » ان كل من اعرض عن الايمان سواء كان من المسارعين في الكفر ام من غيرهم لن يضرُوا الله تعالى والمؤمنين فانهم معززون بعزته .



والآية المباركة تدل على كمال غيبهم في هذا التبديل حيث بدلوا  
امر الاشياء واعظمتها وخيرها بأخصسها واقبحها وشرها وفي هذه الحالة  
كيف يمكن ان يضرروا الله تعالى وهو القيوم والعزير الذي لا يضم  
والمعظيم الذي لا يدانيه احد .

وهذه الآيات تدل على اعظم الحقائق الواقعية التي غفل عنها جميع  
اهل الباطل ، فان انفسهم في المادة وغرورهم في الدنيا وتجبرهم على  
الخلق واهله أوجبت أن يقاتوا بالله العظيم الظنون الباطلة التي اوقعتهم  
في المهلكة والشقاء .

الرابع : يدل قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين كفروا اننا نسلي  
لهم خيرا لانفسهم » على حقيقة وهي ان الخير في الدنيا انما هو امر  
وهي لا واقع له ، وانما الخير الواقعي الذي لا بد من طلبه والسعي في  
اكتنائه هو الذي يبينه عز وجل ويحده القرآن الكريم في مواضع متعددة  
وهو الايمان والتقوى والعمل الصالح الذي يترتب عليه الحياة الطيبة  
والسعادة المظوية في المقبي قال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو  
انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا  
يعملون » النحل - ٩٧ وقال تعالى : « وما هذه الحياة الدنيا الا لطم  
ولعب وان الدار الآخرة لطي الحيوان لو كانوا يعلمون » المنكوت  
- ٦٤ فالخير الذي يظنه الكافرون مما انعمه الله تعالى عليهم من الاموال  
والاولاد انما هو في الواقع تسيخير إلهي لينساقوا الى حيث لا يبقى لهم  
حفظ وقد سلبهم عن الكمال الواقعي المعد لجميع افراد الانسان ومن  
سوء ظنهم انهم اعتبروا ان ذلك الاستدراج لهم من المسارعة لهم في الخيرات ،  
قال تعالى : « أيسبون اننا ننهمهم به من مال وبنين نسارع لهم في  
الخيرات بل لا يشعرون » المؤمنون - ٥٦ وفي ظنهم انهم يوم القيامة

يؤتون خيراً مما أوتوه في الدنيا قال تعالى : « ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً » الكهف - ٣٦ .

وقد بين عزوجل في موضع آخر ان هذا الاستدراج من كيدته المتين ، قال تعالى : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئ لهم ان كيدي متين » الاعراف - ١٨٣ فاعتبر عزوجل أن ذلك الاستدراج من جزاء الكيد الذي اراده الكافرون لله وللمؤمنين فهو يسوقهم به الى ازدياد الائم الموجب لاستحقاق العذاب المهين ولا يخرج جميع ذلك عن سنة متقنة جارية في الحياة وهي سنة التكميل وابتلاء المؤمنين وتمييز الخبيث من الطيب ، قال تعالى : « لتبأون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشرکوا اذىً كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » آل عمران - ١٨٦ هذه هي الحقيقة في استدراج الكافرين وبيان الواقع في املاء الله تعالى لهم في الاموال والاولاد .

الخامس : يستفاد من التفنن في وصف العذاب في المواضع الثلاثة بين عظيم واليم ومهين- ان كل وصف يناسب مضمون الآية التي ورد فيها الوصف ، ففي المسارعة في الكفر يكون العذاب عظيماً لان الكفر قد خلب لبهم واستولى على جميع احساسهم ، واشتد تسرعهم فيه ، فكان ذلك عظيماً وكان الجزاء كذلك ايضاً .

وفي اشتراء الكفر بالايمن يكون العذاب اليماً لانهم تركوا الايمان ورغبوا في الكفر بسوء اختيارهم فانهم بعد معرفتهم حقيقة الحال لا بد من تالمهم كما يتالم المشتري المغبون اذا عرف مقدار الغبن الكبير ولا يحيص عن دفعه عنه .

وفي الاملاء للكافرين يكون العذاب مهيناً فانهم كانوا يتجبرون بما

املاهم الله تعالى لهم ويطلبون بذلك العز والكرامة فاتاهم الله عز وجل العذاب المهين وكل ذلك من دقائق الامور التي لا يعلمها الا الله جلت عظمته .

السادس : يستفاد من قوله تعالى : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما اتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ان التكميل والابتلاء في طريقه وتوارد الآلام والمحن في ابتغائه مما لا بد منه ولا يحصى عنه فان من اراد ان يسلك في سلك الطيبين فلا بد له من تحمل البلاء والصبر عليه .

وتدل الآية الشريفة على ان التمييز بين الخبيث والطيب في الانسان منحصر في الايمان بالله تعالى والتقوى والعمل الصالح ، فالدخول في الطيبين طريقه منحصر في الايمان بالله تعالى ولكن ذلك لا يكفي في نيل الاجر العظيم بل لا بد من البقاء والاستمرار عليه وحفظ طبيعته وهو منحصر في العمل الصالح والتقوى .

وبالجملة : ان من كان مؤمناً بنحو ما اراده الله تعالى من العبد فهو من الطيب فاذا وافق العمل الاعتقاد كان طيباً بالذات وبالفعل ، ويستتبع ذلك سعادة الدنيا والآخرة . ومن كان غير ذلك فهو خبيث إما اعتقاداً أو عملاً أو هما معاً .

السابع : يستفاد من قوله تعالى : « حتى يميز الخبيث من الطيب » انها امران اختياريان لانها يدوران مدار الايمان والكفر وهذه حقيقة قرآنية ويترتب عليها امور مهمة منها جزاء الاعمال ، ومنها تكشف اسرار التوحيد ولعلنا نتعرض لذلك في موضع مناسب ان شاء الله تعالى .

الثامن : يدل تكرار لفظ الجلالة - في قوله تعالى : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما اتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما

كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ، مع ان الثلاثة الأخيرة من وضع الظاهر موضع المضمرة - على ان الله تعالى هو مصدر الجلال والجمال ، وان تلك الامور التي في الآية الشريفة من مختصات الاله الواحد المتصف بالالوهية وان الرسل وسائط الفيض .

التاسع : يستفاد من قوله تعالى : « وما كان الله ليطلعكم » ان طريق الانسان الى العلم بالحقائق إنما هو منحصر بالاستدلال ، والحاصل من نصيب العلامات واقامة البراهين ، وانه لا مطمع لاحد في الاطلاع على الغيب فانه منحصر بالله تعالى وبمن يجتبيهم عز وجل .

وتعقيب هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : « ولكن الله يجتبي من رسله » يدل على فضل الرسل ومزيتهم على سائر الخلق وقصور رتبة غيرهم عن الاطلاع على الغيب والوقوف على خفايا الامور والاسرار التي لا بد من اصدارها عن طريق الوحي .

العاشر : الآية الشريفة لا تبين طرق التمييز بين الخبيث والطيب وإنما تدل على انه من الامور التي تختص بالله تعالى وقد بين عز وجل في مواضع اخرى من القرآن الكريم تلك الطرق ولعل ذكر اجتناب الرسل بعد ذلك فيه الدلالة على ان جميع مجاهدات الانبياء وغزواتهم وحروبهم ليس الا للتمييز بين الخبيث والطيب ، فتكون هذه الآية الكريمة بمنزلة العلة لجميع ما ذكر في غزوة أحد وسائر الغزوات والله تعالى هو العالم بما مضى وبما هو آت .

الحادي عشر : يدل قوله تعالى : « وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم » على ان الايمان لا يكمل الا بالتقوى وان الاجر انها يكون على حسب الايمان المقترن بالتقوى والعمل الصالح .

## بحث روائي

في تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال : « قلت له : أخبرني عن الكافر الموت خير له ام الحياة ؟ فقال ( ع ) : الموت خير للمؤمن والكافر قلت : ولم ؟ قال لان الله تعالى يقول : « وما عند الله خير للأبرار » ويقول : « ولا يحسبن الذين كفروا أننا نملي لهم خيراً لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » .

اقول : روي قريباً منه في الدر المنثور عن ابن مسعود ، وحيث انه ذكر الابرار في مقابل الذين كفروا صح ان يراد به مطلق المؤمنين لاطائفة خاصة ، ويشهد لذلك جملة من الآيات والايخبار التي وردت في بيان درجات الجنة للمؤمنين .

وفي اسباب النزول للواحدي قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) « عرضت علي امتي في صورها كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر ، فبلغ ذلك المنافقين ، فاستهزأوا ، وقالوا يزعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ، ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله تعالى هذه الآية « ولا يحسبن الذين كفروا اننا نملي لهم خيراً لانفسهم اننا نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » .

اقول : على فرض صحة الحديث لايبعد فيه بحسب القواعد العقلية لان المستفيض قابل لجميع انحاء الاستفاضة والمفيض بالنسبة اليه لاحد لافاضته ، فعرض صور الامة عليه يكون كعرض اعمالها عليه في كل يوم الاثنين والخميس كما نطقت به الاحاديث .

وَلَا يَخْسِبَنَّ الْمَدِينُ يَبْتَخِلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَنَّهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ النَّحْرِ يَقِي (١٨١) ذَلِيلٌ كَذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدُ لَنَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ قَلِيمٌ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَتَقْدُوا كَذَّبْتُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)

تضمنت الآيات الشريفة المتقدمة ما يتعلق ببذل النفس في الجهاد في سبيل الله تعالى وقد ذكر جلت عظمتها فيها ما يرتبط بغزوة احد وما لاقاه المؤمنون المجاهدون في سبيله عز وجل من البلاء والحزن وما صدر عنهم فيها من الفشل والجبن والمخالفة وما ترتب على ذلك من اللوم والعتاب والآثار الكبيرة وبين سبحانه وتعالى جميع الجهات التي تعلق

بها ، فكانت غزوة أحد درساً عظيماً للمؤمنين وفيها من العبر المهمة لهم وحث جتل شأنه على الرجوع الى الحق وبذل النفس والصبر والمثابرة ووعدهم الجزاء العظيم ، وذكر الكافرين والمنافقين وبين حقيقة الحال فيهم . ثم ذكر تعالى ان املائه للكافرين ايسر الا استدراجاً لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين .

ويذكر عزوجل في هذه الآيات المباركة بعض اقسام الاملاء والاستدراج وهو الاملاء في جمع المال وضرب مثلاً في الذي يبخل عن انفاقه في سبيل الله تعالى فكان حاله حال املاء الكافرين وارشده سبحانه الى الواقع وبين اشد انواع الوعيد بالنسبة اليه ثم عطف الكلام الى اليهود الذين كانوا مع النصارى موضوع الحوار في هذه السورة وبين خطيئة اليهود وانهم جمعوا كثيراً من صفات السوء والشر ما لم تجتمع في غيرهم فقد اساءوا الظن بالله تعالى وكذبوا بآياته عزوجل ونسبوا الفقر اليه وعادوا انبياء الله وكذبوهم وكنتموا الحق والميثاق الذي أخذ منهم وقد امروا ببيانه ، واوعدهم الله تعالى العذاب جزاء اعتقادهم واعمالهم .

والآيات المباركة خاتمة الآيات الكريمة التي وردت في غزوة أحد وهي تأمر بالصبر والثبات وتستنهض الناس الى متابعة الحق والجهاد في سبيل الله وتحرضهم على الانفاق في سبيل الله تعالى والحذر من كيد اليهود ، وتسلي النبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين من تكذيبهم .

### التفسير

قوله تعالى : ولا يحسبن الذين يبخلون .

تحريض على بذل المال في سبيل الله تعالى بعد التحريض على بذل النفس في الجهاد ، وتوكيد لما ذكره عز وجل انفاً من املاء الكافرين بيان اظهر مصاديقه وهو الاملاء بالمال ، فيكون حال الذين يبخلون بالمال وعدم انفاقه في سبيل الله تعالى كحال الذين املئ لهم الله تعالى وكلا الفريقين يعيش في الوهم والخيال وواقع في اعظم الشر في الحقيقة وبيان لحال البخيل وسوء عاقبته وتخطئة لما يتوهمه هو واهله من دعوى الخيرية ببيان حال الدنيا ، وهي ان جملة من معتقداتهم التي يهتمون بها ويرتبون الآثار عليها تكون وزراً عليهم ووبالاً في دار القرار ونظير هذه الآية قوله تعالى : « وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم » البقرة - ٢١٦ فالبخيل عن انفاق المال في سبيل الله تعالى وان كان يجمع المال وهو خسر بحسب الظاهر له ولكنه طوق ثقيل يحمله الانسان في عنقه في الواقع ويظهر ذلك يوم ظهور الحقائق قال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب الهم يوم يحسب عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » التوبة - ٣٥ .

الآيات الشريفة المتقدمة صريحة في تجسم الاعمال كما دلت



عليه الأدلة العقلية والنقلية ، والتجسيم يحصل بعمل نفس الانسان وإعداده له كما تدل عليه هذه الآية . على ان الغنى والمال انما هو من فضل الله تعالى يؤتبه من يشاء من عباده وفعل المكلف في ذلك انما يكون مقتضياً فيرتب عليه اثر فعله لا اثر فضله جات عظمته .

قوله تعالى : بما آتاهم الله من فضله .

فيه كمال الاحتجاج على الباخلين ، وفيه التوبيخ والذم لهم فان ما يبخلون به انما هو من عطاء الله تعالى وفضله ، والآية الكريمة لا تختص بنوع معين فان عموم قوله تعالى : « بما آتاهم الله من فضله » يشمل المال والعلم والجاه وكل فضل من الله تعالى يمكن ان ينتفع به الناس فان الامتناع عن بذله والبخل به يكون مرجوحاً وتشمله الآية المباركة وفي الحديث عن نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) : « من سئل عن علم فكتمه ألجم من نار » .

قوله تعالى : هو خيراً لهم بل هو شر لهم .

بيان لواقع الحال في ان ما توهموه خيراً انما هو في الحقيقة شر لان ما زعموه في وجه الخيرية في البخل هو حفظ المال لمنافعهم وشؤونهم وهذا في مقابل الشر العظيم المترتب على ذلك عدم محض ، وهو يكشف عن رذيلة خلقية وهي رذيلة الشح وسوء الظن بالله العظيم ، وينبئ عن فسق صاحبه لان فيه خسة المعصية وبعده عن مكارم الاخلاق لانه يخسر فضيلة الطاعة وحسن السماحة والرحمة ، والاعانة للضعيف ، والتكافل الاجتماعي ، مضافاً الى انه موجب للحرمان عن الثواب الجزيل المترتب على البذل والعطاء في سبيل الله تعالى ولعله لاجل ذلك جاء النص على كونه شراً مبالغة فيه ودفعاً لكل توهم في قوله تعالى :

« بل هو شر لهم » مع كفاية ما تقدم في نفي الخيرية على ذلك .

قوله تعالى : سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة .

إخبار عن عواقب الخال وتعليل لكون البخل شراً لهم ببيان ذكر أهم العلل والآثار . و « سيطوقون » من الطوق والسين للتأكيد ، والمراد به أن ما بخلوا سيتمثل يوم القيامة كالحمل الثقيل الذي يجعل في عنقهم كالطوق فيزيد في تعبهم وفزعهم فوق ما يحملونه من الأوزار فيكون من طوق التكليف (المشقة) لا من طوق التقليد ومنه قول الشاعر :  
( كل امرئ مجاهد بطوقه )

وقد ذكر المفسرون في بيان ذلك وجوهاً والظاهر أنها ترجع إلى امر واحد وهو تصوير الحمل الثقيل في يوم القيامة وهو إما أن يكون طوقاً في التكليف أي تكلفوا أن يأتوا بمثل ما بخلوا أو طوقاً على وجه التقليد كالثعبان وبه روايات وفي الحديث عن نبينا الأعظم ( صلى الله عليه وآله ) : « مَنْ ظلم شبراً من أرض طوقه الله من سبع أرضين » وعلى أي حال فالمراد به ما ذكرناه .

قوله تعالى : ولله ميراث السموات والأرض .

أي : وهم لا يعلمون أنهم عن قريب يتركون ما بخلوا به وما اكتنزوه لأنفسهم فيرثه الله تبارك وتعالى الذي له ميراث السموات والأرض وحده فلا هم ينتفعون به ولا هم ينجون من تبعاته وآثامه يوم القيامة فتبقى الحسرة عليهم والندامة لهم لا تنفك عنهم .

قوله تعالى : والله بما تعملون خبير .

تهديد وتوعيد لهم بأنه لا يخفى على الله تعالى شيء وهو يعلم

- ١٢٢ - مواهب الرحمن - ج ٧

ما يعملون فيجازيهم عليه . و اظهار اسم الجلالة لبيان المهابة وزيادة في التهديد .

قوله تعالى : لقد سمع الله قول للذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء .

بعد أن كان الخطاب عاماً يشمل اليهود وغيرهم وبين لهم حقيقة الحال في البخل وما يزعمه في ما يدخره ويبخل به .  
ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية الشريفة مظهراً آخر من مظاهر سوء الظن بالله العظيم والبعد عنه عزوجل وهو نسبة الفقر الى الله تعالى وهي تنبئ عن ان قائلها لا يعرف الله اصلاً ولا يحشاه عزوجل .  
والقاتلون بهذه المقالة هم اليهود بقريظة السياق في تعداد مثالبهم وجرائمهم فهم الذين صدرت عنهم تلك الاقوال البذيئة والافعال الشنيعة والسبب في صدور هذا القول منهم متعدد فاما ان يكون تهكماً بالقرآن الكريم في قوله تعالى : **وَمَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً البقرة-٢٤٥** أو إستهانة بفقراء المؤمنين وتعريضاً بفقرتهم وفاقتهم ، أو استهزاء بالامان واهله ، فانهم عرفوا بالاستهزاء والوقاحة والجرأة على الله تعالى والحق . ولا يقدح ان يجتمع جميع تلك الاسباب فيهم كما يأتي في البحث الروائي نقل بعض الروايات .

وانما ذكر عزوجل السماع دون غيره لبيان شناعة القول وفيه التوعيد والتهديد لقائله فهو سماع علم وتهديد واثبات للعذاب الاليم لهم لاسماع قبول ورضا .

واما وجه القسم فهو تأكيد لشناعة قولهم وصدوره عنهم فانهم بمقالتهم هذه كانوا ينكرون السمع لله تعالى أو ينكرون المقال اصلاً

فأكده عز وجل بالتأكيد القسمي على السماع وترتب الجزاء على ما سمع .

قوله تعالى : سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق .

تأكيد آخر . اي : نحفظ ما قالوا ونثبتته في صحائف اعمالهم  
لوصول جزائهم اليهم ، كما اثبتنا قتلهم الانبياء بغير حق علماً منهم  
بأنهم انبياء وظلماً وعدواناً عليهم .

وانما قرن بين قولهم وفعلهم لتثبيت شناعتهما من كل جهة وليبيان  
فساد كل واحدة منها والمراد بالكتابة هو الحفظ لاجل الجزاء عليه  
والسين للتأكيد والخطاب يدل على عظم ما قالوه .

وفي نسبة القتل الى الحاضرين منهم إما لاجل رضائهم بفعل السلف  
أو لان الامة تستوي في التكافل الاجتماعي وانهم على حد سواء في  
الامور العامة التي لا بد من الالتزام بها ومراعاتها ، والاعتراض على  
من انكرها ، ومن تلك الامور الانكار على فاعل المنكر من افراد  
تلك الامة ، والا كانوا متساوين في الجريمة وامتحاق العذاب وقد  
تقدم في سورة البقرة ما يتعلق بذلك أيضاً فراجع وفي الحديث عن  
الصادق ( عليه السلام ) : « ان بين القاتلين ان الله عهد الينا - وهم  
الذين قالوا : ان الله فقير ونحن اغنياء - وبين القاتلين للانبياء خمسمائة  
عام ، فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا .

أقول : لعل التقدير بالخمسمائة من باب المثال للكثرة .

قوله تعالى : ونقول ذوقوا عذاب الحريق .

الذوق معروف وهو ما يكون باللسان لمعرفة طعم الطعام واصله في  
ما يقل تناوله دون ما يكثر ثم اتسع استعماله لادراك سائر المحسوسات  
والحالات يقال : ذاق الامرئين إذا وقع في الشدائد وكابد احوالها

وقاسى آلامها . وقال بعضهم : إن كلمة ( ذق ) تستعمل لمن آيس عن العفو ، وهي تؤذن بأن ما هم فيه من العذاب والهوان يعقبه ما هو أشد من ذلك وادهى .

والحريق إما بمعنى المحرق فتكون إضافة العذاب اليه ببيانية أو تكون الإضافة للسبب لتنزيه منزلة الفاعل فيقال عذاب الحريق النار أو اللهب . والانتقام بهذا القول لبيان ان العذاب قد تحقق ووجد ولا يمكن الخلاص منه وهو ينبيء عن كمال الغضب .

وفي الآية الشريفة وجوه تدل على المبالغة في الوعيد والشدة في العذاب ، فقد ذكر فيها القول ، والعذاب ، والحريق ، والذوق .

قوله تعالى : ذلك بما قدمت ايديكم .

الاسم ( ذلك ) إشارة الى العذاب الذي نزل منزلة المحسوس المشاهد لتحقيقه ولتهويل الأمر وتعظيم شأنه في المظاهرة . والباء للسببية . والمراد بالايدي الانفس والاشخاص ، وانما ذكرت لانها آلة للتقديم غالباً وليبان ان ذلك مما جنته ايديكم وانتم تتحملون مسؤوليته فتفيد النسبة إلى يد الفاعل الصاق العمل بهامله وتام مسؤوليته عليه ما لا يفيد غيرها ذلك .

والمعنى : ان ذلك العذاب انما هو بسبب ما قدمت من العمل وهو الجزاء المختص لهذه النفوس الآثمة الوقحة على الله تعالى ورسوله .

قوله تعالى : وان الله ليس بظلام للعبيد .

تعليل لجميع ما تقدم اي : ان ذلك العذاب والكتابة والحفظ لأجل ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ، ويستفاد منه انه لو لم يكن ذلك الحفظ والجزاء لكان اهمالاً لقانون الجزاء المبني عليه النظام

الاحسن ، ونفي الظلم الكثير حسب تعدد الاعمال والجزاء فيكون ظلماً كما أن نفي الظلم عنه عز وجل يستلزم اثبات العدل فيه فهو عدل في حكمه وفعله وجزائه وعذابه .

وهيئة « ظلام » تأتي اما للنسب كعطار ، أو للمبالغة ، وكلاهما صحيح في المقام اما الاول اي لا ينسب اليه ظلم اصلاً لأن من كان على نهاية الكمال والعظمة وكانت كل صفة فيه في أعلى مراتب الكمال لا يعقل الظلم بالنسبة اليه لان الظلم يستلزم النقص والمفروض انتفاؤه فيه جل شأنه فلو كان سبحانه وتعالى ظالماً كان ظلماً .

واما الثاني فلان المنفي عنه الظلم الكثير فاذا ترك الظلم الكثير مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضرر كان لقليله مع قلة نفعه اكثر تركاً وأشد امتناعاً . وتقدم آنفاً انه يمكن ان يكون الكثير والمبالغة لاجل تعدد الاعمال والجزاء .

ومن ذلك يعلم انه لا وجه للاشكال بأن نفي الظلم ابلغ من نفي الاكثريه لان الاخبار لا ينفي اصله ، بل ربما يشعر بوجوده . وانت بعد الاحاطة بما ذكرناه تعلم الجواب عنه فان التعبير بالكثرة لبيان ان ما حتمه تبارك وتعالى منزّه عن اي ظلم وانه بلغت نزاهته الى حد الكمال ولشدة كماله وتاميته كان الظلم القليل بعد بالنسبة اليه ظلماً كثيراً فيصير ظلماً فكما له المطلق يوجب عدم ثبوته له مطلقاً .

قوله تعالى : الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول .

الجملة في موضع خفض بدلاً من الذين في الآية الكريمة المتقدمة أو نعتاً له . والمراد بالعهود هو الأمر والتوصية .

والآية الشريفة تبين زعماً آخر من مزاعم اليهود الفاسدة ، فقد

زعموا أن رفضهم الايمان برسول - يدعي برسالة من الله تعالى وهم لا يعترفون برسالته حسب اهوائهم - كان بوصية من الله تعالى وإطاعة لامره عزوجل .

وانما قالوا « لرسول » مدهانة ومغالطة والافهم لا يعترفون برسالة أحد إلا من يعلقون الايمان به على ما قالوه .

قوله تعالى : حتى يأتينا بقربان تأكله النار .

القربان : فعلان من القربة وهو يأتي اسماً كالبرهان والسلطان ومصدرأ كالعنوان والخسران وهو كل ما يتقرب به الى الله تعالى من نعيم وغيرها . واكل النار كناية عن احراق القربان واحالته إلى رماد وكان ذلك معجزة خاصة تدل على صدق المدعي في دعواه .

ويستفاد من الآية الشريفة وذيلها انها كانت شائعة عندهم وفي بعض الاحاديث انها كانت لانبيا بني اسرائيل وفي قصة ابني آدم دلالة على وقوعها كما حكى الله تعالى ذلك في سورة المائدة آية ٢٧ .

وذكر بعض المفسرين ان إحراق القربان كان بفعل انفسهم وبأيديهم ولم يكن معجزة خارقة للعادة واستشهد ببعض الفقرات من الفصل الاول من سفر اللاويين . ولكن ما ذكره مخالف لظاهر الآية الشريفة بل صريحها في ان احراق القربان كان بسبب غيبي فهي معجزة دالة على صدق مدعي الرسالة واستشهاده بالتوراة الرائجة غريب جداً فانها مضافاً إلى معلومية تحريفها بحيث لا يبقى مجال للاستشهاد بها معارض بما دل على نزول النار من السماء . وقد كفانا مؤونة الرد عليه شيخنا البلاغي ( قدس الله نفسه ) فراجع .

وكيف كان فهي معجزة خارقة للعادة وهؤلاء زعموا ان ايمانهم

بالرسول (صلى الله عليه وآله) متوقف على مجيء النار لتأكل القربان الذي يقدمونه وما دام الرسول لم يأتهم بذلك فهم لا يؤمنون به إطاعة لأمر الله تعالى لهم فيكون طلبهم لهذه المعجزة على سبيل التعمت لا الاسترشاد ولذا جاء الرد عليهم بالكذب .

قوله تعالى : قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم .  
تكذيب لهم في دعواهم على الله تعالى والزام لهم بالإيمان . اي  
قل لهم يا رسول الله قد جاءكم رسل من الله تعالى قبلي وجاءكم بالبينات  
الواضحات الدالة على صدق دعواهم وحقية رسالتهم خصوصاً ذلك  
الذي قلتم وهو القربان الذي تأكله النار .

قوله تعالى : فيلمّ قتلتموهم .

اي : انكم لم تكتفوا بالمصيان وعدم الإيمان بهم بل تجرأتم عليهم  
فقتلتموهم وهو يدل على خبيثهم وجرأتهم على الحق واهله .

قوله تعالى : ان كنتم صادقين .

زيادة تقرير لهم بانهم كاذبون في ما زعموه وما نسبوه الى الله  
تعالى فكل ما ذكروه هي من مفتعلاتهم التي ارادوا منها الاعراض عن  
الإيمان مع انه قد امرهم انبياؤهم بالإيمان بالرسول الكريم ( صلى  
الله عليه وآله ) .

قوله تعالى : فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك .

تسلياً للرسول الكريم ( صلى الله عليه وآله ) في تكذيبهم له اي :  
فان كذبوك يا رسول الله مع ما جئت به من الحجج الباهرة والمعجزات  
الكثيرة فقد كذبوا رسلاً من قبلك جاءوا بمثل ما جئت به فلا تحزن



لكفرهم فانهم أبوا الا على العصيان ولا تعجب من فساد امرهم .  
قوله تعالى : جاءوا بالبينات وللزبر والكتاب المنير .

البيئات : هي الحجج الباهرات والمعجزات الواضحات ، والزبر جمع زبور وقد ذكر لمادة ( زبر ) معان متعددة ولكن يمكن جعلها من متحد المعنى - وما ذكروه انها هو من ذكر المصاديق لا الاختلاف في اصل المعنى - وهو القطع والفصل يقال : زبرت اي كتبت لان الكتابة تستلزم تقطيع الحروف والكلمات ، ومنه زبر الحديد اي قِطَعِها واجزائها ، ومنه ايضاً زبرت الرجل اي : انتهرته وهو يستلزم قطعه عما زبر عنه .

والمراد بها تلك الكتب التي تشمل على الحكيم والمواعظ التي تزجر الانسان عن المعاصي وتمنعه عن ارتكاب الآثام .  
والكتاب المنير اي المضيء بشرايعه ومعارفه واحكامه ، والمراد به جنس الكتاب وهو الكتب المنزلة من السماء لانارة الطريق وهداية الناس الى الصراط المستقيم : وانما جمع بين الزبر والكتاب وهما بمعنى واحد لاختلاف اصلها والآثار المترتبة عليها .

## بحوث المقام

بحث ادبي :

خيراً في قوله تعالى : « هو خيراً لهم بل هو شر لهم » مفعول ثان ليحسن ، والمفعول الاول هو البخل المدلول بقوله تعالى « يبخلون »

أو الذي بخلوا به مما آتاهم الله . و « هو » ضمير فصل والفاعل « الذين » هذا بناءً على القراءة المشهورة « لا يحسبن » بالياء واما من قرأ بالتاء فالفاعل هو المخاطب إما النبي ( صلى الله عليه وآله ) أو من يستحق الخطاب ، و « الذين » مفعول اول على تقدير حذف مضاف واقامة ( الذين ) مقامه وهو فاصلة وخيراً مفعول ثان .

والالتفات في قوله تعالى : « والله بما تعملون » الى الخطاب للمبالغة في التهديد لان تهديد العظيم بالمواجهة أشد وقرىء « بما يعملون » بالياء على الغيبة . وانا قال تعالى : « سنكتب ما قالوا » دون ( كتبنا ما قالوا ) لان الكتابة في الماضي ربما تحمل العفو فكان الخطاب الاول ابلغ في الوعيد .

ونظير قوله تعالى : « جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير » قوله عز وجل : « وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير » فاطر - ٢٥ ولكن الفرق بينهما من جهتين :

الاولى : انه جعل لفظ الماضي ومبني للمجهول في الشرط مقام لفظ المستقبل في آية آل عمران قال تعالى : « فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » بخلاف الآية الشريفة الواردة في سورة فاطر فان الشرط فيها بلفظ المستقبل والفاعل مذكور مع الفعل .

الثانية : ان الآية المباركة في سورة آل عمران قد ذكر فيها ( باء ) واحدة « بالبينات والزبر والكتاب المنير » إلا في قراءة ابن عامر والآية الشريفة الواردة في سورة فاطر قد ذكر فيها باءات ثلاثة « بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير » ولعل الوجه في ذلك انه قد ذكر فيها الشرط بلفظ المستقبل وذكر الفاعل أيضاً فاقضى ذكر الباءات

الثلاثة لبيان ان كل رسول كان من الرسل كان له واحداً من الثلاثة والآية الشريفة الواردة في سورة آل عمران كان الامر فيها بيان ان الرسل كان من شأنهم إقامة الحججة على اقوالهم واعطاء المواعظ الزاجرة وإنارة الطريق بالكتب بمعارفها الفاخرة .

### بحث دلالي

تدل الآيات الشريفة على امور :

الاول : يدل قوله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » على ذم البخل وانه من رذائل الاخلاق بل من مهلكاتها فهو يجلب الشر والشقاء للفرد البخيل ويضر الاجتماع وهو مانع عن الخير والسعادة الفردية والاجتماعية ، ويكفي في بُعد صاحب هذه الرذيلة عن الكمال ان الله تعالى اوعده على من يبخل من ما تفضل الله تبارك وتعالى عليه بأن يجعله في شدة وعذاب وسيمثل ذلك له حملاً ثقيلاً يكون كالطوق في عنقه مضافاً إلى الفزع الأكبر الذي هو فيه ، وقد ترك ما ادخره وما بخل به فلم يأخذ منه شيئاً وورثه الله تعالى السذي له ميراث السموات والارض ، فكان ذلك وبالاً عليه لم ينتفع به لافي الدنيا ولا في الآخرة .

والبخل تارة يكون عن عدم إعطاء الحقوق الواجبة على الانسان - كالتزكاة والخمس - وغيرهما . واخرى يكون عن عدم الانفاق في الجهات الراجعة غير الواجبة وثالثة يكون عن عدم الانفاق في الامور المباحة غير المرجوحة شرعاً واطلاق الآية الكريمة يشمل الجميع وسياتي

في الموضوع المناسب تفصيل الكلام في هذه الرذيلة الخلقية ان شاء الله تعالى .

الثاني : يدل قوله تعالى : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » على تجسم الاعمال وقد دلت عليه الادلة العقلية والنقلية كما عرفت . ولم يبين سبحانه الطوق الذي يتمثل لهم يوم القيامة في هذه الآية الشريفة لتحويل الامر ، واختلافه باختلاف درجات البخل وكمية ما بخل به وسائر خصوصياته وقد ورد في بعض الاحاديث « يطوق ماله شجاعاً اقرع » ولعله في مقام بيان احد المصاديق ،

الثالث : يدل قوله تعالى : « والله ميراث السموات والارض » ان كل ما يعطاه الانسان من مال وجاه وقوة وفضل وعلم بل كل ما في الارض والسموات عرض زائل لا يبقى وصاحبه يفنى ولا وجهه للبخل به واستبقاء ما هو فان وزائل ، وعليه ان يقرضه الى من يبقى ملكه ويدوم وان يبذله في المواضع اللائقة له وما أمره الله تعالى به وما هو مطلوب منه وبذلك قد ادرك رضاء الله تعالى فيكون محسناً والله يحب المحسنين .

الرابع : يدل قوله تعالى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء » على ان القائلين بهذه المقالة قد اجتمع فيهم من صفات السوء وخصال الشر ما لم تجتمع في غيرهم من سوء ادب مع الله تعالى والجرأة عليه وتكذيب الرسل والبخل وقتل الانبياء ، ومعاندة الحق . والآية الشريفة تعدد تلك الخصال وتبين جرائمهم وتندد بها

وتوعد عليها وتقلل من شأن المتصفيين بها في نفوس المؤمنين .

الخامس : يستفاد من قوله تعالى : « وقتلهم الانبياء بغير حق » ان الرضا بالمعصية معصية فمن رضي بقتل الانبياء بغير حق من متأخري اليهود يكون مع المتقدمين الذين وقع القتل على ايديهم على حد سواء

في المعصية وهم مشتركون في الجزاء والعذاب الحريق . ويدل عليه قوله تعالى : « ذلك بما قدمت ايديكم » فكأن تلك الافعال المنكرة قد حصلت منهم جميعاً مباشرة مع العمد . ويرشدنا الله تعالى في مثل هذه الآيات إلى النظر في افعال المتقدمين والعبرة منها واستحسان ما استحسنوه وتقييح ما فعلوه من القبائح والا كانوا شركاء معهم في الاثم .

السادس : يمكن ان يستفاد من قوله تعالى : « وان الله ليس بظلام للعبيد » ان كثرة الظلم انا هو من جهة كثرة ما يجزى على المعاصي الصادرة من العبيد فيكون التعدد والكثرة بحسب تعدد المتعاق وقد تقدم في التفسير وجه آخر فراجع .

ويستفاد منه انه لا يمكن ان ينسب الظلم اليه تعالى لفرض انه الذات المستجمعة لجميع الكمالات الواقعية والادراكية ومسلوب عنه جميع النقائص الواقعية والادراكية والظلم نقص واي نقص اشد منه فيمتنع ان ينسب اليه والا كان خلقاً . وهذا البرهان يأتي في كل النقائص الواقعية والادراكية ولا يختص بالظلم فقط .

ومن الآية الشريفة يستفاد بطلان فلسفة اليهود والنصارى واشتمالها على امور لا تطابق العقل وفسادها اوضح من أن يخفى مع ان الفلسفة الاسلامية قد فتحت عليهم ابواباً من المعارف والحقايق ولكنهم اعرضوا عنها وحرفوا الكلم عن مواضعه .

السابع : يدل قوله تعالى : « سنكتب ما قالوا » على كمال الحفظ لما فيه من أمن النسيان ، وفيه من التوعيد ما لا يكون في غيره . وقد شاع استعمال لفظ الكتابة في التوعيد على الذنب واردة العقوبة عليه .

الثامن : يستفاد من قوله تعالى : « جاءوا بالبينات والزبور والكتاب المنير » ان الرسل انما بعثوا بهذه الامور الثلاثة : البينات

وهي الدلائل الواضحات التي تدل على صدق دعواتهم واثباتها مقابل كيد الكافرين وابطالهم . والزبر وهي المواعظ المشتملة على مكارم الاخلاق وفضائلها وما يكون موجبا لتهديب النفس وتطهيرها من الرذائل والمفاسد . والكتاب المنير المشتمل على اصول المعارف والاحكام الالهية التي تهدي الانسان الى الكمال المنشود والسعادة في الدارين وهو اسم جنس يشمل جميع الكتب السماوية كما تقدم .  
وانما ذكرها عز وجل لبيان شدة التنكير وقبح العمل فان الذين كذبوا الرسل انما حرموا أنفسهم من السعادة وما هو الصالح، وللإعلام بأن جميع المعارف الالهية والاحكام الشرعية والاصول الاعتقادية لا بد وان تنتهي الى وحي السماء .

### بحث روائي

في الكافي عن الصادقين (عليهما السلام) في قوله تعالى :  
« سيطوقون ما نخلوا به يوم القيامة » قال (عليه السلام) : وما من احد يمنع من زكاة ماله شيئاً الا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله عز وجل سيطوقون - الآية - .

وفي تفسير العياشي في قوله تعالى : سيطوقون ما نخلوا به يوم القيامة ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما من ذي مال نخل ولا زرع ولا كرم يمنع زكاة ماله الا قلدت ارضه في سبع ارضين يطوق بها الى يوم القيامة .

اقول : الاحاديث في مضمون ذلك كثيرة مروية في كتب الفريقين وقد ذكرنا انها من باب المثال لكل ثقل يطوق به في عنق الذي يخل بما تفضل الله عليه وذكر الزكاة والمال انما هو من ذكر اهم المصايدق وإلا فالآية المباركة عامة تشمل مطلق ما تفضل الله تعالى على الانسان ولا بعد في تقليد الارض في عنق مانع الحق لان تقليل الكثير وتكثير القليل واتعان تحت قدرته فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .  
وفي الدر المنثور اخرج ابن المنذر وابن جرير عن قتادة في قوله تعالى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا » قال : « ذكر انها نزلت في حيي بن اخطب لما نزل « من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة » قال : يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقير الغني » .

اقول : الروايات في مضمون ذلك كثيرة وفي بعضها ان السذي قال ذلك رجل من اليهود ويقال له فنحاص وكان من علمائهم ؛ وفي آخر ان الذي قاله هم اليهود لما اتت الى رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) .

وفي تفسير العياشي في قوله تعالى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء » قال : « والله ما رأوا الله حتى يعلموا انه فقير ولكنهم رأوا أولياء الله فقراء فقالوا : لو كان غنياً لاغني أوليائه وفخروا على الله بالغنى » .

اقول : مثله ما رواه القمي في تفسيره ويستفاد منه ان الاسباب لهذه المقالة متعددة ومقصود اليهود من ذلك معروف وهو تطميع المؤمنين بالمال والايحاء اليهم بأنهم هم الاغنياء والمال عندهم فقط فلا ينفعهم الايمان ، ويدل على ما ذكرناه ما ورد في المناقب عن الباقر ( عليه

السلام ) قال : « هم الذين يزعمون أن الامام يحتاج الى ما يحملونه  
اليه ، فلو كان الامام - الذي هو من باب المثال - يحتاج الى مال  
اليهود فكيف بالمؤمنين وهذا هو اسلوب من الاساليب الخبيثة التي  
اتبعتها اليهود عبر التاريخ لصد الناس عن الايمان بالرسول والانبياء .  
وقد ابطل سبحانه وتعالى مزاعمهم بأحسن وجه وابلغ أسلوب ، وكل  
ذلك يدل على عدم فهمهم للكنايات ولوازم الكلمات .

في تفسير القمي في قوله تعالى : « لن نؤمن لرسول حتى يأتينا  
بقربان تأكله النار » قال : « كان عند بني اسرائيل طست كانوا  
يقربون القربان فيضعونه في الطست فتجيء نار فتقع فيه فتحرقه فقالوا  
لرسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : لن نؤمن لك حتى تأتينا بقربان  
تأكله النار كما كان لبني اسرائيل فقال الله تعالى : قل - لهم يا محمد  
« قد جائكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم تقتلوهم ان  
كنتم صادقين » .

أقول : الوارد في جملة من كتب التواريخ ان محل قبول القربان  
كان في بيت المقدس ولعل ذكر الطست مثال لذلك المحل الخاص .  
وفي الكافي في قوله تعالى : « وقتلهم الانبياء بغير حق » عن  
الصادق ( عليه السلام ) : « أما والله ما قتلوهم بأسيا فهم ولكن  
اذاعوا أمرهم وأفشوا عليهم فقتلوا » .

أقول إذاعة اسرار انبياء الله تعالى أسرع في التسبب الى قتلهم  
من المباشرة في القتل ولعل ذلك هو السر في بيان الامام ( عليه  
السلام ) له .

وفي تفسير القمي في قوله تعالى : « فان كذبوك فقد كذب رسل  
من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير » قال أبو جعفر



( عليه السلام ) الزبر هو كتب الأنبياء، والكتاب المنير الحلال والحرام .  
أقول : يمكن ان يكون ذلك بياناً لبعض المصاديق فلا ينافي ما  
تقدم في التفسير .

### بحث فقهي

الآية الشريفة : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله  
- الآية - تدل على حرمة البخل وقبح جمع المال وإدخاره ، ولكن  
المستفاد من مجموع الأدلة الواردة في الكتاب والسنة ان جمع المال وإدخاره  
ينقسم حسب الاحكام الخمسة التكليفية .

الأول : ما إذا كان واجباً وهو ما إذا جمعه الانسان لأن يصرفه  
في النفقات الواجبة - خالقية كانت او خلقية - وهي كثيرة كالانفاق  
على الاولاد أو اعطاء الدين وغيرها مما ذكر في الكتب الفقهية .

الثاني : ما إذا كان مندوباً وهو الجمع للصرف في الخيرات والمبرات  
الراجعة شرعاً .

الثالث : ما اذا كان مكروهاً وهو الجمع والادخار للانفاق في  
الاعراض المرجوحة شرعاً غير البالغة حد الحرمة كجملة من الانفاقات  
التي تنفق لإجل التفاخر بين الناس والمراعاة معهم .

الرابع : ما اذا كان محرماً وهو الجمع للصرف في الاعراض  
المحرمة شرعاً .

الخامس : ما اذا كان مباحاً وهو ما اذا لم يترتب عليه اية جهة  
راجعة أو مرجوحة لو لم نقل بأن جمع المال من حيث هو مرجوح

شرعاً كما يستفاد من جملة من الأخبار كقول رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) . « الدنيا جيفة وطلابها كلاب » وقول مولانا الصادق ( عليه السلام ) : « والله ما تناولت من دنياكم إلا ما اضطرت اليها » : الى غير ذلك مما روي عن المعصومين ( صلوات الله عليهم اجمعين .

### بحث عرفاني

جمع المال بلا شوق ومحبة اليه غير ممكن لما ثبت في محله ان كل فعل معلول الشوق والمحبة وبدونها يكون المعلول بلا علة وهو باطل بالضرورة ولا ريب في انه يتنافى محبة الله تعالى والشوق اليه وهو من أهم الموانع التي تصد الانسان عن ذكر الله تعالى والقيام بوظائفه الشرعية ، وهو من العوائق التي تعيق عن الاستكمال والتخلق بأخلاق الله عز وجل اللهم الا ان يكون الجمع لاجل الانفاق في ما يرتضيه الله تعالى فيرجع الى حب الله تعالى .

ومن ذلك يظهر السر في ما ورد في القرآن الكريم من الانفاق في سبيل الله تعالى فانه الطريق الامثل للوصول الى اعلى المقامات والتنزه عن جملة من الرذائل كذيلة الشح والبخل ونحوهما .

ولكن مع ذلك جمع المال بنفسه من المبعثات عن حظيرة القدس وساحة الرحمن ولعل السر في كثرة تنزه الانبياء ( عليهم السلام ) والأولياء عن الدنيا هو ذلك .

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ  
 أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ  
 وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا  
 مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) لَتُسْبَلُوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَتَّفُسِيكُمْ  
 وَلتسمعَنَّ من الذين اتوا الكتاب من قبلكم  
 ومن الذين أشركوا اذى كثيراً وإن تصيبروا  
 وتشفقوا فإن ذلك من عزم الأمور (١٨٦) وأذ  
 أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتسبيننه  
 للناس ولا تكتمونه فنسبوه وراء ظهرهم  
 وأشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مما يشترون (١٨٧)  
 لا تحسبن الذين يقرحون بما أتوا ويحبون  
 أن يحمدوا بما لم يفتعلوا قليلاً تحسبنهم  
 بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم (١٨٨)  
 والله مالك السموات والأرضين والله على كل  
 شيء قدير (١٨٩)

رجوع إلى استنهاض الناس إلى الجهاد في سبيل الله تعالى والصبر  
 والمثابرة في ميدان القتال وإن المعركة مع أعداء الله تعالى حتمية لا بد  
 منها وإثبات كلمة التوحيد مما لا يمكن التخلي عنه والموت الذي يصيب  
 كل ذي حياة لا يمكن الفرار منه فلا بد أن لا يخاف منه ولا يكون  
 حائلاً عن تطبيق ذلك الهدف الاسمي والله جلت عظمته يوفي الأجور  
 في يوم يحتاج إليها الإنسان وليست الدنيا محلها فإنها المتاع الذي يستمتع  
 به الإنسان في أيام قلائل ثم يزول عنها، فهذه الآيات الشريفة تحرض

المؤمنين الى الجهاد بأبلغ اسلوب .

ثم ذكر سبحانه وتعالى ان السنة في هذه الحياة الفانية هي التمحيص والتمييز والابتلاء ولا يمكن لاحد التخطي عن هذا الامتحان الالهي وهي سنة حتمية لا يمكن الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة ونيل الاجر الحقيقي والعبودية الكاملة الا مع العبور على هذه القنطرة والدخول في تلك السنة الربانية .

وقد ذكر عزوجل من الابتلاء ما يناله المؤمنون من اعداء الله تعالى من الاذى قولاً والعدوان فعلاً ثم وعدهم الحسنی ان هم صبروا واتقوا وهما من عزائم الامور التي يحتاج اليها كل فرد في مواجهة المشاكل والمكاييد .

واخيراً بين سبحانه وتعالى مفاصد اخلاق اهل الكتاب الذين امرهم الله جلّت عظمته ببيان الحق واخذ عليه الميثاق منهم ولكنهم خالفوه وعاندوه فكتموه وحرفوه واوعدهم النار وسوء العذاب .

كما بين سبحانه وتعالى ان ما سواه عزوجل هو ملك له يتصرف فيه بما يريد جلّت عظمته وبما يشاء وهو على كل شيء قدير لا يمنعه عن ارادته احد .

### التفسير

قوله تعالى : كل نفس ذائقة الموت .

قضية حقيقية طبيعية وجدانية، فان بناء هذا العالم على تجدد الامثال وتبدل الاحوال ، وان دار الدنيا دار الكون والفساد ومقتضى ذلك ان

التبدل والموت والفناء من مقومات حقيقة هذا العالم ولذا بدأ بالحكم العام المقضي له في حق كل ذي حياة ولا يستثنى من ذلك احد فاصل القضية وجداني لكل ذي حياة . نعم عامة الناس محرومون عن ترتيب الاثر على هذا الامر الوجداني قال تعالى : « إقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون » الانبياء - ١ وفي الحديث : « الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا » .

والآية الشريفة تنبه الناس الى المصير المحتوم ، وتزجرهم عن ما هم عليه من الغفلة والذهول ، وتحرض المؤمنين الى القتال مع اعداء الله تعالى ، وتبين أن هذه المعركة حتمية فلا ينبغي الخوف لان كل نفس ذائقة الموت ، فمن يقعد عن القتال لا ينجو من الموت فلا عذر في القعود ، ثم هي توعد الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن القتال فان الموت لا بد منه وهو ملاقيهم ولا مفر منه قال تعالى : « قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » الجمعة - ٩ وليست الدنيا إلا متاعاً يستمتع به الانسان ثم يزول مها طال الزمن فهم لا بد لهم من الورود على الله عز وجل الذي يجازيهم على اعمالهم ، فالآية المباركة تتضمن الوعد للمصدق والوعيد للمكذب .

وهي تسلي النبي ( صلى الله عليه وآله ) والمؤمنين بأن حياة الظالمين منتهية لا محالة وسينتهي ما يلاقونه منهم من البلاء والعذاب ، وليس عليكم من اوزارهم شيئاً .

والمراد بالنفس ما به الحياة وعمومها يشمل كل ذي حياة من الانسان والحيوان والنبات والملائكة قال تعالى : « فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام

ينظرون ، الزمر - ٦٨ والمنساق من الاستثناء خصوص فرد واحد وهو ملك الموت ولكنه يموت بعد ذلك بمشيئة الهية كما هو مفصل في الحديث .

وقد يقال ان الآية المباركة بعمومها تشمل الباري عز وجل لاطلاق النفس عليه قال تعالى حكاية عن عيسى بن مريم : « تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب » المائدة - ١١٦ . ولكنه فاسد لاختصاص لفظ النفس بالاجسام ، وان النفس التي تضاف اليه عز وجل ليست النفس الاصطلاحية المعروف فان مثل هذه النفس لا يعقل ذوق الموت بالنسبة اليها بل هي بمعنى الذات ، واطلاق النفس عليه جلت عظمتة لحسن المشاكلة ومراعاة الفصاحة والبلاغة . وذوق النفس للموت باعتبار انفصال تدبيرات النفس عن البدن ومفارقة الروح عنه ولذا عبر سبحانه وتعالى بالذوق لانه انما يكون عن شعور وهو يختص بالنفس وهي باقية ببقاء الله تعالى إما في زمرة السعداء أو في زمرة الاشقياء ، واما البدن فلا شعور ولا احساس له بعد انفصال الروح عنه بالموت وان كان اصل المادة باقية ، واما الصور فهي تتبدل حسب مرور الدهور والايام الى ان يحشر في يوم القيامة . قوله تعالى : وانما توفون اجوركم .

التوفية العطاء الكامل يقال وافاه اجره اي : اعطاه اياه تماماً ولم ينقص منه شيئاً وفي الحديث : « انكم وفيتم سبعين امة انتم خيرها ، اي . تمت العدة بكم سبعين .

والمعنى : من ذاق الموت يوفى اجره تماماً سعيداً كان أو شقيماً لأن كلا منها يستحق جزاء عمله ويوفى اجره اليه فنتائج الأعمال لا تنفك عن العامل .

قوله تعالى : يوم للقيامة .

القيامة مصدر ويوم القيامة هو وقت قيام الناس لرب العالمين من القبور والاجداث وانما خصه عز وجل بالذكر لبيان انه مهما نال الانسان من الأجر فان التوفية انما تكون في ذلك الوقت وللإعلام بأن الاجور فيه هي الأجور الحقيقية التي يستحق الانسان ان يسمى اليها دون ما يتمتع في الحياة الدنيا فانها ناقصة فانية ، فيستوفى الجميع اجورهم اما الكفار والمنافقون فيأخذون جزاء اعمالهم وافياً من دون عفو ومغفرة من الله تعالى وأما المؤمنون فانهم يستوفون جزائهم في الاجر الذي يعطيهم الله تعالى كاملاً وأما جزاء السيئات فهو في معرض المسامحة والغفران .

قوله تعالى : فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز .

تفصيل لتوفية الأجر بعد الاجال . والزحزحة تكرير الزح وهو الجذب بعنف وعجلة .

وهذه الآية الشريفة بعبارتها البليغة الموجزة واسلوبها الجذاب لها الأثر العظيم في نفوس المؤمنين والواقع الكبير عليهم فان عندها تسكب العبرات وتمل المخاطر والمهالك وتزل فيها أقدام الرجال وتمحط دون الوصول اليها الرحال ويشيب في تصور معناها الصغير ويهرم الكبير ، فهي تبين هول النار وشدتها وانها تجذب الانسان اليها بعنف فيحتاج الى الجهد الكبير للابتعاد عنها والفك من قيودها ، وتستوقفنا كلمة ( زحزح ) فانها تدل على شدة البلاء والجهد الكبير والمشقة العظيمة التي لا بد منها في للابتعاد عن النار ، فكأن لكل فرد جذوراً عميقة في النار لا يمكن بسهولة قلعها إلا مع الزحزحة ببذل جهد عظيم ،

والوجه في ذلك معلوم لان الانسان محفوف بما يجذبه الى النار من جهات فان جاذبية الشهوات والنفس الامارة بالسوء اللتين تشدان الناس الى النار شداً . والحجب الظلمانية التي حجبت النفس عن الكمال كل ذلك تسوق الى النار وتدفعه اليها وهي تجذبه اليها جذباً عنيفاً ، وفي الحديث « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » فكل فرد من افراد الانسان فيه الموجبات الكثيرة للدخول في النار قال تعالى : « وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » مريم - ٧٢ بناءً على رجوع الضمير الى النار . ولذلك لا بد من جهاد مرير ومشقة عظيمة الابتعاد عن دائرة جذبها والافتلات من اسارها الى ان يدخل في الجنة فان ذلك هو الفوز العظيم الذي لانهاية لعظمته إذ لا اجر في الحقيقة غير ذلك والبقية خسران محض لان فيه السلامة من النار والنجاة منها وقد كاد ان يبقى فيها . والسلامة عن المكروه اهم ما يطلبه المرء في جميع الاحوال ناهيك انه يدخل الجنة ويفوز بنعيمها الدائم في دار الخلود .

وليس الدخول في الجنة قيداً زائداً على الزحزحة عن النار ، فانه لا واسطة بينهما ، فان النجاة من النار ليس الا الدخول في الجنة كما يستفاد من الآيات الشريفة والسنة المباركة .

ولكن الآية الكريمة تبين معنى دقيقاً آخر في الخروج من النار الذي هو مطلوب كل فرد والدخول في الجنة الذي لا يرفوقه فان التعبير بالمجهول في كل من « زحزح وأدخل » يوحي بأن الانسان لا يتزحزح من قبل نفسه بل هناك ايد خفية تجذب الانسان جذباً عنيفاً لتزحزحه عن النار وتدخله الجنة ولولاها لبقي في النار وهذه الايدي قد مدت في دار الدنيا لتنقذ عباد الله من المهالك والمخاطر ومن الدخول في النار



وهي كثيرة كأيدي الرسل والانبياء ( عليهم السلام ) ، وكتاب الله العظيم ، والاحكام الالهية ، وايدي الملائكة الذين وكلوا للاستغفار لمن في الارض واعانتهم ، واهمها يد الله الرحيمة سبحانه وتعالى التي بسطت على جميع خلقه ، والشفاعة العظمى .

قوله تعالى : وما الحياة الدنيا إلا متاع للغرور .

الدنيا مؤنث الادنى صفة للحياة ، وحياة الدنيا هي الحياة السفلى أو القربى وهي الحياة ما قبل الموت التي نعيش فيها ونتمتع بما فيها من الملمات ، وقد وصفها الله تعالى في القرآن الكريم بأوصاف متعددة جميعها تدل على دنائتها بالنسبة إلى الحياة الآخرة منها انها متاع للغرور لانها تغر صاحبها فيخدع لها فتشغله عن إعداد نفسه إلى الكمال الواقعي .  
والمتاع ما يتمتع به الانسان ويتنفع به ، والغرور هو الخداع ، ومتاع الغرور اي المتاع الذي يظهر بمظهر جميل ليغتر به المغترون ، والآية المباركة تبين حقيقة الواقع على ما هو عليه .

والدنيا تضاف تارة الى الله واخرى تلحظ بحسب نفسها ، وثالثة بحسب الاعمال التي تقع فيها .

والاولى : محمودة لانه لا يصدر من الخير المحض إلا الخير كما هو معلوم وهذه قاعدة فلسفية اسسها الفلاسفة جميعهم - الطبيعيون منهم والالهيون - خصوصاً بناءً على ملاحظة السخية بين العلة والمعلول ، ولكننا اثبتنا بطلان ذلك بالنسبة إلى الفاعل المختار في احد مباحثنا المتقدمة .  
واما الثانية : فهي أيضاً حسنة لانقص فيها لانها دار عبادة الله تعالى ومحل اوليائه وانبيائه ، ومهبط نزول الكتب الالهية ، ومقام إظهار مكارم الاخلاق وتربية الانسان وإعداد المؤمن نفسه للكمال الذي لا يكون شيء اعز منه في الدارين .

واما الثالثة : فان الاعمال تارة تكون من المؤمنين السعداء وهي

حسنة وتعد من مفاخر الدنيا والآخرة وإما من الأشقياء فلا شبهة في  
مبغوضية أعمالهم السيئة والدنيا من حيث الاضافة اليها مبغوضة أيضاً  
وبتعبير آخر : الدنيا من هذه الجهة اما ان تكون من النعيم الاخروي  
يظهر في الدنيا بالوجود المناسب لها واما من الجحيم ، ومن هذه الجهة  
تكون متاع الغرور وبذلك يمكن الجمع بين ماورد في مدح الدنيا  
وما ورد في ذمها .

وكيف كان فانه يستفاد من الحصر الوارد في الآية الشريفة «وما  
الحياة الدنيا الا متاع الغرور ، ان كل فعل وعمل في هذه الدنيا سواء  
صدر من الاخير أو من الفساق الفجار فانه لا محالة محدود لا بقاء له  
هذا إذا جعلنا عمل الخير من متاع الدنيا ، واما إذا جعلنا من الآخرة  
في الدنيا كما تقدم آنفاً فالحصر مختص بعمل الشر ، فالآية المباركة  
تبين ان الدنيا لا بد ان لا تغر الانسان بمظاهرها الخلابة فتمنعه عن ذكر  
الله تعالى والايمان به والعمل الصالح وتكمل نفسه بمكارم الاخلاق ولا  
يصح ان يجعل متاع الدنيا غاية تمنعه عن الكمال ، كانه لا نهاية له بل  
هي وسيلة لطلب السعادة وزيادة الأجر ، لان الاجر الحقيقي هو  
ما ذكره عزوجل من الرزحة عن النار والدخول في الجنة فلا سعادة  
وراء ذلك ولا بد من السعي اليها ، كما ان الاجر الحقيقي ليس هو  
اياماً في هذه الدنيا يستمتع فيها ثم يزول فيرد على عذاب ابدى لا خلاص  
منه وذلك هو الخسران المبين .

قوله تعالى : لتبطلون في اموالكم وانفسكم .

بعدما ذكر عزوجل جريان سنة البلاء والابتلاء في المؤمنين وما  
يوجب الزهن في عزيمتهم ، بين سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة

ان ذلك الابتلاء مستمر وسيكرر من الكافرين والمنافقين وسيلقون منهم الاذى بكل ما يمكنهم ، وانما اعلمهم عزوجل به قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على احتماله فتستعد نفوسهم ويتقبلوا الابتلاء بصبر وعزيمة ورضى فلا يحزنوا على ما يفوتهم من متاع الدنيا ، فيكون ترتب هذه الآية الشريفة على سابقتها من قبيل ترتب المعلول على العلة أو المقتضى ( بالفتح ) على المقتضى ( بالكسر ) لان من لوازم متاع الغرور الابتلاء بالنسبة الى من هو مؤمن وليس من اهل الاغترار فلا بد من التمييز واظهار الثابت على الحق والمطيع عن غيرهما ، بل يمكن ان يعد وجود من يهتم باصلاح نفسه ويطلب وجه الله تعالى والآخرة في دار الغرور ابتلاءً وفي الحديث : « ان اشد الناس بلاءً الانبياء ثم الامثل فالامثل » وعلى هذا يكون ماورد في هذه الآية الشريفة من قبيل القضايا الحقيقية .

وكيف كان ففي الآية المباركة التسلية للنبي ( صلى الله عليه وآله ) والمؤمنين بعد التسلية بقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » .  
والبلاء والابتلاء بمعنى واحد وهو الاختبار بما يصعب تحمله أو فعله ويأتي في الخير والشر قال تعالى : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون » الاعراف - ١٦٨ وقال تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » الانبياء - ٣٥ وقال تعالى : « فاما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربني اكرم من واما اذا ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني اهان » الفجر - ١٦ والابتلاء في الاموال والانفس هو الوقوع في تكاليف خاصة حسب المصالح ، ومثال الاول هو التكاليف الآمرة ببذل الاموال في الصدقات وقضاء الحوائج وما يتطلبه الدعوة على المؤمن من بذل المال ، وما يفقد

سورة آل عمران ١٨٥-١٨٩ ..... -١٤٧-

في اثناء الحروب والقتال . والثاني مثل التكليف ببذل النفس ومن يحب من الاهل والاولاد في سبيل الله تعالى ويدخل فيه التسليم للامراض والآفات .

وانما قدم غزوجل الاموال إما لان الابتلاء فيها اكثر من الانفس أو لاجل ان تحمل الرزايا فيها اصعب واشد وفي الحديث عن علي ( عليه السلام ) : « ينام الانسان على التكل ولا ينام على الحرب » أو على سبيل الترفي إلى الاشرف .

ويدخل في النفس الرزايا في الاولاد والاهل ومن يحبه الانسان من الاصدقاء . والتأكيد بالقسم المحذوف وتبلون ، للاعلام بان ذلك سنة حتمية لا مفر منها وقد تقدم ما يدل على ذلك في الآيات السابقة .

قوله تعالى : ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيراً .

ابتلاء آخر بالاقوال بعد الابتلاء بالافعال وقد ذكره بالخصوص لاهميته . وبيان أن الابتلاء بالعدوان صادر من طائفة خاصة وهم الذين اوتوا الكتاب من قبلكم - اليهود والنصارى - ومن الذين اشركوا . والاذى : اسم جمع يأتي بمعنى الضرر والعدوان ومنه الحديث « ادنى الصدقة إمطة الأذى عن الطريق » وهو ما يؤذي فيها كالشوك والحجر والنجاسة وغيرها وعن نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) « كل مؤذ في النار » وهو وعيد لمن يؤذي الناس في الدنيا بعقوبة النار في الآخرة .

وما ورد في الآية الشريفة من القضايا الفطرية فان من ذكر فيها هم الاعداء للحق والمؤمنين ، وما يلاقيه كل فرد من عدوه من

الاذى معلوم .  
وانما ذكر عز وجل ، من الذين اوتوا الكتاب ، تعريضاً بهم  
بأن من اوتي الكتاب لا ينبغي ان يصدر منه ذلك فانه لا بد ان يكون  
زاجراً له ويؤكد ذلك ذكره من قبلكم ، وأما ما صدر منهم من  
الاذى بحق الرسول الكريم ( صلى الله عليه وآله ) والدين الحق  
والمؤمنين فهو معلوم ولا يزال يصدر ذلك منهم على مر العصور .

قوله تعالى : وان تصبروا وتتقوا .

بيان لاهم ما يتنظم به نظام الدين والدنيا وهو الصبر على الشدائد  
والاهوال وما يرد عليهم من المكاره والآفات في الأنفس والاموال  
ولو كانت من ناحية التكاليف والمقادير الالهية .  
والتقوى لله تعالى بالطاعة له عز وجل وباجتناب نواهيه وما يوجب  
سخطه ، وبها تستعد النفوس لتلقى الاهوال والاذى الكثير والعصمة  
من الوهن والفسل . كما ان بها تنال الدرجات العالية والثواب العظيم  
فلو تجسم الصبر لكان في احسن مثال واتم حمال كما انه لو تجسمت  
التقوى في الدنيا لكانت في افضل نعيم الآخرة . وانما قرن عز وجل  
بين الصبر والتقوى لما ذكرناه وليبين ان العمل لا بد وان ينبعث عن  
القلب فيكون من عزم الامور .

قوله تعالى : فان ذلك من عزم الأمور .

عزم مصدر بمعنى المعزوم يقال : عزم الامر بالنصب على المفعولية  
وقيل عزمت على الامر ايضاً . وهو يرجع الى عقد القلب ، والجزم  
في العمل لما فيه من كمال الشرف والمزية . وعزائم الامور محكماتها  
ومتقناتها التي لا تصدر الا من ذوى الالباب الذين وصفهم الله تعالى

بأحسن أوصاف . وفي الحديث: « خير الأمور عوازمها » ، وصاحب العزم هو الثابت في الارادة والكمال والفضيلة قد اتصف بالفضل والكمال بحيث نال آخر مقامات الانسانية الكاملة ولو عبر عنه بآخر مقام الوفاء بالعهد واول مرتبة التفاني في مرضات المعبود لكان حسناً وجديراً ولذا صار الانبياء العظام من اولي العزم .

والمعنى: ان الصبر والتقوى لهما من الكمال والمزية ما لا يمكن اقتناؤهما بسهولة ويسر بل لا بد من عقد القلب وجزم الارادة عليهما وبصيرة بهما فلا بد من عزيمة لمواجهة كيد الاعداء والمكابرة .

وانما اشار سبحانه وتعالى إليهما بالاشارة البعيدة ايذاناً بعلو درجتهما وبعد منزلتهما كما انه عز وجل اتى بالمفرد « ذلك » لبيان انها متلازمان فلا يتحقق احدهما بدون الآخر ، فان الصبر في الدين للدين بلازم التقوى كما ان التقوى تلازم الصبر وفي الحديث : « ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد » .

قوله تعالى : « واذ اخذ الله ميثاق للذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » .

رجوع الى اليهود والنصارى . والميثاق - كما تقدم - هو العهد المؤكد وقد تقدم اشتقاق الكلمة في قوله تعالى : « واذ اخذ الله ميثاق النبيين » آل عمران - ٨١ والمراد من الذين اوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى ، ويحتمل ان يكون اليهود ، وانما خصهم بالذكر لانهم عرفوا بالعناد وكتمان الحق ،

وانما ذكر ابناء الكتاب تقييحاً لافعالهم وتذكيراً لهم بانهم اهل الكتاب فلا ينبغي ان يصدر منهم ذلك وقد تقدم ما يتعلق بأخذ الميثاق فراجع .

قوله تعالى : فنبذوه وراء ظهورهم .

النبذ : الطرح والنبذ وراء الظهر كناية عن الإهمال وعدم الاعتناء  
ترك العمل ، بل هو أشد من الكتمان ، وضده « نصب العين »  
الذي يكنى به عن الاعتناء بالشيء والاهتمام به .  
وانما نبذوه قضاءً لاطاعهم الشريرة ونواياهم الفاسدة وليكونوا  
مطلقى العنان في فعلهم وكيدهم فلا يقاومهم احد ولا يستنكر عليهم  
فلذلك كتموه واهملوه لئلا يحكم به عليهم .

قوله تعالى : واشتروا به ثمناً قليلاً .

لانهم آثروا الحياة الدنيا فباعوا الحياة الآخرة بها فهي ثمن قليل  
بالنسبة الى الجزاء الذي اعد لمن بين الكتاب والحق . وفيه من اللمز  
والتوعيد مالا يخفى .  
والضمير في ( به ) يرجع الى الحق الذي وجب بيانه .

قوله تعالى : فبئس ما يشترون .

تقييح لهم وتسفيه لعقولهم فانهم جعلوا الفاني الزائل بدلاً عن  
النعم الدائم الباقي ، وقد ذكر سبحانه وتعالى في عدة مواضع من  
القرآن الكريم كتمان الحق وتبديله بالثمن القليل .

قوله تعالى : لا تحسبن للذين يفرحون بما أتوا .

بيان لبعض الصفات الذميمة التي اتصف بها الذين ذكرهم الله تعالى  
في الآية المتقدمة وهي الفرح بما فعلوه من التحريف والتدليس وكتمان  
الحق والظن السوء بأن ذلك شرف لهم وقد من الله به عليهم وهو من الفرح

بالباطل ، فانه يكشف عن استحكام رذيلة العجب في نفوسهم والغرور بالفعل ، وانما حكى عز وجل هذه الخصلة الباطلة لتحذير المؤمنين منها فانهم عرضة لذلك .

قوله تعالى : ويحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا .

صفة اخرى من صفاتهم الذميمة اي : انهم يحبون ان يمدحهم الناس على الذي لم يفعلوه وهو الوفاء بالميثاق واطهار الحق فانهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك وانما فعلوا نقيضه من كتمان الحق وتحريف الكتاب بما يوافق اهواءهم الباطلة .

وهذه الصفة اكثر ما تكون في العلماء غير العاملين بعلمهم كالرهبان وحفاظ الكتاب فانهم يحبون ان يحمدا بالدين والفضل وحفظ الكتاب ولكنهم في الحقيقة مرآئون ولم يفعلوا شيئاً مما يرضي الله تعالى .

ويستفاد من الآية الشريفة ان حب المحمدة بما لم يفعل باطل ومن الصفات الذميمة فانه يكشف عن الغرور والعجب والرياء وسوء الاخلاق . وأما إذا كان بالحق فهو خلق حسن بل من الامور الفطرية فان الانسان يحب المحمدة على الفعل النافع وقد ورد في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك قال تعالى محكياً عن نوح : « قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلاغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون ، الاعراف-٦٢ . وقال تعالى حكاية عن هود : « قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلاغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين » الاعراف - ٦٨ .

وفي هذه الآية الشريفة استعمل لفظ الحمد في غير الله تعالى ، وهذا هو المورد الوحيد في القرآن الكريم ، وقد ذكرنا في سورة الفاتحة



انه لم يرد استعمال مادة الحمد في غيره عز وجل إلا في هذا الموضع  
وتقدم الجواب عن ذلك فراجع .

وتزيد هنا انه يمكن ان يكون لاجل انهم جعلوا انفسهم حفاظ  
الشريعة والقائمين بأمور الدين وورثة الانبياء فأحبوا لانفسهم حمد الناس  
وهذا من مجرد الزعم الباطل وقد ذمهم الله تعالى على ذلك حيث لم  
يصدر منهم فعل الله تعالى حتى يستحقوا المدح والثناء .

وفي الآية المباركة التنبيه العجيب للعلماء وانذار لهم بالاحتراز عما  
يوجب انطباق مضمون هذه الآية عليهم .

قوله تعالى : فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب .

بيان لسوء عاقبتهم بعد بيان خستهم في الدنيا ، وانما اعاد عز وجل  
كلمة « لا تحسبنهم » للتأكيد .

والمفازة مصدر ميمي بمعنى الفوز والنجاة والتاء ليست للوحدة  
وسمي موضع المخاوف مفازة على جهة التفاؤل . واحتمل بعضهم  
ان يكون المفازة اسم مكان اي محل فوز فيكون « من العذاب »  
صفة له لان اسم المكان لا يعمل فيقدر المتعلق خاصاً أو عاماً .  
ولكنه بعيد .

والمعنى : انهم ليسوا بناجين من العذاب بل ليس لهم عذاب  
محدود . وانما لم يبين عز وجل نوع العذاب لانه اما ان يكون بما  
يطابق سجاياهم الفاسدة وملكاتهم الخسيسة او يكون عذاباً إلهياً ناشئاً  
عن سخطه عز وجل لأنه لا ولاية للحق عليهم بعد ما تعلقت نفوسهم  
بالباطل وفسدت اخلاقهم .

قوله تعالى : ولهم عذاب اليم .

تأكيد في التوعيد بالعذاب في الآخرة جزاء كفرهم وعنادهم للحق والتنكير في العذاب ووصفه بكونه اليماً ، لبيان انه لا أمد له ولا نهاية لشدته .

قوله تعالى : والله ملك السموات والأرض .

تعليل لجميع ما ورد في الآيات السابقة ، واحتجاج على من عازد الحق ونسب الفقر اليه تبارك وتعالى .

أي : له تعالى وحده ملك جميع العالم - ما سواه - يتصرف فيه بما يشاء ويريد إيجاداً وإفناءً ، ورحمة وعذاباً ، وهو الذي يملك امر عباده فيدبرهم وفق حكمته المتعالية .

قوله تعالى : والله على كل شيء قدير .

فلا يعجزه شيء ، ولا يقهره احد . ومن قدرته انه يجازي كل انسان حسب عمله ويعذب الظالمين بظلمهم .

## بحوث المقام

بحث ادبي :

كل نفس في قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » مبتدأ ، والابتداء بالنكرة جائر هنا لما فيه العموم ، و« ذائقة الموت » خبره و« كل »

إذا أضيف إلى نكرة كان الحكم في الخبر والاضمار لتلك النكرة ،  
كقوله تعالى « ذائقة الموت » ، وقوله عز وجل « كل امرئ بما  
كسب رهين » الطور - ٢١ ، وقوله تعالى : « يوم ندعو كل أناس  
بإمامهم » الاسراء - ٧١ . وكل رجلين قاما ، وكل امرأتين قامتا ،  
فالتذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع بحسب النكرة التي  
أضيف إليها كل .

وقرىء « ذائقة الموت » بالتنوين ونصب الموت على الاصل  
وقرىء « ذائقة الموت » بطرح التنوين مع النصب :  
وعزم الامور في قوله تعالى : « من عزم الامور » من اضافة  
المصدر الى فاعله .

وانما لم يؤكد « ولا تكتمونه » بالنون كما في « لتبينته » للاكتفاء  
بالتأكيد في الاول .

وقوله تعالى : « ولا تحسبن الذين يفرحون » الفاعل هو الضمير المخاطب  
سواء كان الرسول الكريم أو من له أهلية الخطاب . و « الذين »  
المفعول الأول والمفعول الثاني محذوف لتحويل الامر ، فيقدره المخاطب  
بما يليق بهم من العذاب والذم للدلالة مفعولي « تحسبنهم »  
الآتي عليه .

وأما قوله تعالى : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » فقد ذكر  
فيه المفعول الثاني فالاول ( الهاء والميم ) ، والثاني هو « بمفازة »  
ليبين نوع العذاب الذي حذف في الاول فيكون الفاء للتفريع .

## بحث دلالي

يستفاد من الآيات الشريفة أمور :

الاول: يدل قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » على تجرد النفس وانها غير البدن فهي لا تموت بموته لان الذوق لا يكون الا عن شعور .

وفي ذكر هذه الآية الشريفة بعد حكاية احوال المنافقين والكافرين والمشركين وتكذيبهم للرسل واداهم في الفعل والقول التسلية العظيمة وللارشاد الى تذكر الموت مما يزيل الهموم والاشجان الدنيوية ولذا امرنا بزيارة القبور اذا غلبت علينا الغفلة قال تعالى : « أهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » التكاثر - ٢ . وفي الحديث « أكثروا ذكر هادم اللذات فانه ما ذكر في كثير إلا قلله ولا في قليل الا كثره » فان ذكر الموت والتفكر فيه يهون كل خطب .

الثاني : عموم قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » يدل على ان كل ذي نفس لا بد لها من ذوق الموت سواء كانت النفس حيوانية أو نباتية أو من الملائكة ، فكل حي لا بد ان يموت إلا الله تعالى فانه حي لا يموت وهو الأول والآخر .

وهذه الآية الشريفة وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة قال تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » الانبياء - ٣٥ . وقال تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون » العنكبوت - ٥٧ . وتختلف الآية الكريمة التي تقدم

تفسيرها عن الآيات الأخرى في أنها قد ذكر فيها توفية الأجر ونوعه وكيفية فتكون كالتفسير لتلك الآيات المباركة لأنه عز وجل اكتفى بكونه مرجعاً للعباد فقال «الينا ترجعون» .

الثالث : انما عبر سبحانه وتعالى بالذوق في قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » لبيان ان الموت يسري في جميع البدن كما يسري المذوقات فيه كما اذا شرب سماً ، وللكناية عن الاحساس بمرارة خروج الروح ، وللإعلام بان ذوق الموت شيء وذات الموت شيء آخر ، ولذا ورد في بعض الاخبار ان المقتول يرجع ليدوق الموت وقد تقدم في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الأرض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير » آل عمران - ١٥٦ .

الرابع : يستفاد من قوله تعالى : « وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » على ايجازه البليغ المعجز ان لكل نفس جزاء معيناً إما خيراً أو شراً . ونوعية الجزاء وانها إما الجنة أو النار ، وكيفية وهي هول النار وشدتها ، وراحة الجنة والنجاة فيها .

وانما ذكر عز وجل ذلك عقيب ذلك الحكم الكلي العام المقضي في حق كل نفس للاعلام بأن وراء الموت حياة أخرى يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منها جزاء عمله ، فان العلم بذلك يهون كل خطب ويسهل كل صعب .

الخامس : يستفاد من قوله تعالى : « انما توفون أجوركم » ثبوت حياة البرزخ وان الارواح فيها إما ان تكون معذبة أو متعمة

فان التوفية انما تكون في ما اذا سبق بعض العطاء ، وان في يوم القيامة العطاء الوافي الكامل وفي الحديث : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران » .

السادس : يدل قوله تعالى : « فن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز » على عظمة الموقف وشدة الهول ، فان لكل انسان موقفاً في النار لا يمكن ازاحته عنه إلا بعد الزحزحة ومقاومة الشدائد والاهوال والصبر عليها حتى يتحقق الفوز والدخول بالجنة .

وحذف المتعلق في الفوز يفيد العظمة والتعميم ، فانه فوز عن كل مكروه وسلامة من كل شدة ونجاة من النار ، كما انه الفوز بالمحبوب والدخول في الجنة وان فيها النعيم الدائم .

السابع : يستفاد من قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور » على نخسة هذه الحياة في مقابل الحياة الاخرى ، وان في هذه الحياة يتعين مصير الانسان في العقبى ، ففي هذه الحياة تتحقق الزحزحة عن النار والدخول في الجنة ، وفي الآية الشريفة الترغيب الى العمل الذي يوجب ذلك والاعراض عن زخارف الدنيا ومباهجها التي تبعد الانسان عن كل خير وسعادة فانها نغره وتلقيه في الشقاء والخسران .

الثامن : يستفاد من قوله تعالى : « لتبلون في أموالكم وانفسكم » ان الزحزحة عن النار والفوز بالجنة والنعيم الدائم لا يتحققان إلا بالبلاء والابتلاء والصبر على البلايا والرزايا والاذى الكثير وتقوى الله تعالى وأن في الصبر والتقوى النجاة فتمتبر هذه الآية الشريفة كالعلة بالنسبة الى الآية السابقة مضافاً الى ان الآية المباركة ترغيب المؤمنين الى الصبر والتقوى ، فانها الاساس لكل سعادة .

التاسع : يدل قوله تعالى : « فان ذلك من عزم الأمور » على

ان عزائم الامور هي التي تنجي الانسان وتهيئه لنيل السعادة والفوز  
بالاجر العظيم وقد اهتم سبحانه وتعالى بها فذكرها في مواضع متعددة  
من القرآن الكريم وجعلها من صفات الانبياء العظام ، فلهذه الامور  
التي لا بد فيها العزم منزلة عظيمة وشأن كبير . وقد رغب القرآن  
الكريم اليها وهي من اهم السبل الى سعادة الانسان .

العاشر : يستفاد من قوله تعالى : « اذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا  
الكتاب ان يبيننه للناس ولا تكتمونه » ان بيان الحق وما انزله الله تعالى  
في الكتب الالهية مما اخذ الله عليه الميثاق بلا اختصاص له بقوم خاص  
وملة معينة وفي الحديث عن علي ( عليه السلام ) : « ما أخذ الله  
على اهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ على اهل العلم ان يعلموا »  
وبمضمون ذلك وردت احاديث كثيرة .

وانما أكد سبحانه وتعالى على وجوب البيان بعدم الكتمان لرفع  
كل التباس من البين ، فتشمل الآية الشريفة كل شبهة وتحريف  
ونفاق ، وتزييف فانه قد يتصور متصور انه من البيان للكتاب إذا  
كان فيه تحريف وتزييف ؛ ولكن الآية الشريفة تضع الحد الفاصل في  
جميع ذلك وتعتبر ان البيان واظهار الكتاب لا بد ان يكون واضحاً  
وجلياً من دون التباس وتحريف .

الحادي عشر : يستفاد من قوله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون  
بما أتوا » ذم الفرحين بأفعالهم التي لا تطابق الواقع مع بعدهم عن  
الحق ويدل على انه رذيلة تنطوي تحتها مساوية من الاخلاق ، فان  
الفرح السذي لا يكون عن حق وفي حق ينبيء عن الغرور والمعجب  
والتجري على المولى وكل ذلك مذموم بل من المهالك .

وأما اذا كان الفرح عن حق فلا ذم فيه ، ففي الحديث : ومن

سرته حسنة وصائته سيئة فهو مؤمن ، والآية الشريفة لا تختص بطائفة خاصة بل هي تشمل كل من كان فعله مخالفاً للواقع اذا فرح بما فعل .  
 الثاني عشر : يستفاد من قوله تعالى : « ويجبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا » ان حب محمده الناس أمر فطري لا يسع لاحد انكاره ، وان المذموم منها هو ما اذا لم يكن عن سبب ومنشأ صحيح عقلائي في البين فانه يكشف عن غرور صاحبه وجهله بالواقع واعتماده على النفس الامارة ، ويستفاد من قوله تعالى : « بما لم يفعلوا » ان كل فعل اذا لم يكن مرضياً لله تعالى ولم يكن مطابقاً لقواعد الشرع ، فلا أثر يرجى منه ولا فائدة فيه . فلا موجب للمحمدة بالنسبة اليه فما يصدر من الكافرين والمنافقين وأصحاب الاهواء الباطلة وغيرهم من الافعال ولم تكن مطابقة للشريعة المطهرة ومرضية عند الله تعالى فان حب المحمده من الناس عليها باطل ولا وجه لها ، لانه لم يصدر منهم شيء يستحق عليه المحمده وأما اذا كان ذلك بالحق وفي الحق ، فلا ذم فيه . وفي الحديث : « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق » وهو يدل على ان مطلق الثناء على الافعال الحسنة ممدوح بل هو من حمد الله تعالى ، ويمكن ان يكون هذا وجهاً آخر في استعمال لفظ الحمد في المقام حيث اعتبروا حمدهم من حمد الله تعالى وهو عز وجل ابطال مزاعمهم وبين انه اذا كان بالحق وفي الحق فانه من حده عز وجل .  
 الثالث عشر : يدل قوله تعالى : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » على ان الخصال المذمومة والملكات الرذيلة سبب للدخول في العذاب وعدم نجاتهم منه فلا بد للإنسان من السعي لتهديب النفس عنها وجعلها مرآة لمكارم الاخلاق لتجلى اخلاق الله تعالى فيها فان في ذلك الفوز والسعادة .



### بَحْثُ رِوَاثِي

في الكافي عن الصادق ( عليه السلام ) انه قال : يموت اهل الارض حتى لا يبقى احد ثم يموت اهل السماء حتى لا يبقى احد إلا ملك الموت وحمله العرش وجبرائيل وميكائيل قال : فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيقال له من بقي - وهو اعلم - فيقول يارب لم يبق إلا ملك الموت وحمله العرش وجبرائيل وميكائيل ، فيقال له قل لجبرائيل وميكائيل فليموتا ، فيقول الملائكة عند ذلك يا رب رسولك وامينك فيقول : إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت ، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقال له : من بقي - وهو اعلم - فيقول يارب لم يبق إلا ملك الموت وحمله العرش فيقول : لحملة العرش فليموتوا ثم قال يجيء كثيراً حزينا لا يرفع طرفه فيقال له من بقي - وهو اعلم - فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت فيقال له : مت يا ملك الموت فيموت ثم يأخذ الأرض بيمينه ، ويقول : ابن الذين كانوا يدعون معي شريكاً؟ ابن الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر .

اقول : مثل هذا الحديث كثير وهي تدل على ان كل كائن حي لا بد وان تنقضي حياته في دار الامكان لانه كتب القضاء على الجميع بل لا معنى للامكان إلا ذلك فتنحصر الحياة في ما هو حي بالذات ، وعموم الآية الشريفة ( كل نفس ذائقة الموت ) يدل على ذلك أيضاً . وفي تفسير العياشي عن زرارة عن ابي جعفر ( عليه السلام ) في

قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » قال ( ع ) : « لم يذق الموت من قتل ، وقال : لا بد من ان يرجع حتى يذوق الموت » .  
اقول : يستفاد من ذلك امران : الاول : ان ذات الموت شيء والقتل شيء آخر وان كان القتل سبباً له وقد تقدم في الآية الشريفة « ولئن مم أو قتلتم لالى الله تحشرون » آل عمران - ١٥٨ ما يرتبط بالمقام .  
الثاني : الرجعة كما يأتي الكلام فيها مفصلاً ان شاء الله تعالى .  
وفي الدر المنثور في قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت وانا توفون اجوركم يوم القيامة » اخرج ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب قال : « لما توفي النبي ( صلى الله عليه وآله ) وجاءت التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم يا اهل البيت ورحمة الله وبركاته » كل نفس ذائقة الموت وانا توفون اجوركم يوم القيامة ، ان في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل ما فات ، فبالله فثقوا ، واياها فارجوا ، فان المصاب من حرم الثواب ، فقال علي ( عليه السلام ) : هذا الخضر .  
اقول : لا عجب في حضور الخضر للتسليّة بعد حضور سادات الملائكة لاجل ذلك .

وفي الكافي عن الصادق ( عليه السلام ) : « خياركم سمحواؤكم وشراركم بخلاؤكم ، ومن خالص الايمان البر بالاخوان والسعي في حوائجهم وان البار بالاخوان ليحبه الرحمن وفي ذلك مرغمة الشيطان وترحزح عن النيران ودخول الجنان » .  
اقول : الحديث يبين بعض مصاديق الترخصة عن النار والدخول في الجنة .

وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن سهل بن سعد قال :

١٦٢ - مواهب الرحمن - ج ٧

« قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لموضع سوط احدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلا هذه الآية: فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز » .

اقول : يبين ( صلى الله عليه وآله ) بعض مراتب الفوز وإلا فهي غير متناه .

وفي العلل عن الرضا ( عليه السلام ) في قوله تعالى : « لتبلون في اموالكم وانفسكم » قال ( عليه السلام ) : « في اموالكم باخراج الزكاة وفي انفسكم بالتوطين على الصبر » .

اقول : ماورد في الحديث من باب ذكر احد المصاديق .

وفي تفسير القمي عن أبي جعفر ( عليه السلام ) في قوله تعالى : « واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب » قال ( عليه السلام ) : « في عهد ( صلى الله عليه وآله ) « لتيتنه للناس » إذا خرج ولا تكتسونه « فنبذوه وراء ظهورهم » يقول نبذوا عهد الله وراء ظهورهم .  
اقول : لا فرق في رجوع الضمير إلى العهد أو الكتاب لتلازم كل منها مع الآخر .

وفي تفسير القمي أيضاً في قوله تعالى : « بمفازة من العذاب » عن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال : « يبعيد من العذاب » .  
اقول : لا بأس به لان معنى المفازة النجاة من العذاب وهو يحصل بالبعد عنه .

### بحث فلسفي

الحياة والموت امران وجدانيان لكل ذي حياة ولكن الكلام في حقيقة الحياة التي لم تكتشف بعد وان بذل العلماء غاية الجهد في دركها ومعرفة حقيقتها وخصوصياتها مع ان آثارها مشاهدة بالحس ودرك اصلها وجمالياتها لكل ذي حياة .

كذلك حقيقة الموت فانه وان كان معلوماً لكل ذي حياة سواء كان الموت نباتياً أو حيوانياً أو انسانياً . نعم الذي تدل عليه الكتب السماوية واقوال المحققين من الفلاسفة ان موت الانسان ليس انعداماً لروحه ، بل هو نقل الروح من عالم إلى عالم آخر يرى فيه نتائج اعماله وآثار افعاله واقواله هذا بالنسبة إلى موت الانسان .

واما بالنسبة إلى موت الحيوان والنبات فهل هو من انتقال الروح إلى عالم آخر من منخه أو انعدامها كما ينعدم نور السراج باطفائه ، أو من قبيل تبدل صورة إلى صورة اخرى مناسبة جوهراً كانت أو عرضاً أو غير ذلك . كل ذلك محتمل ولم يرد في الفلسفة القديمة ولا الحديثة شيء يروي الغليل ويشفي العليل ، ويمكن اختيار الاحتمال الأخير والقول بالتبدل لما عليه من الشواهد العقلية والتجريبية بل العقلية أيضاً ويأتي في الموضع المناسب تنمة الكلام ان شاء الله تعالى .

## بحث عرفاني

يمكن ان يكون المراد من عن النار في قوله تعالى : « فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز » نار الشهوات المادية الجسمانية التي هي اصل النار الكبرى ومادتها . ويراد بالجنة جنة التفاني في مرضات الله تعالى التي هي اعلى من جنة عدن بمرات كثيرة قال تعالى : « ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم » التوبة - ٧٢ فانه لا فوز اعظم من ذلك وان جميع الممكنات دونه نزر يسير . فنكون الآية الشريفة في مقام بيان حقيقة اولياء الله تعالى الذين امانوا انفسهم بالاختيار ، واستخرجوا النفس الامارة من جحيم الشهوات ففازوا بلقاء الله تعالى وشربوا من عيون الحياة المعنوية واستشرقوا بشوارق الانوار الازلية ، وجعلوا متاع الغرور تحت اقدامهم فابتهجوا بابتهاجات غير متناهية في المدة والعدة كما ابتهج العرش الاعلى بوجودهم .

والآيات الشريفة المتقدمة من آيات السير والسلوك إلى الله تعالى فانها ترشد الانسان إلى الكمال وتبين ان الوصول اليه صعب المنال فلا بد من الصبر والتقوى وخلع النفس الامارة بالسوء التي لها منابت في النار . كما انها ترشد المؤمنين إلى التحلي بمكارم الاخلاق وتذكرهم فيها ببعض مساوي الاخلاق التي تبعدهم عن الواقع وتوقعهم في المهالك والردى .

### بحث اخلاقي

من أحسن الرذائل النفسانية حب الثناء والمحمدة بل يعتبره علماء الاخلاق ام الفساد واصل المهلكات وقد ورد في ذمه شيء كثير من الاحاديث ففي الحديث « احثوا في وجوه المداحين التراب » لان مدح الناس يوجب الغرور وصرف النفس عن نيل الكمال ، ولذا ورد انه يستحب ان يقول الممدوح عند سماع المدح : « اللهم اجعلني فوق ما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون » هذا إذا كان منشاء المدح موجوداً في الانسان والا فالخطب اعظم والرزء أكبر .

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الابصار ( ١٩٠ ) الذين يدكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقنا هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار (١٩١) ربنا انك من تدنخيل النار فقد اخزيتته وما للظالمين من انصار (١٩٢) ربنا اننا سميعنا منادياً ينادي للايمان ان امنوا بربكم فاما ربنا فتاغفیر لنا ذنوبنا وكنفرت عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (١٩٣) ربنا وانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد (١٩٤)

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ  
 مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ  
 فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا  
 فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
 وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

الآيات الشريفة من جلائل الآيات واعظها التي تدعو الناس إلى  
 التفكير والتدبر والتذكر ، وترشد المؤمنين إلى اهم طريق من طرق  
 السير والسلوك وتعلمهم التربية الحقيقية وهي تطبيق المشاعر الايمانية  
 في سلوك عملي وابرازها في عمل واقعي .

وسياق الآيات المباركة يدل على انها نزلت من العرش العظيم على  
 قلب الرسول الكريم ، وهي تحكي الارتباط التام بين العابد والمعبود  
 وعنايته بالعابد ، فاذا اعترف في مقام عبوديته بالقصور والتقصير  
 والتسليم للمعبود تجلتي له بكل ما يطلبه ويغنيه .

والعناية الظاهرة في قوله جلت عظمته « فاستجاب لهم ربهم » مما  
 لا يمكن ان يظهر بلسان وان جذبات المحبوب لحبيبه في هذه الآيات  
 متوالية ، ولو لم يكن لمقام العبودية إلا هذا المقام لكفاه فخراً وعزاً .  
 وقد مدح عز وجل أولي الالباب الذين يذكرون الله تعالى ويتفكرون  
 في خلقه ويسلمون امرهم اليه سبحانه وتعالى ويقرون له بالطاعة  
 والعبودية فهم عباد ربانيون لا يفترون عن ذكر الله تعالى في جميع  
 حالاتهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم يرجون رحمته وما وعدهم الله  
 تعالى على لسان رسوله .

وذكر جل شأنه انه لا يضيع عملهم فهو محفوظ لديه وسيكفر الله تعالى عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنات العظيمة وذلك جزاء ما لا قوة في سبيله عزوجل من الاذى وذلك الجزاء العظيم ينتظرهم يوم الحساب:

### التفسير

قوله تعالى : إن في خلق السموات والارض .

دعوة إلى التفكير في خلق الله تعالى بعد بيان ان جميع خلقه ملك له عزوجل وهو على كل شي قدير ، فان إنضمام هذه الآية الشريفة الى الآيات السابقة يثبت الوجدانية الكبرى والربوبية العظمى ولذا ترك العطف بينهما ، فان في خلق السموات والارض الآيات الدالة على قدرته عزوجل واعتناؤه تعالى بخلقها على ما فيها من العجائب والبدائع التي ترشد اصناف العباد إلى المبدأ والمعاد وتجذبهم إلى الحي القيوم . والآية الشريفة بأسلوبها الجذاب ومضمونها الخلاب تدعو الناس إلى النظر والتفكر في الآيات الكونية وتفتح لهم ابواب الفلسفة العلمية والعملية ، فان آثار رحمته عزوجل فيها واضحة ، ودلالات إحاطته تعالى وقيموميته العظمى الكاملة مشهودة .

والمراد بخلق السموات والارض الآيات الكونية المحسوسة التي ظهرت في جميع موجودات السموات والارض من الجواهر والاعراض والعرضيات والروحانيين والاملاك والكواكب والافلاك ، وما في الارض من الآيات الكثيرة في الانسان والحيوان والنبات وما في البر والبحر والجو، فان فيها الآيات التي تبهر منها العقول وقد بذل الانسان غاية الجهد



في معرفتها ولم يبلغ معشار ما فيها ، وفي كل يوم يبرز علماً جديداً  
ومعرفة مستجدة وما جهله أكثر مما علمه بمراتب .

وانما اتى عزوجل لفظ الارض مفرداً لان الارض التي يعيش عليها  
الانسان ويستفيد منها انا هي واحدة كما دلت عليه الادلة العقلية واما  
النقلية فسيأتي البحث فيها .

قوله تعالى : واختلاف الليل والنهار .

آية من الآيات الكونية التي يحسها كل أحد ومعنى اختلافها نعاقيها  
ومجيء كل واحد منها عقيب الآخر على حد قوله تعالى : « يواج  
الليل في النهار ويولج النهار في الليل » فاطر - ١٣ واختلاف الليل  
والنهار يأتي وفق نظام دقيق له آثار كبيرة وخواص عجيبة محسومة  
ظاهرة في النباتات والحيوانات وفي الانسان . والاعجب من الجميع  
ان هذا النظام المتسق الموزون في العالم الكياني وترتيب الفصول يتني  
على ذلك الاختلاف ، فان ذلك يدل على عظمة الصنع الدالة على  
عظمة الصانع وعلمه وحكمته التامة .

وهذه الآيات الكونية ذات وقع على الحس الانساني لا يمكن لأحد  
التنصل منها وانا يستفيد كل فرد من افراد الانسان بمقدار فهمه  
وجودة فكره .

قوله تعالى : آيات لاولي الالباب .

الآيات العلامات والدلالات التي تدل على عظمة الخالق ووحدته  
عزوجل وكمال علمه وقدرته وحكمته التامة المتعالية .  
والآيات جمع قلة لكنه يقوم مقام جمع الكثرة ولعل مجيئه لاجل ان  
الآيات المحسوسة قليلة في جنب ما خفي منها .

والالباب جمع اللب وهو خالص كل شيء يقال لب لبب مثل  
عضب بعبض وهذه لغة اهل الحجاز وامل نجد يقولون لب لبب  
على وزن فرب يفر وفي الحديث: وان الله منع نبي مدليج لصلتهم الرحم  
وطعنهم في الباب الابل ، اي خالص ابلهم وكرائمها . ولب العقل  
ما خالص عن شوائب الاوهام مطلقا .

وقد ورد لفظ اولي الالباب في القرآن الكريم في ما يقرب من  
سنة عشر موضعاً كلها مقرونة بالمدح والثناء والتعظيم ، فقد عرفهم  
عزوجل بانهم اصل الهداية والايمان بالله تعالى ، والتقوى والطاعة ،  
والخضوع ، والانابة اليه عزوجل ، وهم الذين يتبعون احسن القول  
وهم اهل الذكر والتذكر والتفكير .

وقد وصفهم تعالى في الآيات التالية بالصفة التي تميزهم ولا يبقى  
مجال إلى تفسير آخر فهم الذين يذكرون الله تعالى في جميع الحالات  
لا يفترون عن ذكره وهم عباد ربانيون مرتبطون مع عالم الغيب بكل  
معنى الارتباط علماً وعملاً وقولاً وفكراً وقلوبهم متعلقة به يرجون  
رحمته ويخافون عذابه .

وانما خص اولي الالباب لانهم لا يقصرون نظرهم على الماديات  
والمظاهر الخارجية فقط ولا يوصدون قلوبهم عن الغوص في أعماق  
الموجودات بل يتفكرون ويتدبرون ويستفيدون منها ، فهم يلتفتون  
بقلوبهم وعقولهم إلى ما في ذلك من الوجوه والحكم الدالة على الوحدانية  
والحكمة والعلم والقدرة .

قوله تعالى: الَّذِينَ يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم .

وصف بليغ لاولي الالباب ، وشرح لاحوالهم شرحاً وافياً فقد

وصفهم تعالى باوصاف متعددة وهي :

الاول: انهم اهل الذكر في جميع الحالات لا يفترون عن ذكر الله تعالى ولا يغفلون عنه في حال . والمراد من « على جنوبهم » اي مضطجعين ونظيره قوله تعالى : « دعانا لجنبه » يونس - ١٢ أي دعانا مضطجعا على جنبه .

وهذا الذكر اعم من الذكر اللفظي والذكر العملي وهو الصلاة ، وقد ورد في بعض الروايات ما يدل على التعميم ، فهم يذكرون الله جلت عظمته مع حضور القلب ، فان الذكر ما كان عن خضوع وخشوع وإذابة والا لا يسمى ذكراً .

وانما خص تعالى هذه الحالات الثلاثة القيام ، والقعود ، وعلى جنوبهم لان الانسان لا يخلو عن احداها ، فيكون المراد ان معظم حركاتهم ومسكناتهم في ذكر الله تعالى وبذكر الله عزوجل وهذا يسير على اولي الالباب لانهم لا يرون للدنيا قيمة اصلاً حتى يجعلوا شيئاً للدنيا ، فهم في حال كونهم في الدنيا جعلوا الآخرة نصب اعينهم ، وهذه هي الفلسفة العملية التي اتعب الفلاسفة وعلماء الاخلاق والسير والسلوك انفسهم فيها وجعلوا لها قواعد واصولاً وافردوا لها كتباً مستقلة والله تبارك وتعالى جمعها في جملة واحدة .

قوله تعالى : ويتفكرون في خلق السموات والارض .

وصف ثان لاولي الالباب . اي : انهم ينظرون في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار فيذكرون الله تعالى بل يذكرونه في جميع احوالهم لا يفترون عن ذكره وقد ملأ الايمان قلوبهم وتفكروا في خلق السموات والارض مهتدين إلى وحدانيته وحكمته التامة وقدرته

الكاملة وعلمه الاتم فاهتدوا إلى ان الله تعالى لم يخلقها باطلاً وعبثاً .  
والآية المباركة تدل على ان الفكر إذا لم يستند على اللب فلم يهتد  
بنور الايمان وكان عرضة للضلال ، فكم ضلت عقول الذين يتفكرون  
في خلق السموات والارض ويغوصون في عجائبها واسرارها ولكنهم  
كانوا غافلين عن الخالق العليم المدبر القادر قال تعالى : وما خلقنا  
السماء والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين  
كفروا من النار ، ص - ٢٧ ولكن اولوا الالباب تفكروا في خلقها  
واهتدوا إلى ان الله تعالى لم يخلقها باطلاً وانها من صنع الاله القادر  
الحكيم فاكلوا نورانية فكرهم بذلك واعترفوا بأن الخلق بالحق وفي الحق .  
والفكر من اهم خصائص الانسان وبه ينتظم شؤونه ويقوم نظام  
الدنيا والآخرة ، وقد حثت الكتب الالهية الناس الى التفكير والتدبر ،  
ووردت مادة ( فكر ) في القرآن الكريم في اكثر من ستة عشر  
موضعا جميعها تدل على عظمة هذه النعمة الربانية والموهبة الالهية ،  
وهي من الحقائق المعدودة التي يجهلها الانسان لحد الآن وان عرف  
مفهومها فهو من الامور التي :

مفهومها من اعرف الاشياء وكنهها في غاية الخفاء .

والمعروف بين الفلاسفة انه توجه النفس بمبادئ معلومة ليستنتج  
منها نتائج مطلوبة تترتب عليها قهراً ، وهل هذا الترتب من قبيل  
الاسباب التوليدية أو انه من مجرد الاقتضاء كما في جميع المقتضيات ،  
أو انه عملية كيميائية كما يدعيها الماديون ، أو انه من مجرد الاتفاق  
من دون دخل للاسباب في البين ، أو انه من الافاضات الغيبية حفظاً  
للنظام وتسهيلاً على الأنام قال بكل جمع من الفلاسفة وان كان الحق  
هو الأخير فتكون النتائج الفكرية كالمصاييح الكهربائية التي لا تضيء إلا

مع الاتصال باسلاك تربط بالمحل المولد لتلك القوة ، وفي الفكر لا بد من الاتصال بالمبدأ الفياض .

ولكن لا يمكن لاحد انكار ان بعض الاقسام منها تكويني بديهي الانتاج وهذا لا ينافي ما ذكرناه ، ففي مثل المقام التفكير في خلق السموات والارض يورث التذكر والاذعان بانها حادثة وكل حادث يحتاج إلى مؤثر والمؤثر هو الله تعالى ولان فيها بدايع من النظم العجيب والابداع الفريد والاسرار والدقائق والرموز والحكمة التي لا يمكن ان تصدر إلا عن عليم حكيم ، فلا بد ان يكون الخالق عليمًا حكيمًا متصفًا بصفات الجلال والجلال ، وهذا النحو من الاستدلال يسمى عندهم بالبرهان الإنسي اي العلم من المعلول بالعلة ويقابله البرهان اللهي اي العلم من العلة بالمعلول والقرآن الكريم مشحون بالقسمين وبأتي في قوله تعالى : « أفى الله شك فاطر السموات والارض » ابراهيم-١٠ بعض الكلام ان شاء الله تعالى .

وفي كلمات المعصومين الشيء الكثير من ذلك قال علي بن الحسين ( عليها السلام ) : « بك عرفتك وانت دللتني عليك ودعوتني اليك ولولا انت لم ادر ما انت » وقال ( عليه السلام ) ايضاً : « وان الراحل اليك قريب المسافة وانك لا تحتجب عن خلقك إلا ان تحجبهم الاعمال دونك » وسئل عن بعض الاولياء فقيل له : ما قدر المسافة بين العبد ومعرفة الله تعالى ؟ قال : « قدما . قدم يضعها على الممكنات وقدام يضعها في مقام العرفان » وسئل آخر عنها ؟ فقال : « قدم واحدة يضعها على نية نفسه يتجلى له ربه فان من عرف نفسه فقد عرف ربه » والبحث في ذلك طويل عقلاً ونقلًا وعرفاناً وشهوداً . ويستفاد من الآية المباركة الترغيب إلى التفكير والتدبر وفي الحديث

عن نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) : « تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة » كما ان الاستفادة من الادلة الدالة على حسن التفكير والحث عليه ان التفكير الحسن المرغوب اليه لا يبد ان لا يكون منهيأ عنه شرعاً ففي الحديث : « تفكروا في آلاء الله تعالى ولا تتفكروا في الله تعالى » وفي حديث آخر « تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق » فان التفكير في المبدأ تعالى لا يبد ان يكون من جهة خلقه وصفاته الفعلية واما التفكير في ذاته المقدسة وصفاته التي هي عين ذاته فلا يفيد إلا تحيراً بل ربما ضلالاً وقد ورد في تفسير قوله تعالى : « وان إلى ربك المنتهى » النجم - ٤١ انه « إذا انتهى الكلام الى الله تعالى فامسكوا » واما النظر والتفكر في ما هو منهي عنه شرعاً فلا يكون منتجاً بل ان تسميته بالفكر مجاز لانه في الحقيقة وهم باطل أو النكراء أو الشيطنة أو من إحاء الشيطان قال تعالى : « وان الشياطين ليوحون إلى اوليائهم » الانعام - ١٢١ فلا يبد للمتفكر ان يتأمل في مقدمات فكره بان لا يفتني على الاوهام والخيالات ، والا فيحرم من الفيض الاقدس الالهي ، ويكون من الذين كان للشيطان عليه سبيلاً وكل ما كان الفكر بريئاً من الخيال والاهام وخالياً من الوسوسة كان إلى الواقع اقرب والا فانه يؤدي إلى اختلال القوة الفكرية وانطفاء هذا النور الالهي الذي اودعه الله تعالى في الانسان ، فلا يبد من أن يلتمس سبباً صحيحاً اليه وهذا من شؤون الانبياء والمرسلين ومن يقوم مقامهم فانهم يستنبطون بنور الله تعالى كما في الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » . ثم ان الخلق في قوله تعالى : « في خلق السموات والارض » إما بمعنى المخلوق فتكون الاضافة إما بمعنى (في) اي يتفكرون في ما خلق في السموات والارض أو تكون الاضافة بيانية اي : يتفكرون في

المخلوق الذي هو في السموات والارض . أو يكون بالمعنى المصدرى  
اي : يتفكرون في انشائها وابداعها .

وانما لم يذكر سبحانه وتعالى اختلاف الليل والنهار في المقام إما  
لاجل اندراج اختلاف الليل والنهار في خلق السموات والارض فإنه  
من شؤونها أو لبيان ان اولى الالباب بسبب فكرهم الثاقب بمثابة  
بميت اذا تفكروا في بعض الآيات تنسب الى ذهنهم الآيات الاخرى  
فترتب عليها النتيجة لا محالة .

قوله تعالى : ربنا ما خلقت هذا باطلاً .

اي : انهم يتفكرون في خلق السموات والارض فيبهرون من  
عظمة الخلق ويعترفون بالعجز والتقصير أمام الخالق العظيم فينطلق لسانهم  
بالثناء والدعاء فيقولون : ربنا ما خلقت هذا المخلوق باطلاً لانك  
العليم الحكيم .

وانما اهتموا الى هذه الحقيقة الكبرى لانهم رأوا آثار عظمة الخالق  
وحكمته فادعوا بأن خلقه تعالى بالحق وفي الحق ولا يمكن ان يكون  
هذا الصنع العجيب باطلاً وبلا غاية ، وهي الرجوع الى الله تعالى  
وترتب الجزاء إما درجات الجنان التي وعد بها رسوله للصلحاء أو  
درجات النيران التي هي جزاء الظالمين لانهم لما اعترفوا بأن خلق الدنيا  
وما فيها لم يكن عبثاً وباطلاً فلا بد ان يكون الرجوع الى الله تعالى  
والحشر اليه عز وجل والحساب على ما تحقق في الحياة الدنيا من الاعمال  
فهناك الثواب والعقاب قال تعالى : **وافحسبم اننا خلقناكم عبثاً وانكم  
الينا لاترجعون** ، المؤمنون - ١١٥ والا كان من العبث السلي يتنزه  
الخالق منه والباطل الذي ينهى عن كل عاقل فضلاً عن الحكيم المطلق  
فانطلق لسانهم بالتثنية وقد ملئت قلوبهم بالدهشة منه وتعاقب عليها

الخوف والرجاء .

قوله تعالى : سبحانك فقنا عذاب النار .

اي : انهم لما بهرتهم عظمة الخالق قالوا « سبحانك » يعني تنزيهاً لك من كل ما لا يليق بك وتقديساً لك من الباطل والعبث وهم يستغيثون به من عذاب النار ويتوسلون اليه بالنجاة منه لانهم علموا بأن الظالمين سيحشرون اليه فيجازيهم على اعمالهم فطلبوا منه التوفيق الى الاعمال التي تصيهم من عذاب النار .

قوله تعالى : ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته .

توسل منهم الى الله تعالى الذي رباهم ان يجيرهم من النار ومبالغة منهم في استدعاء الوقاية عنها إعترافاً منهم بقبح ما يوجب دخول النار وان ذلك هو الخزي المبين .

وانما قالوا ذلك مبالغة في التضرع الى الرب الذي عودهم على الاحسان وعرفوه بالانعام والاکرام على خلقه بعد التفكير في مخلوقاته فان آثار الكرم والنعمة عليها ظاهرة .

وأخزيته من الخزي وهو الافتضاح والاذلال يقال : اخزاه الله اي اذله ومقته والاسم الخزي ويستفاد من الآية المباركة ان الدخول في النار هو اشد انواع الخزي مع قطع النظر عن إحراقه بالنار ، لان دخول النار فيه البعد عن لقاء الله تعالى واحبائه والابتلاء بعذاب الفراق وهو اشد واقوى من العذاب الجسماني .

قوله تعالى : وما للظالمين من انصار .

بيان للسبب الموجب لدخولهم في النار . اي : ان الذين يخزون



يدخلون في النار لانهم ظلموا انفسهم والظالم ليس له ناصر ينصره من النار لانه حرم نفسه من الفيض الالهي وقطعها عن رحمته بالكفر والعصيان ، وان النصر في يوم الجزاء لا بد أن يكون منه تعالى وهو لا يشمل غير المؤمن به عزوجل . وهذا اعتراف منهم بأن الظلم على النفس من اشد انحاء الظلم واقرار منهم بأن النصر لا بد ان يكون من الله تعالى ، والظالم قد حرم نفسه منه بسبب ظلمه .

والظلم هنا اعم من الكفر والمعاصي التي توجب الدخول في النار .

قوله تعالى : ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان .

بعدما استجاروا بالله تعالى من النار، وطلبوا منه الوقاية عن عذابها لما رأوا آثار عظمة الخالق في خلقه فاعترفوا بالتقصير .

وفي هذه الآية الشريفة يطلبون منه العون والتوفيق لما يؤهلهم في الدخول في الجنة بعد اقرارهم بالاستجابة لمنادي الايمان ذلك النداء الغيبي الذي يدعو الى الايمان بالله تعالى ، والمنادي هو الفطرة والعقل ومظهرهما الانبياء والرسل ومن يقوم مقامهم وسائر آيات الله الداعية اليه عزوجل .

وهذا النداء ليس تشريعياً محضاً بل له دخل في نظام التكوين وهو تربية الانسان تربية حقيقية كاملة التي لم يخاق العالم الا لأجلها ، فالولوا الالباب هم الذين يقرون بغاية الخليقة وتربيت الخالق الكريم لها .

قوله تعالى : أن آمنوا بربكم فآمنا .

بيان للنداء اي : ان المنادي نادى بالايمان بالرب فسمعنا واسرعنا الى الايمان واطعنا وقولهم « آمنا » إقرار منهم بالايمان والعبودية للهي القيوم الذي لاحد لعظمته وعنايته .

ولما أكدوا إيمانهم بإيراد لفظ الإيمان ومشتقاته ثلاث مرات ليؤهلهم إلى الفيض الربوبي ، وليبين أن الإيمان شغلهم الشاغل وأنهم أحبه وقد ملأ مشاعرهم .

وذكرهم للرب حثاً منهم له عز وجل بالعطف عليهم لأنهم عبيد مربوبون له عز وجل .

وإنما أسرعوا إلى الإيمان بمجرد أن سمعوا المنادي ينادي للإيمان بالله تعالى لأنهم رأوا آثار عظمته في الخلق بعد النظر والتفكير .

قوله تعالى : ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا .

زيادة في التضرع وتوجه منهم إلى الله تعالى بالدعاء لطلب المغفرة والتكفير للسيئات لأنهم آمنوا بالله تعالى ورسله الذين يخبرون عن الله عز وجل بما يوجب سعادتهم ويحذرونهم عن ما يوجب سخطه وعقابه وشقائهم فاعترفوا بالقصور والتقصير والرغبة مما يصدر منهم من الذنوب داعين - عند من لا يعقل حد لعظمته ورحمته - المغفرة للذنوب والتكفير للسيئات .

والغفران للذنوب يحصل بالتوبة والاستغفار عنهما بخلاف التكفير للسيئات فإنه ربما يحصل باتيان الحسنات قال تعالى : « ان الحسنات يذهبن السيئات » هود - ١١٤ أو باجتناب الكبائر قال تعالى : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً » النساء - ٣١ فيكون التكفير للسيئات اعم من الاستغفار لها . والمعنى وفقنا للتوبة عن الذنوب والسيئات إما بالاستغفار أو بفعل ما يوجب التكفير عن السيئات .

قوله تعالى : وتوفنا مع الأبرار .

اي : اجعلنا عند اخذك لنا من هذه الدنيا وانتقالنا من هذا العالم في زمرة الأبرار وفي صحبتهم . والأبرار جمع بار وقيل جمع بر وقد تقدم معناه في الآيات السابقة ، ولالأبرار شأن خاص ومنزلة رفيعة عند الله تعالى .

قوله تعالى : ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

زيادة ترغيب في التقرب الى الله تعالى بعد ما ابدوه من الرهبة من المعاصي والذنوب التي تستوجب النار ودعاء بالثبات والاستقامة على الايمان فان الثواب مشروط بالموافاة على الايمان . والمعنى : ربنا واعطنا ما وعدتنا وما انزلته من التبشيرات على رسلك ، وفي الحقيقة انهم سألوا الله تعالى التوفيق للايمان والتقوى والعمل الصالح ليكونوا اهلاً لوفاء الوعد لهم وهو الجزاء الحسن الذي أوجاه عز وجل الى رسله .

ومن ذلك يعلم الجواب عن ما ذكره بعضهم من انه كيف يسألون الله تعالى شيئاً قد وعد به وهم يعلمون انه لا يخلف الميعاد . وهذا الدعاء منهم يدل على نهاية الخضوع وعدم الاعتماد على النفس والاعتراف بالتقصير وعدم الثقة بالثبات الا بتوفيق منه عز وجل . وعموم الآية المباركة يشمل الدعاء لتنجز كل ما وعده عز وجل للمؤمنين سواء في الدنيا أو في الآخرة قال تعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » التوبة - ٧٢ وقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم

سورة آل عمران ١٩٠-١٩٥ ..... -١٧٩-

في الارض ، النور - ٥٥ وقال تعالى : ان تنصروا الله ينصركم ويثبت  
اقدامكم ، مجد - ٧ وغير ذلك من الآيات الشريفة التي تضمنت الوعد  
والبشرى للمؤمنين .

وانما ذكر عز وجل « على رسلك » لبيان ان ذلك وحي منزل  
من الله تعالى على الرسل وقد تناقله انبياءه الكرام ( عليهم السلام )  
خلفاً عن سلف وهم شاهدون على ذلك مع ضمانهم لذلك عليه عز وجل .

قوله تعالى : ولا تخزنا يوم للقيامة .

مبالغة في الدعاء والالاحاح فيه بما استولى عليهم الرهبة .  
والمراد بالخزي في المقام هو عدم وفاء الوعد الموعود به المؤمنون بقريظة .  
ذبل الآية المباركة فيستلزم الهلاك والوقوع في البلية .  
وانما خصوا ذلك بيوم القيامة لما فيه من الاهوال العظيمة فطلبوا  
النجاة منها وعدم الخزي على رؤوس الخلائق فما أشد على من يخال  
نفسه من المؤمنين في الدنيا وهو في القيامة من المفضوحين يستحيي  
مما ورد عليه من الذل والهوان فهذه الفقرة من الدعاء تأكيد للدعاء  
المتقدم وطلب للنجاة من الخزي والفضيحة يوم القيامة الذي تظهر  
نتائج الاعمال فيه .

قوله تعالى : انك لا تخلف الميعاد .

ثناء جميل وتمجيد لله تعالى وتقديس منهم له بما هو حقه ، وقد  
ختموا به دعاءهم ليكونوا على اطمينان بالاجابة فان الدعاء الذي يتضمن  
التقديس والتمجيد لله تعالى أقرب الى الاستجابة .

قوله تعالى : فاستجاب لهم ربهم .

الفاء للترتيب وما بعده مترتب على السابق ترتب المعلول على العلة التامة المنحصرة وتدل عليه هيئة الماضي الدالة على تحقق الاستجابة وتقرررها وذيل الآية المباركة « اني لا اضيع عمل عامل منكم » تقرير لقولهم « انك لا تخلف الميعاد » .

والاستجابة هي الجواب مع حصول المقصود والمراد ، بخلاف الاجابة فانها تطلق على مجرد الجواب بالرد ايضاً . وهذه الاستجابة تكوينية ذكرها عز وجل لاراز العناية بالداعين والتلطف معهم . بل ان أولى الالباب بذواتهم القلمية مراتب استجابة الله تعالى بجميع اطوارهم وشؤونهم في أي عالم ورد عليهم . وفي ذكر الرب مضافاً إليهم دلالة على كمال العطف بهم واختصاصهم بالرحمة الالهية .

قوله تعالى : اني لا اضيع عمل عامل منكم .

زيادة تلتف في الكلام ، وكال تحبب معهم ، والاعتناء بشأنهم وتشريف الداعين بشرف الخطاب ولذلك جاء الالتفات في الكلام بقوله تعالى ( اني ) للتكلم والخطاب بقوله جل شأنه ( منكم ) . والضياع : بمعنى الهلاك والابطال اي : اني احفظ لكم اعمالكم واستجب لكم بشرط العمل الصالح .

والآية المباركة تدل على ان الاستجابة لم تكن الا لأجل العمل فهد المدار فيها ، فلم تكن تلك المشاعر الايمانية الصادقة التي لازمت الدعاء كافية في الاستجابة حتى تتحول الى العمل فكانت الاستجابة بالنسبة الى العاملين هي توفية جزاء اعمالهم فتكون هذه الآية الشريفة بياناً

للاستجابة وكيفيةها .

قوله تعالى : من ذكر او انثى

بيان لجنس العامل اي : انه لا يفرق عنده تعالى حينئذ بين الذكر والانثى فالجميع بالنسبة الى سبب الاستجابة على حد سواء وان المناط هو العمل مع الاخلاص سواء كان العامل ذكراً أم انثى .

قوله تعالى : بعضكم من بعض .

بيان لسبب التساوي بين العاملين الذكور والاناث . وفي الآية الشريفة كمال العناية والتحبيب والالطف بهم ، اي : انكم في الثواب والتقرب وسائر الصفات والخصوصيات سواء عندي بعد ان كنتم جميعاً من اولي الالباب .

قوله تعالى : فالذين هاجروا من ديارهم .

بيان للاعمال التي يثبت فيها الجزاء الموعود ، وتفصيل لما أحمله آنفاً بذكر أهم أفراد العمل وفضلها وبيان ان المثوبة التي أكد الله تعالى عليها في مواضع متعددة من القرآن الكريم لا يمكن ان بناها احد الا مع العمل ، فلا يطمعن احد فيها بدونه .

ولما كانت السورة مشتملة على الجهاد في سبيل الله تعالى والمعركة في تثبيت كلمة التوحيد ، واعلاء شأن دين الله تعالى كانت الامثلة المضروبة للاعمال الصالحة لها ارتباط بهذا المضمار مع المدح والثناء والتعظيم . فمنها الهجرة في سبيل الله تعالى وإيثار الدين الحق سواء كانت الهجرة عن الشرك أو الوطن أو الذنوب فتكون الهجرة اعم من الانحراج من الديار .

ومنها اخراج المؤمنين من ديارهم واوطانهم ظلماً وعدواناً لانهم آمنوا بالله تعالى واعرضوا عن الباطل .

وانما ذكر الهجرة لانها اشق شيء على النفس فانها مجبولة على حب الوطن الذي نشأت فيه ، ويمكن ان يكون الاخراج من الديار تغييراً للهجرة وتفصيلاً بعد احوال ولكنه بعيد عن ظاهر الآية المباركة ويحتمل ان يكون لبيان ان ترك الديار انما كان عن ظلم وعدوان وأما الهجرة عن الاوطان فلأجل انهم لم يتمكنوا من اقامة الدين .

والآية الشريفة تبين اهمية الهجرة الى الله تعالى وهو يشمل الهجرة اليه عز وجل كما مر سواء كانت مكانية أو زمانية او عملية فالمهاجر عن المعاصي مهاجر اليه جللت عظمته وكذا ورد في بعض الاحاديث وان المؤمن مهاجر ، لانه يهجر عن المعاصي .

قوله تعالى : وأوذوا في سبيلي .

اي وتحملوا الاذى في سبيل الله تعالى وهو يشمل كل ما يصيب المؤمن من المشركين وغيرهم قولاً وفعلاً .

قوله تعالى : وقاتلوا وقتلوا .

اي : وقاتلوا الكفار والمشركين واعداء الله تعالى فقتلوا واستشهدوا في سبيل الله تعالى فان من جمع فيه هذه الصفات له المثوبة العظيمة المؤكدة .

قوله تعالى : لا كفرن عنهم سيئاتهم .

اي : من اتصف بتلك الاوصاف لأسترن عليهم سيئاتهم وأحوها وهي صفات المعاصي لأنهم تركوا الكبائر وهجروها بالترك أو التوبة . ويحتمل ان يكون ذلك جواباً عن ما طلبوه من الله تعالى : ولا

تخزنا يوم القيامة » .

قوله تعالى : ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار .

أي : وأنفضل عليهم بأن ادخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار  
قد جمعت فيها موجبات البهجة والسرور وهذا هو الذي طلبه الداعون  
في قولهم « وآتانا ما وعدتنا على رسلك » .

قوله تعالى : ثواباً من عند الله .

أي : ان جميع ذلك كانت نتائج اعمالهم وهي محفوظة عند الله تعالى .

وإنما قال ذلك عز وجل لانه اكل في اللذة وللتنبيه بأنه من عظيم

لا نهاية لعظمته .

وإنما ذكر اسم الجلالة تنويهاً بشرفه وكرامته ، وثواباً مصدر

مؤكد لما قبله .

وهذه الآية المباركة مبينة لقوله تعالى : « اني لا اضيع عمل عامل

منكم » فان الاعمال محفوظة لديه عز وجل ويثيب عليها الله تعالى .

قوله تعالى : والله عنده حسن الثواب .

تأكيد لما سبق ، وليبان أن الثواب من رحمة الله الواسعة ومن

فضله العظيم ، وللإعلام بأن الثواب قد تشرف بحضرة ، وانه محفوظ

عنده لا يصيبه الهلاك والقناء .

وقد ذكر عز وجل في هذه الآية المباركة اموراً ثلاثة : الاول

محو السيئات وغفران الذنوب وهو الذي طلبوه في قولهم « ربنا فاغفر

لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا » وإنما لم يذكر عز وجل غفران الذنوب

وقال « لا كفرن عنهم سيئاتهم » فقط لانها غفرت بالهجرة والتوبة .



الثاني : الثواب العظيم وهو الدخول في الجنات التي تجسري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه في قولهم « وآتانا ما وعدتنا على رسلك » .  
الثالث : ان ذلك ثواب من عند الله تعالى لانه لا يضيع عمل عامل منكم ، فالاعمال محفوظة لديه ويكون الثواب نتائج اعمالهم وهذا الثواب مقرون بالتعظيم والتجليل ويكفي في شرفها انه من عند الله تعالى .

### بحوث المقام

#### بحث ادبي :

انما حذف العطف بين قوله تعالى : « لله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير » ، وقوله تعالى : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار » لان الاخير يبين كمال قدرته وعلمه وحكمته في ملكه فهو مؤكد للاول .

والآيات في قوله تعالى : « آيات لاولي الالباب » اسم ان وقد دخله اللام لتأخره عن الخبر ، وللتأكيد والتنوين فيه للتفخيم اي : آيات عظيمة .

وقوله تعالى : « الذين يذكرون الله » في موضع جر نعت لاولي الالباب ويجوز ان يكون في موضع رفع او نصب على المدح .  
وقوله تعالى : « قياماً وقيوداً وعلى جنوبهم » منصوب على الحال في يذكرون أو في موضع الحال .

وقوله تعالى : « ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته » انما وضع

الظاهر ( النار ) موضع المضمر للتحويل .  
والخزي : هو الخسران وقيل انه بمعنى الهلاك او الاهانة او  
الافتضاح ومنه قوله تعالى : « ولا تحزون في ضيفي » هود - ٧٨  
او الابداد ولكن جميع ذلك متقاربة .  
والنداء: في قوله تعالى « ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان » لما  
كان مخصوصاً بما يؤدي له ومنتهاً اليه تعدى باللام تارة كما في المقام  
واخرى ب ( الى ) فلا حاجة الى صرف اللام عن ظاهرها وجعلها  
بمعنى الى او غيرها وقال بعضهم ان جملة ينادي مفعول ثانٍ ل (سمع)  
وقال آخرون ان سمع تعدت الى واحد وينادي صفة له وانما حذف  
المفعول الصريح في « ينادي » ايذاناً بالتعميم .  
وقوله تعالى : « ان آمنوا » ايماء تفسير لينادي اذا جعل ان مصدرية  
او بأن آمنوا فيكون متعلقاً ب ( ينادي ) وقال بعضهم انه بدل من  
الايمان ولكنه ليس بشيء .

## بحث دلالي

تدل الآيات الشريفة على أمور :

الاول : يدل قوله تعالى : « ان في خلق السموات والأرض  
واختلاف الليل والنهار ، على حقيقة من الحقائق الواقعية التي طالما  
أكد عليها القرآن الكريم في مواضع متعددة بل انها مراده ، وهي  
الاستدلال بآيات الله تعالى في مخلوقاته العلوية والسفلية على عبادة الله  
الواحد الأحد ونبذ الشرك والانداد وعبادة الآيات الكونية والخورق

وهذه هي دعوة الانبياء والرسل :

والآية الشريفة تضمنت المبدأ والمعاد فان قوله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض ، يدعو الى المبدأ المتصف بجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والحياة والحكمة والربوبية ، واما قوله تعالى « واختلاف الليل والنهار » فانه يدل على المعاد لما في هذه الآية من الدلالة على القدرة الالهية وان اختلاف الليل والنهار لا يخلو من المشابهة للموت والحياة فالليل فيه الاشارة الى الخمود والسكون والنهار اشارة الى الحركة والظهور والنشور ، والموت خمود وسكون والحياة ظهور وحركة . كما ان اختلاف الليل والنهار سنة الهية طبيعية والموت والحياة سنة إلهية كذلك .

ومن ذلك يعرف السر في تقديم الليل على النهار فان الموت اسبق على الحياة فانها الاجداد من العدم .

الثاني : يستفاد من ذكر اختلاف الليل والنهار بعد خلق السموات والارض ان اختلاف الليل والنهار من شؤون خلق السموات والارض وتابع له .

الثالث : يستفاد من قوله تعالى : « آيات لأولي الألباب » المنزلة العظيمة لأولي الالباب فهم الذين ينظرون في الآيات ويتعمقون فيها ويدركون تلك الآيات الكونية ويستفيدون منها ويعتبرون بها واما سائر الناس فلا حظ لهم منها إلا المناظر البديعة وما فيها من الحسن والروعة والبهجة دون التعمق والاعتبار .

الرابع : يدل قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » ان ذكر الله تعالى له الاثر الكبير في استفادة ذوي الالباب من آيات الله تعالى وله المنزلة العظيمة في الاهتداء به الى

الحقيقة فقد ملأ الذكر جميع مشاعرهم وتمام حالاتهم فلا يغفلون عن الله تعالى لانهم شاهدوا آثار عظمته في خلقه وايقنوا أن ما سواه من فيض رحمته فاستغرقت سرائرهم في مراقبته فلا يشاهدون حالاً من الاحوال في الآفاق وفي الانفس الا وهم يعاينون شأناً من شؤونه ومظهراً من مظاهره تعالى .

واطلاق الذكر يشمل جميع انحاءه من حيث الذات أو الصفات أو الافعال فكانوا في طاعة الله تعالى دائماً مما اوجب استعداد أنفسهم لقبول الفيض الالهي .

الخامس : استفاد من قوله تعالى : « ويتفكرون في خلق السموات والأرض » ان التفكير الصحيح انما يكون بعد تهذيب الروح وتطهير النفس من الرذائل وذكر الله تعالى انما يقوم بتلك الوظيفة ، ولذا قدمه عز وجل على التفكير في خلق السموات والارض وهو يعتمد النفس لهذه الموهبة ، ويستفاد من الآية المباركة اختصاص التفكير في السموات والارض دون الذات المقدسة لعدم الوصول الى كنه ذاته وقد ورد النهي عن التفكير في الذات ، يضاف الى ذلك ان ذكر الله تعالى يعني عن التفكير في الذات ، وهذه الآية المباركة ترشد الناس إلى التفكير في افعاله تبارك وتعالى .

السادس : يمكن ان يراد بالقيام في قوله تعالى : « قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » مطلق القيام بالوظائف العبودية لا خصوص القيام حال الصلاة ، فكل من سعى في قضاء حوائج المؤمنين أو في تعظيم شعائر الله تعالى ، أو في معاش العيال ونحو ذلك مما هو كثير داخل في الآية الشريفة لقوله ( عليه السلام ) : « الكاد لعِياله مجاهد في سبيل الله » وقوله ( عليه السلام ) : « الكاسب حبيب الله » وقوله ( عليه السلام )

« جهاد المرأة حسن التبعل » وقوله ( عليه السلام ) : « من سعى في قضاء حاجة كان له اجر الشهيد » ، كما يمكن ان يراد بالعودة : القعود عن كل ما لا يرتضيه الله تعالى وعدم الحركة فيه اصلا وان يراد بالجنوب الحالات الحاصلة للعبد عند التوجه الى القهار العظيم : ومن ترتيب التفكير على ما ذكر في هذه الآية الشريفة يستفاد ان التفكير الصحيح المنتج انما يكون بعد العمل الصالح وبدل عليه قوله تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » البقرة - ٢٨٢ ولكن الانسان غفل عن ذلك كله فجعل نفسه مقيدة بامور اصططنعها فما اقيح ذلك منه .

السابع : يستفاد من قوله تعالى : « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه » ان الرب الذي خلق الخلق بهذا النظم العجيب ودبر امورهم هو حق ولا يصدر منه الا الحق وهو منزه عن الباطل واني للعقول ان يحيطوا بآثار حكمته ، وان الخلق مهما تفكروا في مخلوقاته فلن يعرفوا حقيقتها وليس لهم الا الاذعان بانه لم يخلقها باطلاً لانه منزه عنه وهو الحق ولا يصدر منه الا الحق ، فان لم يدرك العقل آثار الحكمة والعظمة لا يمكنه انكار هذا الامر وهو انه لم يخلقها باطلا ويستفاد منه ادب الدعاء والمناجاة مع الله تعالى وفيه تعليم المؤمنين كيفية المخاطبة مع الله تعالى فلا بد من الثناء والتزيه والدعاء والابتهاال .

الثامن : يستفاد من سياق قوله تعالى : « ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته » العلية والمعلولية اي : ان دخول النار لا يكون الا لاجل ظلم الانسان على نفسه ولا ناصر للظالم على النفس فيرتب الخزي لا محالة : أما ان دخول النار لا يكون إلا لاجل الظلم فهو معلوم لانه مترتب على المعصية والطغيان ، واما انه لا ناصر للظالم على النفس فلانه منحصر في الله تعالى لانه إما الشفاعة أو التوبة والمفروض عدم

تحققها فلا محالة يترتب المعلول على العلة التامة المنحصرة .  
التاسع : يستفاد من قوله تعالى : « ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي  
للإيمان » ان إيمانهم مبني على امرين احدهما الدليل العقلي الذي اعتمد  
على التفكير في خلق الله تعالى والادلة القطعية والثاني الدليل السمعي  
عندما سمعوا المنادي يناديهم الى الإيمان بالله تعالى وهم بعد تأملهم في  
هذا الدليل السمعي وقعت منهم الاجابة بلا فاصلة وتور .

ويمكن ان يكون المراد بالسمع هنا الاجابة الحقيقية كما في قول  
« سمع الله لمن حمده » فالمنادي داع الى الله تعالى وشاهد على تحقق  
الدعوة الحققة وبعد فناء العالم ينتفي موضوع الدعوة وتبقى موضوع الشهادة.  
وهذه الآية الشريفة على اختصارها تبين المبدأ والمعاد واستدل  
على الاول بالمعلول على وجود العلة وتسمى هذه الطريقة في الاصطلاح  
بالبرهان الانبي واستدل على الثاني مع قطع النظر عن الملازمة بينهما  
بالاقرار والاعتراف الذي هو من اقوى الادلة في القوانين الجزائية .  
العاشر : يستفاد من قوله تعالى : « وتوفنا مع الابرار » ان مقام  
الابرار من اعلى المقامات الذي لا مقام اعلى وارفع عند الله تعالى منه  
قال جل شأنه : « ان كتاب الابرار لفي عليين يشهده المقربون »  
المطففين - ١٨ وقال تعالى : « ان الابرار لفي نعيم يسقون من رحيق  
مختوم اختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » المطففين - ٢٢  
ويكفي في عظمة شأنهم ان هؤلاء الداعين مع علو شأنهم يطلبون من  
الله تعالى ان يتوفاهم مع الابرار ويجعلهم معهم . فتكون حالاتهم من  
سرخ حالات الابرار ، وان تكون عوالمهم كعوالمهم .

والحاصل : ان هذه الآية الكريمة تبين ان اولي الالباب هم الذين  
يكونون مع الابرار في جميع النشآت وفي مرضاة الله تعالى والابرار

هم شهداء الخلق وقادة أهل الجنة .

الحادي عشر : يستفاد من قوله تعالى : « بعضهم من بعض » ان الجامع بين الجميع - الذكور والاناث - كونهم من اولي الالباب وهو بمنزلة المادة الواحدة التي تجمع الجميع والخصوصيات الفردية بمنزلة الصور المتعددة ، فتكون ( من ) نشوية حيثل اي : ان منشأهم واحد وهو كونهم اولي الالباب وهذه الخصوصية هي التي أوجبت اشتراك النساء مع الرجال في هذا الامر المهم ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » التوبة - ٧١ . وإذا انتفت هذه الخصوصية كان الأمر على خلاف ما اراده الله عز وجل وكذا الأمر في ضد المؤمنين وهم المنافقون كما في قوله تعالى : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون » التوبة - ٦٧ .

الثاني عشر : يستفاد من قوله تعالى : « فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا » ان اولي الالباب لم يبلغوا تلك المقامات العالية ولم يتصفوا بتلك الصفات الكريمة الا لانهم تحملوا الاذى في سبيل الله تعالى وهجروا المعاصي والممذات والاهل والعيال والديار ليقيموا دين الحق ، وجعلوا انفسهم وفقاً لرضا الله عز وجل فعندما طلب منهم الشهادة لم يتوانوا في ذلك فقدموها اليه عز وجل واذعنوا ان سعادتهم انما هي باقامة دين الحق .

الثالث عشر : انما لم يذكر سبحانه وتعالى اسماء هذه الطائفة في

الآيات واقتصر جل شأنه على ذكر حالاتهم وصفاتهم وابتهاالاتهم لأجل انهم القدوة والاسوة بعملهم وسيرتهم وانهم ينيرون لنا الطريق وان حالاتهم وابتهاالهم هي طريق السير والسلوك الى الله تعالى :

### بحث روائي

الآيات الشريفة من جلائل الآيات القرآنية وقد تضمنت مضامين عالية في التوحيد والعرفان واعتبرها علماء السير والسلوك من أهم الآيات التي وردت في هذا الطريق ونحن نذكر ما وردت في فضلها من الروايات ثم ما وردت في تفسير المفردات منها .

### فضل الآيات :

في المجمع عن النبي ( صلى الله عليه وآله ) انه لما نزلت هذه الآيات قال : ( صلى الله عليه وآله ) : « ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها » .

وفي تفسير البرهان عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قال : « ويل لمن قرأ الآية ثم مسح بها شبكته » اي تجاوز عنها من غير فكر فيه ودم المعرضين عنها .

وفي التهذيب عن معاوية بن وهب قال : « سمعت ابا عبد الله (ع) يقول في صلاة النبي ( صلى الله عليه وآله ) : « كان يؤتى بطهور



فيخمر عند رأسه ، ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء ثم تلا الآيات من آل عمران : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الاالباب » ثم يستن ويتطهر ، ثم يقوم الى المسجد فيركع اربع ركعات على قدر قراءة ركوعه وسجوده على قدر ركوعه ، ويركع حتى يقال متى يرفع رأسه ويسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلوا الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد ويصلي الأربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ ويجلس ويتلو الآيات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين ثم يخرج الى الصلاة » .

أقول يستفاد من الرواية فضل الآيات المباركة واهميتها لانه (ص) كان يكرر قراءتها ويواظب عليها .

وفي الدر المنثور اخرج ابن حبان في صحيحه وابن عساكر وغيرهما عن عطاء قال : ه قلت لعائشة اخبرني بأعجب ما رأيت من رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قالت : وأي شأنه لم يكن عجباً ؟ إنه أتاني ليلة فدخل معي في لحافي ثم قال : ذريني اتعبد لربي ، فقام فتوضأ ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال ( صلى الله عليه وآله ) : افلا اكون عبداً شكوراً ولم لا افعل ؟ وقد انزل الله تعالى علي في

سورة آل عمران ١٩٠-١٩٥ ..... ١٩٣ -

هذه الليلة : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار  
آيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم  
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا  
سبحانك فقنا عذاب النار » ثم قال : ( صلى الله عليه وآله ) ويل  
لمن قرأها ولم يتفكر فيها .

وفي الدر المنثور أيضاً عن علي (عليه السلام) : « انه ( صلى الله  
عليه وآله ) اذا قام تسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول « ان في خلق  
السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الالباب » .  
واخرج الشيخان ، وأبو داود ، والنسائي وغيرهم عن ابن عباس  
قال : « بت عند خالتي ميمونة فنام رسول الله ( صلى الله عليه وآله )  
حتى انتصف الليل أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ثم استيقظ فجعل  
يمسح النوم عن وجهه بيديه ، ثم قرأ العشر الآيات الأواخر من سورة  
آل عمران حتى ختم » .

اقول : الروايات متفقة المضمون على جلالة هذه الآيات والاهتمام  
بشأنها وكثرة التدبر في مضامينها والحث في الاتيان بها في اهم الاوقات  
وهو السحر الذي يكون الدعاء فيه اقرب الى الاستجابة والقبول .

### تفسير مفردات الآيات :

في الكافي عن ابي عبد الله ( عليه السلام ) قال : « افضل العبادة  
إدمان التفكير في الله تعالى وفي قدرته » .

اقول : المراد بالتفكر في الله تعالى التفكير في خلقه وصفاته لا

التفكر في الذات فانه منهي عنه ولا يوجب الا التحجر قال تعالى :  
« ولا يحيطون به علماً » طه - ١١٠ وعن علي ( عليه السلام ) :  
« تاهت العقول في كنه معرفته » واما التفكير في الصفات والافعال  
فقد ورد في الامثال الكثيرة والسنة الشريفة الحث عليه قال تعالى :  
« وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » الحشر - ٢١ .  
وفي الكافي ايضاً عن معمر بن خلاد قال : « سمعت ابا الحسن  
الرضا ( عليه السلام ) يقول ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم إنما  
العبادة التفكير في امر الله عز وجل » .

أقول : الحديث شاهد على ما ذكرناه ايضاً .  
وفيه ايضاً عن الصادق ( عليه السلام ) قال امير المؤمنين ( ع ) :  
« التفكير يدعو الى البر والعمل به » .  
أقول : لان الفكر الصحيح المنتج يوجب تهذيب النفس وتحريك  
القوى الارادية الى العمل .

وفي الدر المنثور اخرج ابو الشيخ في العظمة عن ابي هريرة قال :  
« قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فكر ساعة خير من عبادة  
ستين سنة » .

أقول في بعض الروايات عنه ( صلى الله عليه وآله ) : « تفكر  
ساعة خير من قيام ليلة » وفي رواية اخرى من عبادة سنة وهي المروية  
من طرق الامامية ويمكن حمل الاختلاف على مراتب اختلاف الفكر  
وقربه وبعده نحو اصابة الواقع .

وفي الدر المنثور ايضاً عن ابن عباس قال : « قال رسول الله  
( صلى الله عليه وآله ) تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله » .  
أقول : قد تقدم في التفسير ما يبين ذلك لان التفكير في الله تعالى

لا يزيد إلا تحيراً فإنه لا يمكن ان يحيط احد به علماً .  
وفي الكافي عن الحسن الصيقل عن ابي عبد الله ( عليه السلام ) في  
حديث قال : « سألته كيف يتفكر ؟ قال ( عليه السلام ) يمر  
بالخربة ، أو بالدار فيقول ابن ساكنوك ؟ ابن بانوك ؟ مالك لا تتكلمين .  
اقول : هذا بيان لبعض مصاديق الفكر الممكنة لعامة الناس والا  
فللتفكر مراتب كثيرة حسب درجات المتفكرين من العرفاء .

وفي تفسير العياشي عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر ( عليه السلام )  
قال : « لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله إن كان قائماً  
أو جالساً أو مضطجعاً لان الله تعالى يقول « الذين يذكرون الله قياماً  
وقعوداً وعلى جنوبهم » .

أقول هذا محمول على مراتب قدرة الذاكر لله تعالى على ما يأتي في  
البحث الفقهي .

وفي تفسير العياشي عن ابي جعفر ( عليه السلام ) قال : « الموت  
خير للمؤمن ان الله تعالى يقول : « وما عند الله خير للابرار » .  
اقول : في جملة من الاخبار انه خير للمؤمن والكافر أما المؤمن  
فلاستراحتة عن هم الدنيا وغمها ووروده الى رحمة الله تعالى . واما  
الكافر فلاستراحة الناس منه فتكون الخيرية باعتبار عدم زيادة عقوباته  
في الآخرة .

وفي الدر المنثور في قوله تعالى : « فاستجاب لهم ربهم اني لا  
اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضهم من بعض » قالت ام  
سلمة : « يا رسول الله لا اسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء  
قأنزل الله تعالى الآية » .

وفي الامالي في قوله تعالى : « فالذين هاجروا من ديارهم وأوذوا

في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيأتهم » نزلت الآية في علي ( عليه السلام ) لما هاجر ومعه الفواطم : فاطمة بنت اسد . وفاطمة بنت محمد ( صل الله عليه وآله ) وفاطمة بنت الزبير ، ثم لحق بهم في ضجنان ام ايمن ، ونفر من ضعفاء المؤمنين فساروا وهم يذكرون الله في جميع احوالهم حتى لحقوا بالنبي وقد نزلت الآيات .  
اقول : ورد من طرق الجمهور انها نزلت في المهاجرين وكيف كان فالآية المباركة عامة الى يوم القيامة وما ورد في شأن النزول بيان لبعض المصاديق .

### بحث قرآني

مما أكد عليه القرآن الكريم واهتم به اهتماماً بليغاً الدعاء والتضرع الى الله تعالى والاستمداد منه في قضاء الحوائج ، وقد ذكرنا في أحد مباحثنا ما يتعلق بهذا الموضوع المهم الذي يمس الانسان من جميع جهاته الدنيوية والاخروية بل دخيل في سعادته الابدية وبتبنا الجوانب المتعددة فيه وفي المقام نذكر ما يستفاد من الآيات الشريفة المتقدمة في هذا الامر فانها اشتملت على امور مهمة تكشف عن بعض الجهات المقومة للدعاء وتبين ادب الدعاء .

ويستفاد من تلك الآيات المباركة ان الدعاء داخل في صميم حياة أولي الالباب ولا يهملونه في حالة من الحالات ، ويعتبرونه من اهم الاسباب في نيل المطلوب ونجح المقصود، والآيات الشريفة قد اشتملت على دقايق ورموز تكون دخيلة في استجابة الدعاء التي قلما توجد في

آيات أخرى ، ونحن نذكر جملة منها في المقام . والأمر المهم هو ان الدعاء هنا صدر عن قلوب مؤمنة صادقة في ايمانها تفكرت وتندرت وتذكرت واهتدت الى الحق فتوجهت الى الله تعالى بمشاعر ايمانية خالصة ، وتوسلت اليه عز وجل وجعلت ايمانها وسيلة لقبول دعائهم وهذا الدعاء الحار الذي صدر منهم يدل على كمال العرفان الالهي فيهم وراهم انهم يكررون لفظ « ربنا » خمس مرات في دعواتهم على سبيل الاستعطاف وطلب رحمته وقد ذكروا هذا الاسم لما فيه من الأثر العظيم في استجابة الدعاء .

وقد تكرر هذا الاسم المبارك كثيراً في دعوات الانبياء والمرسلين وذلك لأن في هذا الاسم الدلالة النفسية على حرارة التوجه وصدق الرغبة في التكرار لدلالته على الإلحاح في المسألة وكثرة الطلب من الله سبحانه وتعالى ، فهم لا يزالون يلحون في الدعاء ويقولون « ربنا » حتى استجاب لهم ربهم وعطف عليهم ورحمهم ثم إنهم دخلوا في هذا الميدان بعد تطهير أنفسهم من الذنوب والآثام والاشتغال بذكر الله تعالى وملأوا مشاعرهم من عظمتهم وقد كرروا لفظ الايمان ومشتقاته لتوكيد ايمانهم وتقديمه امام طلبهم لما فيه الاثر في الاستجابة .

وقد اشتمل دعاؤهم على كمال الخضوع والخشوع وشدة التوجه اليه عز وجل . فقدموا الثناء على الطلب والدعاء ثم طلبوا الوقاية من النار فانها اهم مطلب لاولي الالباب لما علموا من تقصيرهم وما يصدر عنهم مما يوجب سلب التوفيق والخزي فالتمسوا منه عز وجل العناية والتوفيق والسلامة من كل خزي وطلبوا منه النصره ثم أكدوا على طلب غفران الذنوب وتكفير السيئات بعد ما قدموا ما يؤهلهم الاستجابة وهو الايمان ثم لم يقتصر دعاؤهم على خصوص الدنيا بل

طلبوا منه عز وجل ان يجعلهم مع الأبرار الذين لهم المقام المعالوم  
والمنزلة العظيمة .

وأخيراً طلبوا منه عز وجل أن يوفيهم ما وعده لهم وهو لا  
يخلف الميعاد .

وقد اشتمل دعاؤهم على الادب المعهود بين الله تعالى وعباده  
المخلصين وما تضمنه دعاؤهم على الثناء والتزويه والالاحاح في الطلب  
وموجبات الاستجابة فاستجاب لهم ربهم لان فيهم ما يوجب ذلك  
وهو العمل الصالح الذي هو العمدة في ذلك هذا فيض من غيض ما  
تشتمل عليه الآيات المتقدمة من الرموز والدقائق وأدب الدعاء ولا بد  
لكل داع ان يجعل ما في هذه الآيات نصب عينيه ويجعلها منهاجاً لكل  
دعواته لتحصل له الاستجابة .

### بحث فقهي

من المسلمات في الفقه ان التكاليف تنزل على مراتب القدرة  
والاستطاعة فليس تكليف العاجز والمضطر في الصلاة - مثلاً - تكليف  
القادر المختار ، واستدلوا على ذلك بحكم العقل المقرر بالكتاب والسنة  
قال تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » البقرة - ٢٨٦ وقال  
تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » الحج - ٧٨ الى غير  
ذلك من الآيات الشريفة وعن نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله )  
« اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » وقد تقدم في احد مباحثنا  
السابقة تفصيل الكلام فيه .

وقوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » حسب ما ورد في تفسيرها من السنة الشريفة من ادلة توسعة التكليف تبين مراتب التكليف تبعاً لاحوال المصلين فالصحيح يصلي قائماً والمريض يصلي جالساً ، ومن لا يقدر على الجلوس يصلي على جنبه ، ففي الكافي عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر ( عليه السلام ) في قول الله عز وجل : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » قال ( عليه السلام ) : « الصحيح يصلي قائماً وقعوداً والمريض يصلي جالساً ، وعلى جنوبهم الذين يكون الاضعف من المريض الذي يصلي جالساً » .

اقول : المراد من قوله ( عليه السلام ) « قياماً وقعوداً » بالنسبة الى صلاة النافلة فان المكلف مخير في اتيانها قائماً أو قعوداً واما الصلاة الواجبة فانه يتعين فيها القيام ان كان صحيحاً .

وفي تفسير العياشي عن ابي جعفر ( عليه السلام ) : « في قول الله عز وجل : « الذين يذكرون الله قياماً الاصحاء » وقعوداً » يعنى المرضى « وعلى جنوبهم » قال ( عليه السلام ) : « اعلّ ممسن يصلي جالساً واورجع » .

اقول : الروايات في ذلك كثيرة قد فصلنا القول في كتابنا ( مهذب الاحكام ) فراجع .

### بحوث عرفانية

الآيات الشريفة المتقدمة تشمل على مضامين عالية في السير والسلوك



ويعتبرها اهل الذوق والعرفان دستوراً ومنهاجاً لهم في عروجهم العرفاني ونحن نشير الى بعض ما تقتضيه الحال :

الأول تتضمن الآيات الشريفة على مخاطبة المربوب مع الرب ومثل هذه المخاطبة تستلزم الحضور اي حضور المخاطب لدى المتكلم وهو من طرف مخاطبة الله تعالى مع عباده وخلقه صحيح لا ريب فيه لأنه حضور احاطي فعلي من كل جهة وأما من طرف المربوب مع الرب فهو حضور وجداني وهو من اعظم مراتب تجليات الرب العظيم على القلوب والضمائر ويبين مثل هذا الحضور الوجداني قول ابي عبد الله الحسين ( عليه السلام ) في بعض حالاته الانقطاعية مع ربه « سيدي ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك » ويشير الى ذلك قول علي ( ع ) في الدعاء المعروف « الهي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك » وهذه هي الرابطة الاختيارية للعباد مع معبودهم الحقيقي .  
واعلم من اعظم اسمائه الحسنی تأثيراً على القلوب واشدها حضوراً عند المخاطب اسم ( الرب ) ولذا نرى ان الانبياء العظام يتوسلون بهذا الاسم المبارك في دعواتهم الشريفة وحالاتهم الانقطاعية ، وهو يدل على كمال الخضوع والخشوع لربهم ويستميلون عطفه وعنايته عز وجل الذي خلقهم ورباهم ومن عليهم بجميع النعم الظاهرة والمعنوية .  
الثاني : استفاد من الآيات المباركة ان اولي الالباب هم الذين وهبوا وجودهم وجميع حيثياتهم الى خالقهم فقد نصبوا انفسهم على الجهاد والمثابرة والصبر على البلايا والاذى في سبيل الله تعالى فصاروا بذلك مظاهر حقيقية لقول « إنا لله وإنا اليه راجعون » سورة البقرة ١٥٦ والالتفات الى هذه الحالة وترتيب الاثر عليها من اهم الطرق التي سلكها الانبياء ( عليهم السلام ) والاولياء في السفر الى الله تعالى والسير

اليه ، وهذه الحالة هي غاية آمال المجاهدين والمرتاضين في الحق بالحق ، وقد اسموه بالسفر في النفس بالنفس ، ولا منتهى لهذا السير الا ما أشار اليه سيد الانبياء بقوله ( صلى الله عليه وآله ) : « من رأي فقد رأى الحق » وهذا هو المعراج الروحاني الذي هو العلة التامة لاستكمال النفوس المستعدة .

وإن شئت قلت هو ايجاد تمام العوالم في عالم واحد وهو عالم الانسانية الكبرى بالاختيار ، فتصير النيران تحت ارادته والجنان تحت اقدامه فتخاطبه النار بقولها : « جز يا مؤمن فان نورك يطفىء لهي » وهذه كلها لمحة يسيرة من سير الانسان الى الكمال غير المنتهي من كل جهة .

كما انها من تجليات أولي الألباب بعد ما لاقوا اشد المصاعب في هذه الدار الفانية فقد هجروا الاهل والديار وتركوا المعاصي لأجل رب الأرباب وقاتلوا النفس الامارة فقتلوا بالسيطرة عليها وتوجيهها الى ما يرضي خالقها ولأجل ذلك كانت عنايات الله جل شأنه بهم عظيمة لا حد لها لانهم مظاهر اخلاقه وهم الصور المرئية من العقل الكلي في هذا العالم وفي عالم البرزخ وفي عالم الآخرة وقد اعد لهم جنات عظيمة لا نهاية لعظمتها وهذه الجنات هي جنة الاعمال ، وجنة الرضوان وجنة اللقاء وهي منتهى الغايات واعلى الكمالات .

الثالث : غلبة ذكر الله تعالى على العبد توجب تجلي عظمة الله جل جلاله عليه فيصير طوع ارادته فلا يعمل الا بما يرتضيه ، ولا يرى ولا يسمع الا ما يشاء الله تعالى ويصبح بذلك مرآة لوحى السماء ولا معنى لأولي الألباب الا ذلك ، فترى انهم يسرعون الى الايمان عندما يسمعون المنادي ينادي اليه لان النداء جلب مشاعرهم بعدما

— ٢٠٢ — مواهب الرحمن - ج ٧

كانت مشغولة بذكر الله تعالى ، وهذا هو السمع الحقيقي الذي يغير العبد عما عليه من الغفلة .

وبعبارة اخرى : هي الجاذبة الملكوية التي تحصل للنفس وكم لأولي الألباب من هذه الجذبات الى رب الأرباب ، ولا بد من الارتباط مع هؤلاء بالمعنى الذي ذكره عزوجل لان العالم خلق لتكامل الانسانية ولا يحصل إلا بذلك وهذا هو غاية دعوة الأنبياء العظام خصوصاً سيدهم ( صلى الله عليه وآله ) .

### بحث فلسفي

تختلف الفلسفة الاسلامية عن غيرها من المذاهب الفلسفية في معالمها ومناهجها واسلوبها في بيان المسائل العقلية وتفصيل ذلك لايناسب المقام والمهم ما يستفاد من الآيات الشريفة المتقدمة في الفلسفة الاسلامية فانها من الآيات المعدودة التي وردت في بيان معالم هذه الفلسفة الجامعة لكثير من المعارف والعلوم وأهم ما تمتاز به عن غيرها ذلك الذوق العرفاني وبيان المسائل المتعلقة بمسا وراء الطبيعة والعمق الفلسفي في البحث والتحقيق .

والمستفاد من الآيات الشريفة ان الفلسفة الاسلامية تتميز بأمر ثلاثة:  
الأول : ابتناء هذه الفلسفة على التفكير والتسدير والنظر كسائر المذاهب الا ان الفرق ان الفلسفة في الاسلام تعتمد على التفكير الذي يدعو الى العمل وبتحويل الى سلوك ومنهج تطبيقي في الحياة فلا تعتمد على التفكير من حيث هو تفكر فقط كالفلسفة اليونانية التي تعتمد على

التفكير والتدبر لأجل التفكير والتدبر فقط قال تعالى : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً » .

الثاني : الاعتماد على التجربة والاستقراء ، ويعتبر الاسلام هسو الذي انشأ المنهج التجريبي وسبق الفلسفة المعاصرة والبحث العلمي في القرون المتأخرة .

الثالث : انها تعتمد على الفلسفة العملية وتجعلها جزءاً لا يتجزأ عن الفلسفة العلمية وتعتبرها الاصل في كل كمال انساني في الدنيا والآخرة .  
الرابع : ان الفلسفة الاسلامية تمتاز عن غيرها بانها منهج اخلاقي تطبيقي فهي تعتمد على التخليقية وهذه هي اهم معالم الفلسفة الاسلامية التي يمكن استفادتها من الايات الشريفة المتقدمة التي اشتملت على مضامين عالية في الفلسفة والعرفان .

وحقيق لهذه الايات المباركة ان تجعل خاتمة سورة الاصطفاء فانه لا اصطفاء إلا من اولي الالباب وتعتبر هذه الايات الشريفة تفسيراً لمعنى اولي الالباب وتشرح احوالهم .

والسر اللطيف الذي في هذه الآيات الكريمة انه لم يشر فيها الى شيء من الدنيا بوجه من الوجوه ولعل الوجه في ذلك التباين الكلي بين مقام اولي الالباب والدنيا الفانية فانها جيفة وطلابها كلاب كما في الحديث وابن ذلك من المقام الرفيع لاولي الالباب والمنزلة العظيمة لهم .

لَا يَغْفُرُ نَفْسًا تَقْتَلِبُ الدِّينَ كَتَفَرُوا فِي النَّبِيلِ (١٩٦)  
مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسْتَسْأَلُ النَّبِيَّ (١٩٧)  
لَتَكِينِ الدِّينِ اتَّقُوا رَبَّ هُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا  
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنْ  
اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)

بعدهما ذكر سبحانه وتعالى بعض احوال اولي الالباب وبعض  
صفات الابرار واعمالهم الحسنة والجزاء الحسن الذي وعده تبارك وتعالى  
لهم اشار في هذه الآيات الشريفة الى ما يتعلق بمن يضادهم وينافهم  
لما ارتكز في النفوس من ان الاشياء انها تعرف باضدادها ، والتمييز  
بين الابرار والكفار ، وليبان ما ابتلى به المؤمنون ذلك البلاء الشاق  
من الهجرة والاخراج من الديار والايذاء والقتل والقتال انها هو للتمييز  
والتمحيض الذي هو سنة الهية كما عرفت ، وللاعلام باستحقاقهم  
ذلك الثواب الجزيل فلا يقاس حالهم بحال الكفار الذين يتمتعون متاعاً  
قليلاً ثم لهم سوء العقاب .

وفي هذه الآيات المباركة الموعظة الكبيرة للمؤمنين والنهي عن  
الاغترار بحال الكفار الذين يتمتعون في نعيم ظاهري بل لا يدان  
يجعل الامر في نظرهم أبعد من ذلك فان لهم الثواب العظيم والنعيم الحقيقي

## التفسير

قوله تعالى : لا يغررك تقلب للذين كفروا في البلاد.

تسلياً للنبي الكريم ( صلى الله عليه وآله ) والمؤمنين الذين تحملوا  
البلاء والأذى في سبيل الحق . والخطاب وان كان موجهاً الى النبي  
لكنه خطاب للأمة باعتبار ان النبي ( صلى الله عليه وآله ) واسطة  
الفيض وانه الوجود الجمعي للآبرار فهو ( صلى الله عليه وآله ) من  
حيث كونه واسطة الفيض الالهي مبدأ فاعلي لهم ، ومن حيث كونه  
صاحب المقام المحمود غاية لهم ، ففي وجوده اجتمعت العلة الفاعلية  
والغائية للآبرار .

ومادة ( غرر ) تدل على الاثر الظاهر على الشيء سواء كان سببه  
الغفلة أو امر آخر ومنه غرة الفرس ، وغرار السيف اي حده ،  
وغر الثوب أثر كسره ، يقال اطوه على غره اي اطوه على طياته  
الأولي وجمع الغر على غرور ، ويقال : غره خدعه واطمعه بالباطل  
فكأنه ذبحه بالغرار .

والتقلب هو التحول من حال الى حال ويستعمل غالباً في الحركات  
المنطبعة غير الارادية والمراد به كون الكفار في رفاه الحال وشرف  
الحياة يتقلبون في البلاد آمنين متنعمين بالصحة والامهال ، ولكن مع  
ذلك فقد وصفهم تبارك وتعالى بأخس الأوصاف فقال عز وجل  
« متاع قليل » .

والمراد بالكفر في المقام هو الاعم من الكفر الاعتقادي والعملية

مقابلته للابرار .

وانما نهى عزوجل عن الغرور بتقلب الذين كفروا لان الحقيقة غير ما هم عليه ، ولا ينبغي ان يكون المظهر سبباً للغرور والاعراض عن الحقيقة ، ولعل سبب النهي هو ان المؤمنين لما تحملوا تلك المشقات الكثيرة وذلك الابتلاء العظيم كما حكى عنهم عزوجل في الآية السابقة بينما ان الذين كفروا يتقلبون في البلاد يتحولون من نعمة الى نعمة اخرى مطمئنين آمنين يمكن ان يوسوس لهم الشيطان ان الكفار اولى منهم لاجل اولوية حالهم في الدنيا ، فكانت هذه الآية الشريفة بمنزلة دفع الدخول والتقدير ، ولرفع ذلك الهاجس البشرى وتزليل الاسى في نفوسهم الحاصل من الوسوسة .

قوله تعالى : متاع قليل .

بيان لعله النهي عن الغرور . اي : ان تقلبهم في البلاد انا هو متاع قليل لا دوام له ، وهذا من أحسن الاوصاف ولا يمكن ان يقابل ذلك الثواب العظيم الذي اعده الله تعالى للابرار ، بل ان متاع الارض كله لا يمكن ان يقابل ذلك لان حركات غير الابرار لما كانت للدنيا وفي الدنيا ، فان الدنيا وما فيها قابل من جميع الجهات بالنسبة الى الآخرة وفي الحديث : « ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع » . والمتاع يمثل به عن الشيء الحادث الزائل خصوصاً اذا اتصف بالقلة .

قوله تعالى : ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد .

اي : ثم مصيرهم - الذي يأوون اليه وقد مهدوه بكفرهم وسوء اعمالهم - هو جهنم وهي اسم لدار مجازاة الكفار والمذنبين في الآخرة .

والمهاد : المكان المهد كالفرش وانما ذكره عزوجل تهكماً بهم  
اي : ان تلك الدار التي بأوون اليها وذلك المصير مما جتته ايديهم  
وقد مهدوها لأنفسهم بسوء اختيارهم وبين هذه الآية قوله تعالى في  
موضع آخر : « أفأريت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون  
ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون » الشعراء - ٢٠٧ .

قوله تعالى : لكن للذين اتقوا ربهم .

بيان لمصير الابرار وسعادتهم مقابلة لمصير الكفار وشقائهم فانه  
لا يقاس احدهما بالآخر لأن حال الطائفة الاولى ابتلاء ومقاساة الالهوال  
مدة قصيرة ونعيم الخلد في الآخرة وحال الطائفة الثانية متاع قابل  
وماواهم جهنم وبئس المهاد .

والكفار وان استمتعوا بملاذ الدنيا ونعيمها لكنهم حرّموا انفسهم  
من نعيم الآخرة التي لانهاية لعظمتها واحلوها دار البوار ، واما الذين  
اتقوا ربهم وان حرّموا من نعيم الدنيا وتحملوا المشاق والاذى في  
سبيل الله لكن جزاؤهم كبير وعظيم ، فالاستدراك انها هو لاجل  
طمأنينة قلوب المتقين والابرار والمجاهدين في سبيل الله تعالى فلا يوهن  
عزائمهم للجهاد بتمتع الكافرين في الارض ولا يشغلهم تنعم هؤلاء  
ورفاههم وتقلبهم في البلاد ولا ينبغي ان يكون سبباً لوهن عزائمهم  
ونشاطهم في سبيل الدين واعلاء كلمة الله تعالى فان مصيرهم اعظم  
واعلى من مصير الكافرين .

قوله تعالى : لهم جنات تجري من تحتها الانهار .

اي : ان مصيرهم الى نعيم لانهاية لبهجتها وسرور ساكنيتها  
وهي جنات تجري من تحتها الانهار وهذه الجنات تعددت لانهم قاسوا



٢٠٨ - مواهب الرحمن - ج ٧

اهوال الدنيا ومرارة العيش فيها ، وهي الجنات التي وعدها الله تعالى لاولي الالباب جزاء جهادهم وكفاحهم في الدنيا ، ويمكن ان تكون الجنات متعددة باعتبار حالات الافراد وشسدة تفانيهم في الله تعالى وضعفه فانهم متفاوتون في ذلك .

قوله تعالى : نزلاً من عند الله .

النزل - بضمين أو بتسكين الزاي - ما يهياً للنزول اول نزوله من المنزل والزاد والفرس والنزول هو الضيف قال الشاعر :  
نزول القوم اعظمهم حقوقاً وحق الله من حق النزول  
وخص بعضهم النزل بالزاد مطلقاً ويأتي مصدراً وجمعاً وهو منصوب على الحال وقيل انه منصوب على التفسير .  
وجعل الجنات نزلاً لهم فيه الكرامة العظمى للمتقين لاسيما اذا كانت من عته الله تعالى فان فيه الشرف العظيم لهم وفيه اشارة الى عدم تناهي ذلك النزل كمية وكيفية ومدة فانه من عند من لا تناهي له من كل جهة .

قوله تعالى : وما عند الله خير للابرار .

نعمة اخرى لانهاية لها . اي : ان ما عند الله تعالى خير للمتقين الابرار مما عند الكافرين من المتاع القليل أو خير مما كان المتقون فيه في الدنيا .

والنفن في النعم لبيان ان الاولى من النعم الجسدية كالجنات التي تجري من تحتها الانهار ، وهذه من النعم المعنوية كالقرب الى الله تعالى والحظوة لديه ولفائه عزوجل ورضوان الله اكبر وهذه النعمة لا يوازيها اية نعمة اخرى من نعم الجنة فهذه كرامة اخرى للابرار زائدة

عما كانت للمتقين .

قوله تعالى : وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما  
انزل اليكم وما انزل اليهم .

بيان لمشاركة بعض اهل الكتاب مع المؤمنين في الايمان بالله واجره  
العظيم ، وعدم اختصاص السعادة الاخروية بطائفة خاصة ولتشجيع  
اهل الكتاب الى الدخول في الايمان ومتابعة الحق .

وفي ذلك ايماء الى ان هؤلاء مع ما هم عليه من السعة قد اختاروا  
ثواب المؤمنين الابرار وآثروا ما عند الله تعالى على المتاع الدنيوي وان  
كان المؤمنون في ضيق فانه خير من سعتهم .

وقد وصف سبحانه وتعالى هذه الطائفة بخمس صفات هي الاصل  
في كل سعادة الاولى : الايمان بالله جل شأنه ايماناً صحيحاً داعياً الى  
العمل الصالح لا يشوبه شرك وفساد .

الثانية : الايمان بما انزل الى المسلمين وهو القرآن الكريم ، والايمان  
به يستلزم الايمان بمن انزل عليه وهو الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) .

وانما قال تعالى : اليكم ، باعتبار ابتداء الدعوة بهم وإلا فان  
القرآن الكريم منزل لكل البشر وهو المهيم على سائر الكتب الالهية  
يدعو الناس الى السعادة ودين الحق ولعله لذلك قدم الايمان بالقرآن  
على الايمان بما انزل اليهم وان كان الأخير مقدماً في الوجود وليبيان  
ان الايمان بما انزل اليهم لا فائدة فيه إذا لم يكن معه ايمان بما انزل  
الى المؤمنين .

الثالثة : الايمان بما انزل اليهم وهو ما اوحى الله تعالى الى انبيائهم  
من غير تحريف فانه يدعو الى الله تعالى وإلى ما انزل الى المؤمنين  
وهاتان الصفتان تدعوان اهل الكتاب الى عدم التفريق بين رسل الله

تعالى كما ذمهم الله تعالى به في ما تقدم من الآيات .

قوله تعالى : خاشعين لله .

وصف رابع وهو منصوب على الحال . والخشوع فوق الخضوع وهو نوع انكسار يعرض على القلب وعلى جوارح الانسان عند الطاعة لله تعالى وقد تقدم في قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين » البقرة - ٤٥ والخشوع انما هو اثر الخشية من الله تعالى والخوف منه وهذا من ثمرات الايمان الصحيح .

قوله تعالى : لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً .

وصف خامس وهو عدم كتمان الحق والاشتراء بآيات الله تعالى ثمناً قليلاً مما ذم الله تعالى به اهل الكتاب والكافرين في مواضع متعددة من القرآن الكريم قال تعالى : « اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون » التوبة - ٩ وقال تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً » المائدة - ٤٤ . وقد نفى عن هؤلاء هذه الخصلة وهي كتمان الحق والاشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً وهو يدل على صدقهم في الايمان وخلوصهم فيه .

قوله تعالى : اولئك لهم اجرهم عند ربهم .

اي : ان اولئك المتصفين بتلك الصفات الحميدة لهم اجرهم المعلوم وهو ثواب طاعتهم . وانما اضاف الاجر إلى الرب الذي رباهم بنعمه في الدنيا للتشريف وكمال العناية بهم

قوله تعالى : ان الله سريع الحساب .

اي : ان الله يحاسب العباد ويعلم ما لكل احد من الثواب والعقاب

فلا يعقل التأخير بالنسبة اليه عز وجل لاحاطته بجميع جزئيات اعمال عباده فيوفيههم اجورهم بلا امهال وتأخير .

### بحث دلالي

تدل الآيات الشريفة على امور :

الاول : يدل قوله تعالى : « لا يفرنك قلب الذين كفروا في البلاد » على ان ما عند الكافرين من الحظوظ الدنيوية مهما بلغت في العظمة في الكم والكيف لا تقابل ما للمؤمنين من الجزاء العظيم الذي أعد الله تعالى لهم في يوم الجزاء مضافاً إلى مصير الكافرين السيء الذي هو نتيجة اعمالهم وجهدهم في الدنيا وما كسبته أيديهم وان كان لتقلبهم دخل في نظم البلاد ولكنه حقير ضئيل خصوصاً إذا لوحظ بالنسبة إلى النظام الاحسن لو كان الانبياء والمؤمنون هم الذين يتصدون لنظم الدنيا قال تعالى : « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » الاعراف - ٩٦ .

الثاني : يدل قوله تعالى : « متاع قليل » على دناءة المتاع الذي يتمتعون به وقتته من جميع الجهات فهو قليل في المدة ، وقليل بالقياس إلى مؤوقة السعي والجهد الذي يبذلونه في سبيله ، وقليل بالنسبة إلى ما أعد الله تعالى للمؤمنين من الاجر العظيم والثواب الجزيل، كما دلت عليه الآية السابقة .

الثالث : يدل قوله تعالى : « لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات

تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نُزُلًا من عند الله وما عند الله خير للأبرار ، على ان المناط في كل خير ونفع هو التقوى ، وان الدنيا وما فيها انما هي وسيلة إلى النعمة العظيمة الابدية التي لا يمكن نيلها إلا بالتقوى ، فالآية الكريمة رد لمزاعم الكفار والمنافقين في انهم متمتعون والمؤمنون في خسران .

وانما ذكر عز وجل التقوى للدلالة على أن حرمان المؤمنين من بعض حظوظ الدنيا من سبل التقوى ، فلا يتوهم احد بأنه من موجبات شقائهم . وذكر المتقين بعد الكافرين من احسن وجوه البلاغة في بيان الصنفين المختلفين المتضادين .

الرابع : يدل قوله تعالى : « وما عند الله خير للأبرار » على ان للأبرار منزلة عظيمة فوق منزلة سائر المؤمنين المتقين وانهم طائفة خاصة من الذين اتقوا ولهم شأن عظيم عند الله تعالى وقد شرفهم الله تعالى بأن حباهم ما هو اكثر وادوم ، واعظم ، واوصلهم الى مقام القرب الذي لا يوازيه شيء من نعم الجنة قال تعالى : « ان كتاب الأبرار لفي عليين وما أدريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الأبرار ا لفي نعم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم » المطففين - ٢٤ .

الخامس : يدل قوله تعالى : « وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم » على ان الوحدة الجامعة لجميع الأديان الالهية هي الايمان بالله تعالى وما انزل الى المؤمنين وما انزل اليهم ما لم تمسه يد التحريف والتزوير ، والخشوع لله تعالى وعدم كتمان الحق فن كان من اهل الكتاب متصفاً بهذه الصفات الحميدة كان له الاجر العظيم المحفوظ عند ربهم الذي يرعى شؤونهم ومصالحهم ، ومن تخلف كان

الله سريع الحساب فهو الذي يعلم الاسرار وممن هو مطيع خاشع له تعالى وغيره ، ويعلم خصوصيات الثواب والعقاب .

### بحث روائي

روى الواقدي في أسباب النزول في قوله تعالى : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » انهم كانوا في رجاء ولين من العيش وكانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين : ان اعداء الله تعالى في ما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت هذه الآية .

اقول : روي غير ذلك في شأن نزول الآية الشريفة وعلى فرض اعتبارها تكون من باب التطبيق لا التخصيص .

وفي الدر المنثور عن ابن عباس في قوله تعالى : « وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب » ان الآية « نزلت في النجاشي ونفر من اصحابه لما مات هو فصلى عليه رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وهو في المدينة فظعن فيه بعض المنافقين انه يصلي على من ليس في دينه فانزل الله تعالى : « وان من اهل الكتاب الآية - » .

وقيل انها نزلت في اربعين رجلاً من اهل نجران من بني الحارث ابن كعب إثنين وثلاثين من ارض الحبشة وثمانية من الروم كانوا جميعاً على دين عيسى ( عليه السلام ) فامنوا بالنبى ( صلى الله عليه وآله ) .

اقول : انها على فرض اعتبارها من باب التطبيق أيضاً .  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا  
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

الآية الشريفة خاتمة لجميع الوصايا والكلمات والحقايق التي تضمنتها هذه السورة وهي تدعو الى المحافظة عليها ومراعاتها وهي مع إنجازها تشمل على اهم الوصايا والكلمات الانسانية وهي الصبر والمصابرة والمرابطة في سبيل الله تعالى في إقامة جميع احكام الله تعالى والتقوى فان ذلك يعد الانسان اعداداً علمياً وعملياً لنيل الفلاح والسعادة في الدارين . وهذه الآية المباركة خلاصة ماورد في هذه السورة العظيمة تبين السر في النجاح والفلاح فهي اعظم آية وردت ابيان نظامي التكوين والتشريع . وقد بدأت هذه السورة بالتوحيد وذكر فيها آية الاصطفاء وختم سبحانه وتعالى السورة بهذه الآية المباركة للاعلام بأن الاصطفاء لا يتحقق الا بالصبر والمصابرة والمرابطة وان المرابطة لا يمكن الا بالتوحيد الخالص .

### التفسير

قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا اصبروا .

أمر بأهم ما يعتمد عليه المؤمن عند طاعته لربه وإرشاد الى اهم الامس في نجاح الانسان في كفاحه وعيشه في حياته وبيان الحقيقة من الحقايق الواقعية من ان كل فلاح وسعادة سواء في الدنيا ام في الآخرة إنما تعتمد على الصبر والمصابرة .

ثم إن الصبر فضيلة سامية ، ونخلة حميدة ، وخلق كريم ، بل هو أم الفضائل ولا يستقيم سائرهما الا به ، فله منزلة عالية ومقام رفيع بينها ، وقدم في قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة » البقرة - ٤٥ ما يتعلق به فراجع .

وانما اطلق سبحانه الامر ليشمل جميع أقسام الصبر وهي الصبر على الشدائد ، والصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن المعصية ، وليبان ان موضوع الصبر يرجع تحديده الى المؤمنين فالصبر انما يكون على ما يحمد عليه الصبر وفي ما يحمد مطلقا ، والامر بالصبر لأجل ان جميع ما ورد في هذه السورة من الحقائق والكلمات والدروس والعبر لا يمكن تحصيلها الا بالصبر ولذا قدمه عز وجل في الآية الشريفة على غيره .

### قوله تعالى : وصابروا .

المصابرة من باب المفاعلة وهي المغالبة في الصبر ، ويلزم ذلك مقابلة الصبر بالصبر وتضاعف تأثيره وتقوى الحال به . وانما يظهر هدم الخصلة الحميدة في الجماعة في حال الاجتماع والتعاون .  
والمستفاد من الآية الشريفة أن الاول كان بلحاظ حال الانفراد ، والثاني انما هو بلحاظ حال الجمع والاجتماع ، والامر بالمصابرة لأجل وقوف الجماعة امام المشاكل الاجتماعية والتعاون في حلها وتحمل الاذى في اعلاء كلمة الحق واقامة احكام الله تعالى . والمصابرة في ميدان القتال مقابلة الاعداء الذين يريدون اطفاء نور الله تعالى وخذلان الحق والغلبة على المؤمنين .



قوله تعالى : وربطوا .

المرابطة الملازمة والثبات والمواظبة اي : واطبوا على تكميل انفسكم  
بالكمالات الواقعية ، واثبتوا في تنفيذ احكام الله تعالى ، ولازموا الحق  
في جميع حالاتكم في الشدة والرخاء .

وهذه الخصلة الحميدة تبين كيفية استمرار السعادة وثبوتها بعهد  
اصل ثبوتها فانها لا تحصل إلا بالمرابطة . والامر ايضاً مطلق ليشمل  
جميع انحاء المrabطة ومنها المrabطة في سبيل الله تعالى في ثغور الاسلام  
ومباراة الاعداء والرصد للغزو .

قوله تعالى : واتقوا الله .

اشارة الى ان كل ذلك إنما تحصل بالتقوى المنبث على جميع ذلك  
بحسب الحالات والظروف والخصوصيات ، فالتقوى قوام الصبر  
والمصابرة والمrabطة وان السعادة الحقيقية لا تحصل الا بها .

قوله تعالى : لعلكم تفلحون .

اي ان جميع ذلك من اسباب الفلاح بل لا فلاح إلا بذلك .  
وانا ذكر « لعل » بداعي الترغيب الى ذلك بحسب أذهان المخاطبين.

### بحث روائي

في الكافي عن أبي عبد الله ( عليه السلام ) في قول الله عز وجل  
« اصبروا وصابروا وربطوا » قال ( عليه السلام ) : « اصبروا على

الفرائض وصابروا على المصائب وربطوا على الائمة .

اقول: الروايات في هذا المضمون كثيرة من الفريقين، وقد ذكرنا معنى المرابطة وهي الالتزام بما يشرحون به كتاب الله تعالى مطلقا .

وفي الغنية عن أبي جعفر ( عليه السلام ) في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا » قال : « اصبروا على اداء الفرائض وصابروا عدوكم وربطوا امامكم المنتظر » .

اقول : هذا من أحد المصادين لمعنى المرابطة والا فكل من دعا الى الحق في الحق لا بد من المرابطة معه في اي زمان كان .

وفي المعاني عن الصادق ( عليه السلام ) في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا » قال ( ع ) : « اصبروا على

المصائب ، وصابروهم على الفتنة ، وربطوا على من تقتدون به » .

اقول : المراد من المصابرة على الفتنة التقيية مع الاعداء واجتناب مضلات الفتن .

وفي تفسير القمي عن الرضا ( عليه السلام ) : « إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الصابرون ؟ فيقوم فثام - جماعة - من الناس

ثم ينادي أين المتصبرون فيقوم فثام من الناس . قلت : جعلت فداك وما الصابرون ؟ قال ( ع ) : على اداء الفرائض والمتصبرون على اجتناب المحارم » .

اقول : هذا الحديث قرينة على أن المراد من الفتنة في الحديث السابق المحارم وكل ما يسخط الله تعالى .

وفي المجمع عن علي ( عليه السلام ) : « ربطوا الصلوات اي انتظروها لان المرابطة لم تكن حينئذ » .

اقول : الحديث يفسر المعنى الاعم من المرابطة الخاصة .

وفي الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن حبان عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويكفر به الذنوب قلنا بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء مع المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط .

اقول : الحديث كسابقه بين المعنى العام للمرابطة .

### بحث قرآني

المرابطة : من اهم الموضوعات في الاسلام وهي تؤمن بقاء الشريعة والحفاظ عليها بعد حدوثها ، وتحدد المسؤولية الاجتماعية والفردية اتجاه الحق واحكام الله تعالى ، ولا بد من بيان معنى المرابطة في الاسلام وحدودها وآثارها في المجتمع الاسلامي اجمالاً .

#### معنى المرابطة :

المرابطة الأمور بها في الكتاب والسنة: هي الالتزام العملي بالحفاظ على الشريعة ودوام العمل بها وتحديد مسؤولية كل فرد بالنسبة إلى الاجتماع وهي التي تقوي الروابط بين الفرد والمجتمع وتوجب اشتراك كل واحد منهما في الهدف وسائر الشؤون والخصوصيات ، ولذا نرى ان الاسلام يهتم بالمجتمع كاهتمامه بالفرد فهما في نظره على حد سواء

سورة آل عمران ٢٠٠ ..... ٢١٩-

من الالهية . ويعتبر احدهما مكلاً للآخر فلا يمكن استغناء احدهما عن الآخر وان كليهما ينشدان الكمال المشترك بينهما وهي السعادة الحقيقية والقرب الى الله تعالى والحظوة لديه ، والمرابطة من اهم الاسباب التي تؤمن هذه السعادة والفرص ، فهي روح المجتمع الاسلامي وبدونها يتبعد الفرد والاجتماع عن الصراط المستقيم ..

### اهمية المرابطة :

المرابطة معناها العام من الامور النظامية الاجتماعية بسين افراد الانسان وبدونها يختل النظام ولا يمكن تحصيل السعادة والفلاح وهي المراد من قول قدماء الفلاسفة : ان الانسان مدني بالطبع بحسب التعاون والتعاقد ويسعى الى الكمال ، فهي المدينة الفاضلة - كما عبر بها بعض الفلاسفة - التي اهم بها الانسان من بدء الخليقة وقد دعت الكتب السماوية والشرايع الالهية الى المرابطة واهتمت بها من جهات شتى وبينت جميع خصوصياتها ، وقد تكفلت الشريعة المقدسة الاسلامية شرح المرابطة وبيان مقوماتها وخصوصياتها المطلوبة وان القرآن الكريم والسنة الشريفة مشحونان بذلك .

### متعلق المرابطة :

ذكرنا ان المرابطة من اهم الواجبات النظامية بل لا يتحقق النظام إلا بالمرابطة ولا يظهر اثرها إلا في المجتمع فهي من اهم الامور

التكوينية في الاجتماع فلا اجتماع إلا بالمرابطة، ولا مرابطة إلا فيه فهما متلازمان  
حدوثاً وبقاءً وارتفاعاً ، وقد تقدم ان الاسلام يهتم بالمجتمع ، كما  
يهتم بالفرد ويعتبر احدهما مكملًا للآخر ، ويدل على ذلك القرآن  
الكريم والسنة المقدسة، وشواهد من الادلة العقلية قال تعالى: «واعتصموا  
بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم اعداءً  
فالتف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من  
النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» آل عمران  
- ١٠٣ ، وقال تعالى : « إنا المؤمنون إخوة فاصلحوا بين اخويكم»  
الحجرات - ١٠ إلى غير ذلك من الآيات التي تأمر ببناء المجتمع الاسلامي  
على الاتحاد والتعاون والتكافل وتأمراً بالاهتمام باتيان الاحكام الالهية  
ومراعاة الشريعة فان في ذلك الصلاح والفلاح ، قال تعالى : « ولو  
أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض  
ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » الاعراف - ٩٦ وهو يدل  
على ان سعادة العيش انما تكون بالاجتماع دون الانفراد .

### ما فيه المرابطة :

المرابطة انما تكون في ما فيه الخير والصلاح للأمة والافراد وما  
يجلب السعادة لهما فتشمل المرابطة جميع جوانب الحياة وما يتعلق بالدنيا  
والآخرة ، فتكون المرابطة في ما يتعلق بالفرد مع خالقه فتشمل العبادات  
كالصلاة والصيام وغيرهما كما تشمل المعاملات بين الافراد والعلاقات  
الفردية واحكام الزواج وغير ذلك فان جميع ذلك انما انزلها الله تعالى

لصالح الانسان وهدايته إلى الكمال الذي اعده الله تعالى له .

### منهج المراقبة :

بعدما عرفت ان المراقبة انما تكون في الاحكام الالهية والمعارف الربوبية والشريعة المقدسة فلا بد وأن يكون منهج المراقبة مستنداً إلى وحى مبين يتعلق بما فيه سعادة الناس ونجاحهم في الدنيا والآخرة ويعلم جميع جهات الصلاح فيأمر بها وجميع جوانب الفساد فينهاها عنها والا فمع التخلف يكون خطأً محضاً بل فيه الاثم والعصيان من كل جهة لفرض ان الموضوع امر اجتماعي ولا تثمر المراقبة في غير ذلك الثمرة المطلوبة منها .

ومن ذلك يعلم ان مأخذ المراقبة لا بد ان يكون الثقل الاكبر اي كتاب الله تعالى والثقل الاصغر اي العترة الشارحة للكتاب وإلى ذلك يشير الحديث المعروف بين المسلمين « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » - وان من يقوم به المراقبة انما هو الله تعالى المطلع على الغيب والعالم بجميع الجزئيات ولا يمكن ان يكون نفس المجتمع كل فرد بحسب شخصه وذاته، أو نفس المجتمع لا بحسب الافراد بل فرداً معيناً باعتباره وكيلاً عن جميع الافراد ، لان بطلان الأخير واضح لفرض عدم إحاطة ذلك الفرد بجميع الامور ، ولا الافراد الذين يوكلونه في ذلك. وأما بطلان الاول فلاختلاف آراء الافراد ، كما هو معلوم ، فتكون المراقبة أقرب إلى الفساد منه إلى الصلاح .

وما عن بعض المفسرين من أن الخطابات القرآنية موجهة إلى الافراد فيكون ذلك حقاً لهم . مردود لان تعلق الخطاب بالجماعة انما هو لاجل ان القوانين المجمولة خطابات موجهة إلى الجماعة في مرحلة الجعل والتشريع ، فما ذكره مغالطة بين إنشاء القانون وبين من يتصدى للجعل نفس القانون ولا ربط لأحدهما بالآخر . نعم في القوانين الجملية القابلة للحل والنقض والابرام يمكن ان يتجه ما ذكره كما نشاهد ذلك في القوانين الوضعية حيث تجتمع أفراد المجتمع على انتخاب أفراد معينين أو تجتمع الرعية على نصب فرد رئيساً لهم وفي كلتا صورتين يحق لكل واحد منهما جعل القوانين ، ولكن ذلك خارج عن بحثنا فان كلامنا في القوانين الالهية والمرابطة فيها .

إن قلت : ان اجتماع الامة على جعل الرئيس واعطاء الصلاحية له في جعل القوانين يكون بشروط خاصة ، فاذا تخلف أحدها ينزل بنفسه بلا احتياج إلى عزل ، كما هو المشهور بين الفقهاء من انه اذا اختلف عدالة الحاكم الشرعي ينزل بنفسه .

قلت : اطلاق قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امرأ ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » الاحزاب - ٣٦ وكذا قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » القصص - ٦٨ ينفي ذلك وهو يدل على ان نصب الحاكم انما يكون منحصراً في النصب الالهي ، ويسدل على ذلك ما ذكره الفقهاء في الحاكم الشرعي المنصوب من قبل الشرع مثل قولهم (عليهم السلام) : « فاني جعلته حاكماً ، فلو فقد بعض الشروط منه يزول

الموضوع فيزول الحكم لأحالة وأما في غيره فمقتضى الأصل عدم  
حجية قوله وفعله وآرائه وتفصيل الكلام يطلب من موضعه راجع  
(مهذب الأحكام) كتاب القضاء هذا موجز ما اردنا ذكره في المرابطة.



## (٤) سورة النساء

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ  
 نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
 رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ  
 بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)

هذه السورة من جلائل السور التي تضمنت الاحكام الالهية التي  
 نزلت لصالح الناس وجاب سعادتهم في الدنيا والآخرة فقد اشتملت  
 على معظم احكام الاحوال الشخصية والاحكام الاجتماعية الجارية على  
 حقيقة العدل وناموس الفطرة ومراعاة الحقوق كالزواج وعلاقات  
 افراد الاسرة ، وامور اليتامى واحكام الموارث ، وجملة من احكام  
 المعاملات كالتجارة ونحوها ، وتعرضت لبعض العبادات كالصلاة  
 والجهاد وغيرها وحثت على التضامن والتكافل والترحام ، كما ذكر  
 فيها بعض الامور العامة كالشهادات واحوال اهل الكتاب. ولما كانت الغاية  
 القصوى من تلك الاحكام هي حصول ملكة التقوى في كل نفس  
 واستقامتها في الخفاء والظاهر وهي اساس كل كمال انساني ولا يمكن  
 تحصيل السعادة بدونها فلأجل ذلك كله امر الله تعالى بها وقدمها على  
 سائر الامور وابتدأ بها في هذه السورة كما اختتم بها في السورة السابقة.

ثم ان الحكمة الربانية اقتضت ترويض النفوس التي اعتادت الباطل واستحكم فيها الجور والتعسف على قبول تلك الاحكام الالهية واجرائها على الحقيقة ، فقد اقترنت تلك الآيات بالتذكير والوعظة والارشاد الى جلال الله وعظمته وقدرته وعلمه واطلاعه على خفايا الامور ومراقبته لاعمال الناس .

واسلوب هذه السورة ومضامينها تشهدان على انها مدنية نزلت نجوماً حسب مقتضيات الظروف والحاجة وتحتوي على موضوعات متعددة كما عرفت تجمعها رابطة واحدة وهي تهذيب النفس ، والتخلق باخلاق الله تعالى ، وتثبيت العقيدة وتطبيقها في العمل ومعرفة امور الدين واحكامه .

وابتدأت هذه السورة بخلق الانسان والاعلان بانه خلق من نفس واحدة تحريضاً للتعاون والايثار ونبذ الاختلاف وتوطئة لما سيذكره عزوجل من الاحكام كالزواج واحوال اليتامى والموارث وعلاقات الاسرة والمجتمع وأكد سبحانه على ملازمة التقوى لانها روح تلك الاحكام والغاية منها .

### التفسير

قوله تعالى : يا ايها الناس .

الآية الشريفة باسلوبها الجذاب تحتوي على رموز وبدائع أهلتها ان تكون مفتتح هذه السورة .

منها : الاقتران بين العلة المادية والغائية وتقديم الأخيرة على الأولى

في الذكر لأهميتها وهي التقوى لان خلق الانسان وانزال الكتب والاحكام الالهية لم تكونا إلا لها ولأجلها ، ولأنها هي الاساس الذي يجب ان يقوم عليه كل علاقة سواء بين افراد الاسرة أو بين الزوجين أو بين جميع افراد المجتمع . ثم ذكر تعالى العلة المادية وهي خلق الانسان من نفس واحدة ، فانها صارت لجمع افراد الانسان ودخولهم في نفس واحدة فكانهم بجميع اشتاتهم اعضاء نفس واحدة تتحكم فيهم روابط قوية متكاملة .

ومنها : انها تشير إلى الموضوع الرئيسي في هذه السورة وهو العلاقة الزوجية وعلاقات الاسرة والمجتمع ، فكانت توطئة لجميع تلك الاحكام التي وردت في هذه السورة فقد ذكر فيها النفس الواحدة التي وردت في هذه السورة فقد ذكر فيها النفس الواحدة التي خلقت منها زوجها . وذكر الرجال والنساء والاطفال ، وأخيراً الارحام التي تنشأ من التزاوج بين الرجال والنساء .

ومنها : الاشارة إلى اصل الانسان والامس الثابتة التي يرتكز عليها عيشه في هذه الحياة وانه لا يخرج عن ذلك الاصل القويم مهما طال الزمن وتغيرت الحياة وبذلك تبطل نظرية التطور التي لا تجعل للحياة اساساً وقواعد ثابتة فهي تسير في اتجاهات متعددة لا يتحكم فيها ضوابط خاصة بل يحكم عليها التغير والتطور وسيأتي في البحث العلمي ما يتعلق بذلك ان شاء الله تعالى .

ومنها : الدلالة على ان للانسان رباً يحوطه بالتربية والعناية ، وان من رحمته بهم ان هداهم إلى ما هو الاصلح لهم الذي فيه كمالهم وارشدهم إلى ما يجلب سعادتهم في الدارين .

والخطاب بـ ( يا ايها الناس ) عام إلى كل فرد من افراد البشر

وليس للمؤمنين وحدهم كما ذكره بعض المفسرين وذلك لان الخطابات الواقعية لا تختص بطائفة خاصة ، وإذا ورد خطاب يتعلق بالمؤمنين خاصة فلاجل انهم اشرف الافراد ، كما ان دين الاسلام دين الانسانية وان الرسول ( صلى الله عليه وآله ) داع الهي مرسل إلى نوع الانسان بلا استثناء ، وللإشارة إلى ان القضايا التي وردت في هذه السورة هي قضايا فطرية تشمل جميع افراد البشر ، ونزلت لسعادتهم فلا تخص مجتمعاً معيناً ، وان الخروج عنها خروج عن الصراط السوي والنهج المستقيم .  
والناس : اسم لجنس البشر وهو اسم جمع للانسان يشمل الذكور والاناث على حد سواء وقيل ان اصله ( أناس ) فحذفت الهمزة عند دخول الالف واللام عليه ، وهو يفيد العموم وهذه قرينة اخرى على تعميم الخطاب .

والمعروف ان خطاب « يا ايها الناس » لاهل مكة وقد ورد في السور المكية ، وخطاب « يا ايها الذين آمنوا » لاهل المدينة كما ورد في السور المدنية . ولكن ذكرنا في احد مباحثنا السابقة ان ذلك مردود لان الخطابات القرآنية خطابات واقعية تشمل جميع افراد الناس ، وخطاب المؤمنين انما هو باعتبار انهم اشرف الافراد ، مضافاً إلى انه قد ورد كثيراً خطاب « يا ايها الناس » في السور المدنية منها المقام كما ورد الخطاب الثاني في السور المكية .

قوله تعالى : اتقوا ربكم .

امر بتحصيل ملكة التقوى التي هي القضية الاولى في القرآن الكريم والاصل الثابت الذي لا يقبل التغيير والتبديل وقد حكم بها عزوجل على جميع افراد البشر من لدن آدم ( عليه السلام ) إلى انقراض العالم

مواهب الرحمن - ج ٦

وقد تقدم الكلام في معنى التقوى مكرراً .  
وانما خص عزوجل اسم الرب بالذكر لتذكيرهم باذنه خالقهم  
ويدير امورهم ويرعى مصالحهم ، فلا بد ان يتقوه .

قوله تعالى : الذي خلقكم من نفس واحدة .

هذه الآية الشريفة على ايجازها البليغ تتضمن وجوهاً من الحكيم  
التي لها دخل في تشريع الاحكام وما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة .  
الاول : الآية الشريفة تدل على ان للانسان خالقاً قديراً عليماً  
حكيماً ، فان الخلق يقتضي ذلك كله فهو الذي خلقهم ويرعى مصالحهم  
ويرشدهم إلى الكمال فلم يكن خلق الانسان وليد الصدفة من غير سبق  
تقدير ، أو يكون خلقه ناشئاً من التفاعل في الطبيعة كما يقول به  
بعض الفلاسفة الطبيعيين حيث ذكروا ان الطبيعة تخلق كل شيء ولا  
حد لقدرتها . وبطلان ذلك اوضح من ان يخفى فان الطبيعة للعمياء  
التي لا عقل لها ولا فكر كيف يمكنها ان يخلق هذا المخلوق العجيب  
وهو الانسان المفكر العاقل الدارك ، وقد أكد سبحانه وتعالى في  
مواضع متعددة من القرآن الكريم ان خالق الانسان هو الله تعالى وبين  
كيفية خلقه ونفى جميع الاحتمالات عنه قال تعالى : « ام خَلِقُوا من  
غير شيء ام هم الخالقون » الطور - ٣٥ .

ويستفاد من قواه تعالى : « الذي خلقكم » اذنه تعالى هو الذي  
خلقهم والخلق يقتضي الحياة والقدرة والعلم كما تضمن الرب الحكمة  
والقيومية والرحمة فكان الخالق مستجمعاً لجميع صفات الكمال .

الثاني : ان الآية المباركة تسدل على ان الانسان خلق من نفس  
واحدة ؛ وهي المادة الاولى لجميع افراد الناس وهذه قضية ثابتة انفقت

عليها جميع الاديان السماوية واثبتت بالادلة القطعية فيكون للانسان اصل واحد وهو الحقيقة الانسانية يتحد فيها جميع الافراد وكل السلالات والاقوام والمجتمعات بلا تفاوت بينها فهم كأعضاء نفس واحدة متفقون في الفطرة ، ومشركون في القيم والسير التكاملية ، وبذلك بنفي نظرية التطور التي نادى بها بعض الفلاسفة الطبيعيين ، فالانسان نسيج وحده وهو اصل منفرد قد خلقه الله تعالى ابتداءً ومباشرة بنفسه الاقدس ويبيّن عزوجل كيفية خلقه في عدة مواضع من القرآن الكريم قال تعالى: « وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » السجدة - ٨ وقال تعالى : « اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين » ص - ٧١ ويأتي في البحث العلمي تفصيل ذلك .

والآية الشريفة قد جعل فيها الامر التكويني محور التشريعات السماوية وان جميع الاحكام الالهية تدور على هذا الاصل وهو الاتفاق في اصل الحقيقة وان البشر لهم وحدة نوعية منبثقة من نفس واحدة يستوي فيها الرجل والمرأة الصغير والكبير والضعيف والقوي وغيرها ولاجل ذلك كان الخطاب موجهاً لجميع الناس دون المؤمنين خاصة .

الثالث : الآية المباركة تتضمن العلة التي اوجبت الامر بالتقوى وانزال الاحكام الالهية وهي تهذيب الناس وتكميلهم اي ان الذي خلق الانسان ورباه وانعم عليه بانواع النعم الظاهرية والباطنية ، وتكفل امره بالتربية والتكامل لجدير بأن يتقى ويطاع ولا يخالف له امر .

ومن ذلك يظهر السر في تعليق التقوى بربهم دون غيره من اسمائه المقدسة فان هذا الوصف يعم جميع الناس من غير اختصاص بطائفة خاصة . ثم ان المراد بالنفس هي تلك الحقيقة التي يمتاز بها الانسان عن غيره وما به يكون الانسان انساناً وهو الذي تعلق به الخلق كما ان

مواهب الرحمن - ج ٧

المراد بالوحدة الوحدة الفردية الشخصية وهي آدم (عليه السلام) أبو البشر الذي ورد اسمه وكيفية خلقه في القرآن الكريم مكرراً ، لا الوحدة النوعية كما ذكرها بعض المفسرين لكونها خلاف ظواهر الآيات الكريمة والسنة المقدسة الشارحة لها ، وحينئذ لا بد ان يراد بالخلق في قوله تعالى : « وخلق منها زوجها » الخلق التقديري لا الفعلي من كل جهة لفرض كون الخلق قبل خلق الروح ، فيصير المعنى انكم تنتهون إلى نفس واحدة كانتها الصور الكثيرة إلى المادة الأولية والهيولى الاولى . وفي ذلك الامتنان والتذكير بالقدرة ، ونوع استعطاف للناس بعضهم على بعض بما بينهم من النسب والرحم ، ووجوب قيام العلاقات بينهم .

وانما لم يقل تبارك وتعالى من أب واحد لفرض عدم تحقق الابوة بعد مضافاً إلى ان الآية المباركة في مقام بيان اتحاد افراد الانسان في الحقيقة وانهم تشعبوا من اصل واحد ، وهناك اقوال اخرى في تفسير هذه الآية الشريفة بعيدة عن الصواب ، بل بعضها لا يليق بكرامة القرآن الكريم ولذلك اعرضنا عنها .

قوله تعالى : وخلق منها زوجها .

الزوج اسم لكل واحد من القرينين سواء كانا من الحيوانات المتزاوجة ، أو ما يقترن بآخر مماثلاً أو مضاداً . والمراد بها هنا .

اي : وخلق من تلك النفس الواحدة زوجها وهي منشأها فتفيدانها من نوع تلك النفس الواحدة وجنسها وان الزوجين مماثلان في اصل الانسانية وقيمها ومتحدان في العبودية لله تعالى وجميع الاحكام إلا ما يختص طبع كل جنس ببعض الحقوق والواجبات .

ونظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى : وخلقكم من نفس واحدة

ثم جعل منها زوجها ، الزمر - ٦ وعلى هذا لا فرق بين ان يكون ( من ) نشوية أو تبيضية فان كل واحدة منها ترجع إلى الأخرى .  
ثم إن خلق الزوج من النفس الواحدة يحتمل وجوهاً : الاول ان يكون خلق الزوج بعد تمامية خلق آدم ( عليه السلام ) وتعلق الروح به بأن يكون قد انفصل جزء من الحي فصار إنساناً آخر .

الثاني : ان يكون الخلق بمعنى التقدير بأن يكون المعنى : خلق من نوعها وعلى طبعها زوجها ولو بعد حين فلا يكون انفصلاً .  
الثالث : انها خلقت من الطينة الزائدة التي خلق منها آدم ( عليه السلام ) قبل تعلق الروح بها فيكون آدم ( عليه السلام ) وحواء موجودين مختلفين ولكنها متحدان في اصل الطينة .

والاولان لا وجه لهما كما يأتي فيتعين الأخير ، ويشهد لذلك امور :  
منها : تكرار كلمة الخلق في الآية المباركة « وخلق منها زوجها » وهو يدل على تفاوت الخلقين .

ومنها . التراخي في قوله تعالى في سورة الزمر : « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » - ٦ .

ومنها : الاحاديث الكثيرة المعتمدة التي تنص على ان حواء ( عليها السلام ) خلقت من فاضل طينة آدم ( عليه السلام ) واما ما نقل من ان حواء خلقت من الضلع الايسر من آدم ( عليه السلام ) فهو مما لا دليل له يصح الاعتماد عليه اللهم إلا ان يراد من ذلك ان الطينة الفاضلة من خلق آدم ( عليه السلام ) لو جعلت في بدن آدم ( عليه السلام ) لكان موضعها الضلع الايسر .

ومما ذكرنا يظهر ان هذه الآية الكريمة لا ربط لها بالآيات الكثيرة التي تدل على كون الزوج من انفسكم لأنارة المودة والمحبة قال تعالى :



مواعظ الرحمن - ج ٧

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » الروم - ٢١ وغيرها من الآيات الشريفة فان ذكر « انفسكم » فيها لبيان التماثل وإثارة المحبة والرافة نظير قوله تعالى : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم » آل عمران - ١٦٤ فيكون المراد من النفس السنخية النوعية لا الانفصال الحقيقي من النفس .

قوله تعالى : وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً .

البث هو النشر والتفرق بالإثارة والسعة قال تعالى : « والقي في الارض رواسب ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة » لقمان - ١٠ وقال تعالى في وصف الناس في يوم الحشر انهم « كالفراش المبثوث » القارعة - ٤ وقال تعالى حكاية عن يعقوب : « انا اشكوا بئني وحزني الى الله » يوسف - ٨٦ فان الحزن بنفسه مبثوث يظهره الانسان عند القادر على كشفه ورفعته .

وانما قدم الرجال على النساء لتقدمهم عليهن في الكتاب والسنة قال تعالى : « الرجال قوامون على النساء » النساء - ٣٤ بل في التكوين أيضاً لانهم الاصل في نشو الانسان وان كانت النساء هن الدخيل الكبير فيه . وتوصيف الرجال بالكثرة ليس من باب الخصوصية والاحتراز بل الوصف لهما ولكن حذف الوصف من النساء للدلالة الاول عليه . والمعنى : اتقوا ربكم الذي نشر النسل الانساني بكثرة من آدم وزوجته .

قوله تعالى : واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام .

امر آخر بالتقوى وفي تكرارها دلالة على الحث عليها . والمراد بالتساؤل سئوال الناس به بعضهم بعضاً - والإقسام - بالله تعالى في مهمات

الامور كما يقال : بالله اسألك ان تفعل كذا وكذا . وهذا يقتضي الاتقاء من مخالفة او امره ونواهيه لما في المسئول به من العظمة والجلال والكبرياء والعزة ما ليس في غيره حتى عند المشركين والكفار ولذا يقسم ويتساءل به .

وانما خص التساؤل به تعالى لعموم جريانه في المجتمع وان المسئول به كامل من جميع الجهات ومن هو كذلك يستحق التقوى عن مخالفة او امره ونواهيه .

والارحام جمع رحم وهو مستودع الجنين في المرأة ومحل نمو النطفة قال تعالى : « هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء » آل عمران - ٦ واطلق على من يمس الانسان بالقرابة لانتهائه ومآله الى رحم واحد وانها عطف على لفظ الجلالة .

والمعنى : اتقوا مخالفة او امر الله الذي له من العظمة والجلال والعزة على حد تتساءلون به واتقوا طبيعة الارحام وظلمها .

والآية المباركة تدل على عظمة صلة الرحم وحقها ورفع شأنها على حد قارن تقوى الارحام بتقوى نفسه فكما ان الله تعالى حقوقاً لا بد من مراعاتها كذلك للرحم حقوق لا بد من مراعاتها قال تعالى : « ان اشكر لي ولو اليك الى المصير » لقمان - ١٤ وقال تعالى : « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم » محمد - ٢٢ . وقيل ان الارحام معطوف على محل الضمير في قوله تعالى « به » فهي مجرور فيكون المعنى واتقوا الله الذي تتسائلون به وبالارحام كما كان شايعاً عند الناس بقولهم « بالله اسالك وبالرحم ان تفعل كذا وكذا » . ولكن سياق الآية الشريفة يأتى ذلك لانها في مقام رفع شأن صلة الارحام ومقارنتها بشأن نفسه تعالى مع ان ذلك مخالف للقواعد

المرعية في الادب لانه يقتضي عطف المظهر على المضمير المجرور وهو بغير اعادة الجار لا يجوز لانه بمنزلة الحرف ولا يجوز العطف عليه عند الاكثر . وعلى اي حال فالآية الكريمة تدل على عظمة مقام الرحم سواء كان معطوفاً على اسم الجلالة أو على الضمير وان كان المتعين هو الاول .

قوله تعالى : ان الله كان عليكم رقيباً .

الجملة في موضع التعليل للامر بالتقوى وهي تتضمن التهديد والتوعيد لمن تمرد وعصى وخالف .

والرقيب : هو المتفوق المطع على الاعمال والحركات عن كذب وعناية بخلاف الحارس .

والايتان بلفظ الجلالة بعد ذكر الرب في الآية الشريفة للدلالة على القدرة الكاملة والتحذير والتهديد عن المخالفة لانها توجب التفرق في الوحدة الاجتماعية الانسانية وبث الفساد فيها وهدم كيانها فالمخالفة عظيمة تستلزم غاية التحذير وكال التهديد .

والمعنى : اتقوا الله الذي تعظمونه وتهيبونه فانه القادر الذي لا يخفى عايه شيء ولا يفوته ويحاسبكم ويجازيكم في امر الارحام .

## بحوث المقام

بحث ادبي :

الناس : في قوله تعالى : يا ايها الناس اسم جمع للانسن كما مر وهو

يشمل كل بشر على الارض واللام فيه لام التعريف يفيد العموم والاستغراق.  
 والتكبير في قوله تعالى : « من نفس واحدة » لأجل تعظيم الامر  
 وتجميل مقام آدم أبي البشر (عليه السلام) والتقييد بلوحدة الاحتراز .  
 والزوج يطلق على كل واحد من القرينين كما تقدم وان قال الراغب  
 أن اطلاق الزوجة عليه ردي :

وكثيراً في قوله تعالى : « رجالاً كثيراً » صفة تؤكد لما يتضمنه  
 التكثير من العدد أو غيره في الموصوف وقيل انه نعت محذوف اي  
 بئاً كثيراً .

وتسائلون اصله تسائلون حذف احدي التائين للتخفيف وهذا مطرد  
 عند العرب وهو من باب التفاعل ويرد بمعنى الفعل إذا تعدد فاعله  
 وانه منسلخ عن التقوم بالطرفين لو اعتبرنا ذلك في باب المفاعلة مع  
 ان هذه الدعوى أيضاً لا دليل عليها كما تقدم في احد مباحثنا السابقة .  
 وخلق منها زوجها: إما عطف على محذوف اي خالقكم من نفس  
 واحدة انشأها من تراب وخلق منها زوجها وانا حذف للدلالة المعنى  
 عليه وإما عطف على المخلق وعلى اي منها يكون المعنى واحداً .  
 واتيان الفعل ماضياً في قوله تعالى « ان الله كان عليكم رقيباً »  
 للتأكيد والاستمرار الدائم في المراقبة .

### بحث دلالي

تدل الآية الشريفة على امور :

الاول : تعليل الامر بالتقوى بكونه تعالى خالقاً لهم يدل على

مطلوبة التقوى من جميع الناس لان العلة إذا كانت عامة فالحكم يكون كذلك لانه يدور مدارها .

الثاني : التعبير بالرب في قواه تعالى : « اتقوا ربكم » للدلالة على تربيته للعباد والاحسان اليهم وانه خالقهم ومالك امورهم والرفق بهم والمتفق عليهم ومن كان كذلك يجب الاتقاء منه كما تقدم ، فالامر الاول بالتقوى للترغيب كما يدل عليه لفظ الرب والامر الثاني بها للترهيب كما يدل عليه لفظ الجلالة .

الثالث : تقديم خلق الناس على خلق الزوجة للدلالة على اظهار القدرة والعظمة وانه تعالى هو المنظم للمخلوقة وتفخيماً لشأن ادم (ع) وانه الاصل في انحدار النسل منه .

الرابع : التقييد بالوحدة في قوله تعالى : « من نفس واحدة » للدلالة على امرين :

الاول : ان خلق جميع الذرية وبشها لا يكون عند الله تعالى الا كخلق نفس واحدة كما يدل عليه قوله تعالى : « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » لقمان - ٢٨ ، فيصح ان يراد من البث البث الذنوي والبث الاخروي وهو الحشر والمعاد فهما متلازمان .

الثاني : ان المراد بالوحدة هي الشخصية الفردية فيصير المقام من الكثرة في الوحدة التي اثبتها الفلاسفة بقسميهم وقوله تعالى : « وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً » من الوحدة في الكثرة التي اثبتها الفلاسفة بقسميهم ايضاً فيكون بث الوحدة في الكثرة وانظما الكثرة في الوحدة نظير اتحاد الهوى الاولى مع الصور الكثيرة غير المتناهية واتحاد الوجود المطلق في الافراد الشخصية الفردية ، فتدل الآية الشريفة على الوحدة الاعتبارية بل الحقيقية في ادم ( عليه السلام ) ونسله من اول هبوطه

إلى آخر فنائه ، فكما ان الجميع نوع واحد حتمية فهذا النوع الواحد له افراد يكون بمنزلة الاعضاء للبعض الآخر فلا بد بينهم من الترابط والعناية الخاصة في جميع شئون الآدمية الحقيقية .

الخامس : يستفاد من قوله تعالى : « وخلق منها زوجها » لطيفة خاصة وهي ان الزوجة بمنزلة الجزء من الزوج فيحن الجزء الى الكل ويتقوم السكل بالجزء فالكل بدون الجزء ناقص والجزء بدون الكل لاجثية له فما اعلى شأن الزوجة في نظام التكوين .

السادس : يصح ان يراد من الرجال والنساء في قوله تعالى : « رجالاً كثيراً ونساءً » ذرية خاصة من نسل آدم ( عليه السلام ) وهم - الذين ناسبوا مقام ابوة ادم ( عليه السلام ) الذي هو مسجود الاملاك - يعني الانبياء والذين تابعوهم من الصالحين والصالحات ويشهد لذلك ذكر التقوى في صدر الآية الشريفة ، فيكون المراد من البث البث الظاهري والمعنوي وهم كثيرون في انفسهم وان كانوا قليلين بالنسبة الى اصل الذرية وهم الذين حازوا مقام الانسانية الكبرى فصار من دونهم كالانعام .

السابع : الوجه في تكرار التقوى في الآية المباركة هو : ان التقوى الاولى لاجل انعامه بالخلق وبث الذرية والتقوى الثانية لاجل انه تعالى سبب التعاطف والتراحم بالتسائل بعض مع بعض .

الثامن : ان التسائل الوارد في الآية الكريمة « واتقوا الله الذي تسائلون به » اعم من تسائل بعض مع بعض كما تقدم والتسائل النفسي - اي ايقاظ الشعور الانساني الذي يسكن في كيان كل بشر فيهبج به لدواعي التطلع الى الله العلي القدير والمسائلة فيما بينه وبين نفسه في ذاته تعالى وصفاته - فهو موجود في الفطرة ويدل عليه قوله تعالى : « وانا كم

من كل ما سألتموه ، ابراهيم - ٣٤ .  
التاسع : تدل الآية الشريفة على ان تقوى الارحام من تقوى الله تعالى فيجب مراعاة حقوقها وان جميع البشر من ابوين وان بعضهم من بعض فهم كأسرة واحدة لا عنصرية ولا عصبية بينهم لانهم من نسل واحد ويرجعون إلى اب واحد وهذا هو منهج الاسلام والفطرة السليمة.

### بحث علمي

اتفقت الاديان السماوية ومحققوا الفلاسفة من المسلمين وغيرهم على ان الانسان بجوهره وصورته الفعلية خلقه الله تعالى وانه من صنع الفاعل العظيم المختار - وهو من اشرف الخليقة - وليس وليد التطور والنشوء وقد انتشر النسل البشري على هذه الكرة الارضية من آدم وحواء وهو الذي اتفقت عليه كلمة الانبياء وشرحه القرآن شرحاً وافياً .  
وليس وجوده وتكوّنه من مجرد الصدفة والاتفاق من دون فاعل ارادي مختار لما اثبتوه في الفلسفة ببراين كثيرة من بطلان الصدفة والاتفاق وتدل على البطلان الفطرة العقلية مع قطع النظر عن الكتب السماوية ومقتضيات نفس الطبيعة .  
واما انه وليد التطور والنشوء - فلا يكون منتسباً إلى الخلق بل ان صورته الفعلية حصلت من ابراد الانواع في الخارج بالتحول كاقْتضاء التكوين من بعض الحشرات السماوية ثم الارضية عند اقْتضاء اسبابها - كما نسب إلى بعض علماء الغرب بابتنائه على قانون الوراثة التي هي الاساس لهذه النظرية - وان كان قانون التنازع وبقاء الاصلح لهما المساس فيها الا ان الاصل والاساس هو قانون الوراثة - وهي : ان

الصفات التي حدثت في الحيوان من اثر البيئة أو الاجتماع أو أواسط المعيشة أو غيرها قبل الاف السنين صفات بسيطة كانت في الطبقة العليا ثم انتقلت إلى الطبقات اللاحقة لكنها اشتدت وتحورت على نحو تسببت نوعية خاصة في الحيوان وهي الانسان فهو وليد تلك الصفات بالتحول والنشو .

وهو باطل من اسامه لان الصفات وان كانت في هذا العالم موروثه الا انها لا تتمكن من انقلاب العرض إلى الجوهر ( نوع ) الا بتعدد العوامل - عالم الدنيا والاخرة كما مر في البحث عن تجسم الاعمال - لان الجواهر أو الانواع متباينة مسع الاعراض وان مواليد الطبيعة ومتكوناتها في هذا العالم لا بد ان تكون من سنخ نفس مقتضياتها ومثل هذا الخلق البديع والصنع العجيب كيف يعقل ان يكون من ملوثات ودنياتها التي لا علم لها ولا شعور .

مع ان انقلاب النوع إلى نوع آخر بعد تحصيل النوعية غير ممكن إلا بالاستحالة والادوار حتى يصلح للمنقلب اليه . وهناك وجوه اخرى تثبت بطلان هذه النظرية لعلنا نتعرض لها في الآيات المناسبة ان شاء الله تعالى .  
فالنظرية الواقعية الحقيقية هي ما تقدم من ان الانسان مخلوق وان البشرية انتشرت من نفس واحدة وهي آدم الذي هو من صنع الفاعل العليم القهار الغني بالذات .

### بحث قرآني

الخطابات الواردة في القرآن الكريم المتضمنة بـ « يا ايها الناس »



خطاب إلى الكثرة والجمع وهذه الكثرة والجمع لا يعقل لها حد ولا نهاية فتكون الخطاب عام لجميع البشر من زمان صدور الخطاب - بل من زمان الهبوط - إلى زمان الخلود فهي نوع لا حد لافراده وقد اثبتنا في علم الاصول ان الخطابات المشتملة على النداء لا يعتبر فيها وجود المنادى خارجاً بل يكفي فيها الوجود العلمي الاعتباري .

والمراد من النفس المتصف بالوحدة الواردة في الآية الشريفة هو آدم ( عليه السلام ) كما هو معلوم من الآيات التي وردت في كيفية خلق آدم ( عليه السلام ) وشرح حالاته فما عن بعض المفسرين من التشكيك في ذلك غير صحيح ولا ينبغي ان يعتني به .

ولاشك ان القرآن وغيره من الادلة تثبت ان النسل الاول من الانسان انحدر من آدم ( عليه السلام ) ولكن في تكثر الذريسة من بعدهما وفي اولادهما يتصور وجوه :

الاول : ان يكون التناسل والتكاثر من نكاح كل ولد ذكر مع امه .

الثاني : ان يكون ذلك بتزويج كل ذكر مع اخته .

الثالث : ان يكون ذلك بتزويج كل ذكر بروحاني منجسد . ولا

يتصور اكثر من ذلك .

والاول باطل بالضرورة للاستقباح الفطري عند كل ذي شعور حتى الحيوانات . وكذا الثاني لان نكاح الاخت من المحرمات النظامية التي لا يختص بشرعية دون اخرى كقبح السرقة وقبح شرب الخمر وغيرها مع ما كشفه العلم الحديث من ان نكاح المحارم يستعقب مفسد كثيرة في النسل فيكون قوله تعالى : « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم » النساء - ٢٣ قضية حقيقية تكوينية ابرزها الله تعالى على صورة التشريع كقوله تعالى : « لا تأكلوا اموالكم بينكم

بالباطل « النساء - ٢٤ وقوله تعالى : « مجرم عليهم الخبائث »  
 الاعراف - ١٥٧ فان جميع ذلك من القضايا التكوينية ابرزت بصورة  
 التشريع توافقاً بين النظامين .

واما ما نسب إلى المجوس من تزويج الاخ مع لاخت وغيرها من  
 المحارم فليس ذلك مستنداً إلى كتابهم السماوي وانما هو من افتعالانهم .  
 ان قيل : وضع الفقهاء مباحث في كتاب الميراث لارث المجوس  
 فلو كان مفتعلاً يصبر من الزنا ولا ارث لاولاد الزناء .

قلت : الافتعال الاول حصل بالجعل الاولي منهم وتبعه عوامهم  
 فيصبر كالوطى بالشبهة - جهلاً بالحكم - فيتحقق موضوع الميراث .  
 وما عن بعض المفسرين من ان قبج نكاح الاخ مع الاخت ليس  
 من الفطريات الاولية بل من القبائح العرضية التي تزول لغرض الالم  
 ولذا لم يكن قبيحاً لاجل بث النسل والذرية .

غير صحيح لأن قبج نكاح الاخ مع الاخت مسلم في الجملة  
 وهذا مما لا شك فيه كما تقدم ومع امكان رفع هذا القبج بأمر آخر  
 لا قبج فيه اصلاً كيف يتوسل بما هو قبج ولو في الجملة . مع انا  
 لا نسلم ان ذلك قبج عرضي وانما هو قبج ذاتي كما في بعض الروايات  
 الآتية كالنكاح مع الام واللواط وغيرها .

وبضح ان يقال ان التجسد الروحاني كان بمثابة الاخت في نظر  
 الاخ لتحقق التناسب حسب هذه الطبيعة قال تعالى في قصة مريم  
 العذراء : « فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » مريم - ١٧  
 وقال تعالى : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون »  
 الانعام - ٩ .

واما ما قيل انه يستفاد من الآية الشريفة : « وبث منها رجالاً »

كثيراً ونساءً ، انحصار البث فيها فلا بد من تزويج الاخ مع الاخت  
لاجل هذا الانحصار .

قلت : انه لا مفهوم للقب كما هو متفق عليه وقد اثبتناه في علم  
الاصول فراجع [ تهذيب الاصول ] .

فتلخص من جميع ما تقدم ان بدو انتشار النسل كان بطريق معقول  
مشروع من غير تدخل اي منقصة في ذلك وهو التجسد روحاني و مشروع  
النسل منه ومن ولد آدم ( عليه السلام ) ولا فرق في تجسد الروحاني  
بين ان يتجسد بالذكر للثاني كما في قصة مريم ( عليها السلام ) أو  
العكس كما في المقام وان كان فرق بينهما في الجملة ولكن في الاصل  
التجسد وتهديج القوة الفاعلة والمنفصلة لا فرق بينهما .

### بحث روائي

وفيه نذكر الروايات الواردة في خلق حواء ، وكيفية بث الذرية  
من نسل ادم وحواء ، وما وردت في شأن الارحام .  
في نهج البيان عن الشيباني : « سئل الصادق عن التقوى ؟ فقال  
هي طاعته فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر » .  
اقول : هذا بيان بعض مراتب التقوى .

### ما وردت في خلق حواء :

عن الصدوق باسناده عن أبي بصير عن الصادق ( عليه السلام )  
قال : « سميت حواء لانها خلقت من حي قال الله عز وجل وخلقكم

من نفس واحدة وخلق منها زوجها .

اقول: هذه الرواية لا تدل على تبعض انفصال عضو من آدم (ع) وصورته حواء به باذن الله تعالى لان المراد من الحي هو مادة لها إقتضاء الحياة لا الحياة الفعلية من كل جهة إذ لو كان الحياة من كل جهة لاستلزم ان تكون حواء اختنا وأما لانها متفرعة منه . وقد ذكرنا سابقاً ان « من » لبيان الجنس كما في قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم » التوبة - ١٢٨ لا للتبعض وعلى فرض ان يكون للتبعض هو التبعض في الجملة بحيث لا يكون بطريق التوليد .

عن الصدوق أيضاً باسناده عن الصادق ( عليه السلام ) قال :  
« سميت المرأة امرأة لانها خلقت من المرء » .  
اقول : المراد من المرء الشخص والكلام فيه عين الكلام في سابقه بل هو اهون كما لا يخفى .

وفي نهج البيان عن أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) : « انها خلقت من فضل طينة آدم عند دخول الجنة » .  
اقول : هذه الرواية شارحة لمعنى التبعض المستفاد من لفظ « من » ان قلنا انها تبعضية .

العياشي باسناده عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) قال : « خلقت حواء من قصير جنب ادم والقصير هو الضلع الاصغر وابدل الله مكانه لحماً » .

اقول : المراد من هذه الرواية طينة آدم ( عليه السلام ) قبل ان يجعل له ضلعاً لا بعد تحقق الضلعية ونفخ الروح والانفصال عن آدم ( عليه السلام ) بقربنة الرواية السابقة .

وعن العياشي أيضاً باسناده قال ( عليه السلام ) : « خلقت حواء من

جنب آدم وهو راقدا .

اقول : معنى الرواية خلقت من طينة ادم بحيث لو كانت موضوعة في آدم ( عليه السلام ) لكانت في جنبه وهو راقداي كان خلق حواء في حال رقود آدم ( عليه السلام ) .  
عن عمرو بن أبي المقدام عن ابيه قال : سألت أبا جعفر (ع) من اي شيء خلق الله حواء ؟ فقال اي شيء يقولون هذا الخلق ؟ قلت يقولون ان الله خلقها من ضلع من اضلاع آدم فقال كذبوا اكان الله يعجزه أن يخلق من غير ضلعه ؟ قلت جعلت فداك يا بن رسول الله من اي شيء خلقها ؟ فقال اخبرني أبي عن آبائه ( عليهم السلام ) قال قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) ان الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين فخلق منها آدم وفضلت فضلة من الطين فخلق منها حواء .

اقول : ذيل الرواية « كلتا يديه يمين » كناية عن القوة والفعالية والاستيلاء لان اليمين كناية عنها والبسيط الحقيقية بالوحدة الحقيقية تكون جميع جهاته الملحوظة كذلك فهو جل شأنه مستول وقوي وفعال لما يريد فلا يعقل بالنسبة اليه يسار إن كان اليسار كناية عن جهة النقص كما هو كذلك .

وهذه الرواية معتبرة وشارحة لجميع روايات الباب ومفصلة لها .

فلا بد من رد جميعها اليها وهي مطابق لقانون العقل الذي قلناه .

عن أبي علي الواسطي قال : قال أبو عبد الله ( عليه السلام ) ان الله خلق آدم من الماء والطين فهمة ابن آدم من الماء والطين وان الله خلق حواء من آدم فهمة النساء من الرجال فحصنوهن في البيوت .  
اقول : حيث كانت طينة حواء قبل ان يخلق منها مقتضية لأن

يجعل في آدم فهذه الاقتضاء باقية للمرأة إلى الأبد فهي تهم إلى ما اقتضته منها .

ما وردت في كيفية بث النسل منها :

عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) قال :  
 ان آدم ولد له اربعة ذكور فاصبط الله اليهم اربعا من الحور العين  
 فزوج كل واحد منهم فتوالدوا ثم ان الله رفعهن وزوج هؤلاء  
 الاربعة اربعا من الجن . قصار النسل فيهم فما كان من حلم فمن آدم  
 ( عليه السلام ) وما كان من جبال فمن قبل حور العين وما كان من  
 قبيح أو سوء خلق من الجن .

اقول هذه الرواية تبين ما شرحناه في كيفية بث النسل . ويستفاد  
 منها ان الانسان بجميع الوان و صفاته كالبيض والسود والحمرة والصفرة  
 والقصير والطويل أو الجميل والقبيح وغيرها ينتهي إلى آدم ( عليه السلام )  
 وزوجته ولا دخل للصفات والالوان في انحدر النسل منه وما ورد  
 في الرواية من قوله ( عليه السلام ) : « فما كان من حلم فمن آدم  
 ( عليه السلام ) وما كان من جبال فمن قبل حور العين وما كان من  
 قبيح أو سوء خلق من الجن » يمكن مثالا اكل نغير نوعي لونا كان  
 أو غيره من الصفات فلا مجال للتشكيك في ان بعض الالوان لا ينحدر  
 إلى آدم ( عليه السلام ) لانه كان من غير ذلك اللون .

وعن العياشي عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال  
 قال لي ما يقول الناس في تزويج آدم ولده ؟ قلت يقولون ان  
 حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية فتزوج الغلام الجارية

التي من البطن الآخر وتزوج الجارية الغلام الذي من البطن الآخر الثاني حتى توالدوا فقال أبو جعفر ( عليه السلام ) ليس هذا كذلك يحجكم المجوس ولكنه لما ولد آدم هبة الله وكبر سأل الله ان يزوجه فانزل الله له حوراء من الجنة فزوجها اياه فولدت له اربعة بنين ثم ولد لادم ( ع ) ابن آخر فلما كبر امره فتزوج الى الجان فولد له اربع بنات فتزوج بنو هذا بنات هذا ، فما كان من جمال فن حور العين وما كان من حلم فن قبل ادم وما كان من حقد فن قبل الجان فلما توالدوا صعدت الحوراء الى السماء .

اقول : هذه الرواية تبين بعض ما ذكرناه في التفسير ويمكن حمل الاختلاف على تعدد الواقعة .

عن الصدوق باسناده الى زرارة قال : سئل أبو عبدالله ( ع ) كيف بدأ النسل من ذرية آدم ؟ قال عندنا اناس يقولون ان الله تبارك وتعالى اوحى الى ادم ( عليه السلام ) ان يزوج بناته من بنيه وان هذا الخلق كلهم اصله من الاخوة والاختوات قال أبو عبد الله ( عليه السلام ) سبحان الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً من يقول هذا ! ان الله عز وجل جعل اصل صفوة خلقه واحبائه وانبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام ولم يسكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال ! ! وقد اخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطاهر الطيب والله لقد نبئت ان بعض البهائم تنكرت له اخته فلما نزا عليها وتزل كشف له عنها وعلم انها اخته اخرج غرموله ثم قبض عليه باسناده ثم قلعه ثم خر ميتاً قال زرارة ثم مثل عن خلق حوا وقيل له ان اناساً عندنا يقولون ان الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الايسر الاقصى قال سبحان الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً يقول من

يقول هذا ان الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لادم زوجة من غير ضلعه وجعل للمتكم من اهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام يقول ان آدم كان ينكح بعضه بعضاً اذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم ثم قال ان الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من طين امر الملائكة فسجدوا له والقي عليه السبات ثم ابتدع له خلقاً ثم جعلها في موضع النقرة التي بين ركبتيه وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل فاقبلت تتحرك فانتبه لتحركها فلما انتبه نوديت ان تنحى عنه فلما نظر اليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير انها اثني فكلمها فكلمته بلغته فقال لها من انت ؟ فقال خلق خلقتني الله كما ترى فقال ادم (ع) عند ذلك يارب من هذا الخلق الحسن الذي قد آتسني قربه والنظر اليه فقال الله هذه أمي حواء أفتحب ان تكون معك فتؤنسك وتحدثك وتأتمر لامرك ؟ قال نعم يارب ولك بذلك الشكر والحمد على ما بقيت فقال الله تبارك وتعالى فاخطبها الي فانها امتي وقد تصلح أيضاً للشهوة فالقى الله عليه الشهوة وقد علم قبل ذلك المعرفة فقال يارب اني اخطبها اليك فما رضاك لذلك ؟ قال رضاي ان تعلمها معالم ديني ، فقال ذلك يارب ان شئت ذلك فقال عزوجل قد شئت ذلك وقد زوجتكها فخصمها اليك فقال اقبلي ، فقالت بل انت فاقبل الي فامر الله عزوجل لآدم ان يقوم اليها فقام ولولا ذلك لكان النساء من يذهبن الى الرجال حتى يخطبن على انفسهن فهذه قصة حواء صلوات الله عليها .

اقول : هذه الرواية المعتبرة تتضمن اموراً هامة :

الاول : ان اصل الزويج الذي في شرع الاسلام هو من الميثاق

الذي اخذه الله تعالى على جميع الانبياء والمرسلين .

الثاني : ان ما يقال لخلق ادم ( عليه السلام ) من دون الرجوع



إلى السنة الوحي المبين هو لسان التشيع على الدين فلا ينبغي الاصغاء إليه بوجه من الوجوه .

الثالث : لم يرد فيها ذكر انها خلقت من ضلع أو من فضالة طين آدم ( عليه السلام ) للاستغناء عن ذلك بقوله ( عليه السلام ) « ثم ابتدع له خلقاً » .

الرابع : ان تبعية المرأة للرجل تكوينية من بدء الخلق إلى آخرها . وعن الصدوق بإسناده إلى زرارة قال : « سئل أبو عبدالله (ع) عن بدء النسل من آدم كيف كان وعن بسده النسل من ذرية آدم ( عليه السلام ) فان اناساً عندنا يقولون ان الله تبارك وتعالى اوحى إلى آدم ان يزوج بناته من بنيه وان هذا الخلق كله اصله من الاخوة والاختوات ؟ !! فقال أبو عبد الله : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً يقول من قال هذا بأن جل وعز مخلق صفوة خلقه واحبائه وانبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال وقد اخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب ؛ فوالله لقد ثبت ان بعض البهائم تنكرت له اخته فلما نزا عليها ونزل كشف له عنها فعلم انها اخته اخرج غرموله ثم قبض عليه باسنانه حتى قطعه فخر ميتاً واخر تنكرت له امه ففعل هذا بعينه فكيف الانسان في انسيته وفضله وعلمه غير ان جيلاً من هذا الخلق الذي ترون رغبوا عن علم بيوتات انبيائهم وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما قد ترون من الضلالة والجهل بالغلم . كيف كانت الاشياء الماضية من بدأ فخلق الله ما خلق وما هو كائن ابدأ ، ثم قال ويح هؤلاء اين هم عما لم يختلف فيه فقهاء اهل الحجاز ولا فقهاء اهل العراق فان الله عز وجل امر القلم فجزى على

اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بالنبي عام  
وان مما كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم في كلها تحريم الاخوات على  
الاخوة مع ما حرم ، وهذا نحن قد نرى منها هذه الكتب الاربعة  
المشهورة في هذا العالم - التوراة والانجيل والزبور والقرآن - وانزلها  
الله من اللوح المحفوظ على رسله صلوات الله عليهم اجمعين منها التوراة  
على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد  
( صلى الله عليه وآله ) وعلى النبيين ( عليهم السلام ) ليس فيها  
تحليل شيء من ذلك حقاً اقول ما اراد من يقول هذا وشبهه الا  
تقوية حجج المجوس على موسى فما لهم قاتلهم الله - ثم انشأ يحدثنا  
كيف كان بدأ النسل من آدم وكيف كان بدأ النسل من ذريته - فقال  
ان آدم ولد له سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية إلى ان قتل  
هابيل فلما قتل قابيل هابيل جزع آدم ( عليه السلام ) على هابيل جرعاً  
شديداً قطعه عن اتيان النساء فبقي لا يستطيع ان يغشى حواخمسائة  
عام ثم تجلى ما به من الجزع عليه فغشى حوا فوهب الله له شيئاً (ع)  
وحده ليس معه ثان واسم شيث هبة الله وهو اول وصي اوصى اليه  
من الآدميين في الارض ثم ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان  
فلما ادركا واراد الله عزوجل ان يبلغ بالنسل ما ثرون وان يكون ما قد  
جرى به القلم من تحريم ما حرم الله عزوجل من الاخوات على الاخوة  
انزل الله بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها بركة  
( نزلة ) امر الله عزوجل ادم ان يزوجه من شيث فزوجها منه ثم  
نزل بعد العصر حوراً من الجنة اسمها بوكة ( منزلة ) فامر الله عزوجل  
آدم ان يزوجه من يافث من ابن شيث ففعل ذلك فولد الصفوة من  
النبيين والمرسلين من نسلها ومعاذ الله ان يكون ربك على ما قالوا من

الاخوة والاخوات ، .

اقول : هذه الرواية من مفصلات الروايات الشارحة فتكون حاكمة على جميع ما تقدم وموافقه لحكم الفطرة .

وعن الصدوق باسناده عن أبي بصير قال : « قلت لأبي عبد الله ( عليه السلام ) لاي علة خلق الله عزوجل آدم من غير أب وام وخلق عيسى من غير اب ، وخلق مائر الناس من الآباء والامهات ؟ فقال لي علم الناس تام قدرته وكما لها ويعلموا انه قادر على ان يخلق خلقاً من انثى من غير ذكر كما هو قادر على ان يخلق من غير ذكر وانثى ، وانه عزوجل فعل ذلك ليعلم انه على كل شيء قدير ، .

اقول تبين هذه الرواية كمال قدرته تعالى وانه على كل شيء قدير وصد عن السنة من يقول بغير علم ففي مثل هذه الرواية دقايق واشارة لا يفهمها إلا من تأمل فيها حق التأمل .

وعنه أيضاً باسناده عن عبد الحميد بن الديلم عن الصادق ( ع ) في حديث طويل قال : « سمي النساء نساءً انه لم يكن لادم ( ع ) انثى غير حوا ، .

اقول : هذه الرواية تبين وجه الاشتقاق .

وفي الاحتجاج عن علي بن الحسين ( عليهما السلام ) في حديث له مع قرشي : « يصف فيه تزويج هابيل بلوزا اخت قابيل وتزويج قابيل باقليا اخت هابيل فقال له القرشي فأولداهما ؟ قال : نعم فقال له القرشي فهذا فعل المجوس اليوم فقالوا إن المجوس فعلوا ذلك بعد التحريم من الله ثم قال له : لا تنكر هذا انما هي شرائع الله جرت أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له ؟ فكان ذلك شريعة من شرائعهم ثم انزل الله التحريم بعد ذلك ، .

اقول : هذه الرواية مضافاً إلى قصور سندها ومعارضتها بما هي اكثر منها لما تقدم ان المراد من الاخت الواردة فيها الروحانية المتجسدة بشباهة اخت قابيل وكذا تزويج قابيل اخت هابيل . واما قول القرشي نحو توهم وقول الامام ( عليه السلام ) للقرشي جواب إسكافي له وذيل الرواية محمول كما تقدم مع ان متن الرواية يشهد بعدم صدوره عن المعصوم ( عليه السلام ) فلا بد من طرحها .

ما وردت في تعدد خلق آدم طويلاً :

في التوحيد للصدوق عن الصادق ( عليه السلام ) في حديث قال :  
 « لعلك ترى ان الله لم يخلق بشراً غيركم ؟ بلى والله لقد خلق الف آدم انتم في آخر اولئك الادميين » .

اقول : لم يدل دليل عقلي على ان ابانا آدم ( عليه السلام ) هو اول خلق ادمي في الممكنات ، فقتضى اصالة الامكان جواز تعدد الادميين قبله . وما عن بعض المفسرين من سوء المقال في المقام ظاهر في انه غير مطلع على القواعد العقلية ولا على الشواهد الخارجية .

وفي الخصال عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « ان الله تعالى خلق عشر الف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سموات وسبع ارضين ما يدري عالم منهم ان لله عزوجل عالماً غيرهم » .

اقول : لا ريب في الامكان الذاتي بالنسبة إلى هذه العوالم كما لا ريب في قدرة الله تبارك وتعالى غير المتناهية بالنسبة إلى خلق هذه العوالم ولا دليل من عقل أو نقل على امتناع وقوعها بل الشواهد الكثيرة تدل على وقوعها وانكار بعض المفسرين يدل على قصور فهمه وعدم

دركه بما جعله الفلاسفة من الاوليات من قولهم : « كل ما قرع سمك من المعجائب والغرائب فذره في بقعة الامكان ما لم يمنعك عنه قائم البرهان » مع ان جمعاً كثيراً من قدماء الفلاسفة اثبتوا الادوار والاكوار في هذا العالم، وتسلم الكل على قدم الهيولي والصور المتواليه المتتابعة .  
وفي الخصال عن أبي جعفر ( عليه السلام ) : « لقد خلق الله عزوجل في الارض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم خلقهم من اديم الارض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه ثم خلق الله عزوجل آدم أبيا البشر وخلق ذريته منه » .  
اقول لا تنافي بين هذه الرواية وبين الروايات السابقة لان الروايات السابقة لم تبين كيفية المخلوقات في تلك العوالم . والحصر في هذه الرواية اضافي لان يكون حقيقياً حتى يحصل التنافي . مع انه يمكن ان تكون الرواية الاولى بالنسبة إلى نوع آخر .

ما وردت في شأن صلة الرحم :

في الكافي عن جميل بن دراج قال : « سألت أبا عبد الله (ع) :  
عن قول الله عز ذكره : « واتقوا الله الذي تسألون به والارحام  
ان الله كان عليكم رقيباً » فقال يعني ارحام الناس ان الله عزوجل  
امر بصلتها وعظمتها لم تر ان الله جعلها معه » .  
اقول : هذه الرواية تبدل على تعظيم صلة الارحام ونظيرها كثيرة .  
وفي الكافي أيضاً عن أبي بصير عن الصادق ( عليه السلام ) قال :  
« قال أمير المؤمنين ( عليه السلام ) صلوا ارحامكم ولو بالتسليم  
يقول الله تبارك وتعالى : « واتقوا الله الذي تسألون به والارحام

ان الله كان عليكم رقيباً .

اقول لصلة الرحم مراتب كثيرة ادناها التسليم .

وعن عمر بن حنظلة عن الصادق (عليه السلام) في قول الله تعالى :

« اتقوا الله الذي تسائلون به والارحام » قال : « هي ارحام الناس .

ان الله امر بصلتها وعظمتها الا ترى انه جعلها معه » .

عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال :

« سألت عن قول الله : « فاتقوا الله الذي تسائلون به والارحام » قال : « هي

ارحام الناس امر الله تبارك وتعالى بصلتها وعظمتها الا ترى انه جعلها معه » .

اقول تقدم ما يتعلق بهما .

في الكافي باسناده عن محمد بن الفضيل الصيرفي عن أبي الحسن

الرضا (عليه السلام) قال : « ان رحم آل محمد الائمة المعلقة بالعرش

تقول : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ثم هي جارية في

المؤمنين ثم تلا هذه الآية : « واتقوا الله الذي تسائلون به والارحام » .

اقول : لا ريب في ان رحم آل محمد (صلوات الله عليهم اجمعين)

هي المتبقية مما ورد في صلة الارحام من الكتاب والسنة والادلة

العقلية . ومعنى التعلق بالعرش كونهم بوجودهم النوراني موجودين في

هذا المقام العظيم يدعون لمن وصلهم وعلى من قطعهم .

وفي الدر المنثور اخرج عبد بن حميد عن عكرمة في قوله تعالى

« واتقوا الله الذي تسائلون به والارحام » قال ابن عباس قال رسول الله

(صلى الله عليه وآله) : « يقول الله تعالى صلوا ارحامكم فانه أبقي

لكم في الحياة الدنيا وخير لكم في آخرتكم » .

اقول : قريب منه غيره من طرقنا وما ذكره (صلى الله عليه وآله)

من الآثار الوضعية من المقتضي لا العلية التامة .

وفي الكافي بإسناده عن جميل بن دراج قال : « سألت أبا عبد الله ( عليه السلام ) عن قول الله تبارك وتعالى : « واتقوا الله الذي تسألون به والارحام » قال هي ارحام الناس ان الله امر بصلتها وعظمتها الا ترى انه جعلها معه » .

اقول : تقدم ما يدل على ذلك ولا تنافي بينها وبين ما تقدم من تفسير صلة الرحم برحم آل محمد ( عليهم السلام ) لان هذه الرواية تبين بعض اقسام الرحم وليست في مقام الحصر الحقيقي حتى يتحقق التنافي .  
العباشي عن الاصمعي بن نباتة قال : « سمعت أمير المؤمنين ( ع ) يقول . « ان احدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليدن منه فان الرحم اذا مسها الرحم استمرت وانها متعلقة بالعرش ينقضه انتقاض الحديد فينادى اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وذلك قول الله في كتابه « واتقوا الله الذي تسألون به والارحام ان الله كان عليكم رقيباً » واما رجل غضب وهو قائم فليلزم الارض من فوره فانه يذهب رجز الشيطان .  
اقول : لا تنافي بين هذه الرواية وبين ما دلت على ان رحم آل محمد ( صلى الله عليه وآله ) متعلقة بالعرش لان مراتب التعلق متفاوتة جداً .  
ومعنى تعلق سائر الارحام بالعرش حضورهن بالحضور العلمي لدى الله تبارك وتعالى والدعاء لمن وصلهم وعلى من قطعهم .

واما ان مس كل رحم بالرحم يوجب هبوط فوران الغضب فلما اثبتته العلم الحديث من انتهاءهم إلى شيء واحد فتستولى الوحدة وتنطفي الغضب .  
واما ذيل الرواية فلان القعود يوجب سكون فوران الدم في الجملة فيتوجه إلى نفسه فيحصل له التعمؤذ من الشيطان .

وعن ابن شهر آشوب بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى : « واتقوا

الله الذي تسألون به والارحام ، نزلت في رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) واهل بيته وذوي ارحامه وذلك ان كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا ما كان من سببه ونسبه صلى الله عليه وآله .  
 اقول : يستفاد منه ان الرحم ما كان متصلاً إلى يوم القيامة وكان رحماً فيها ايضاً وهو مختص بنسب رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) لان ما سواه ينسون انفسهم في تلك الاحوال والشدائد فضلاً عن ارحامهم قال تعالى : « يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبه وبنيه لكل امرى منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس - ٣٧ .

وفي تفسير علي بن ابراهيم قال : « تسألون يوم القيامة عن التقوى هل اتقيتم ؟ وعن الارحام هل وصلتتموها » .  
 اقول : هذا من التفسير بأكبر المصاديق .  
 وعن علي بن ابراهيم في تفسيره ايضاً عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) « الرقيب الحفيظ » .

اقول : حيث ان رقابته جلّ جلاله من الحضور العلمي الاحاطي وهذا يستلزم الحفظ بما يراه من المصالح .  
 وفي المجمع عن الباقر ( عليه السلام ) : « اتقوا الارحام ان تقطموها » .

اقول: الروايات في حرمة قطع الرحم كثيرة جداً وهي من المعاصي الكبيرة كما ذكرناه في الفقه .

### بحث فقهي

إطلاق الآية الشريفة وغيرها من الآيات والروايات يشمل كل رحم



- ذكراً كان أو انثى صغيراً كان أو كبيراً - نسبياً كان أو سببياً وارثاً كان أو غير وارث قاطعاً كان أو وصولاً بل صلة القاطع احب عند الله تبارك وتعالى من صلة الرحم الوصول لدلالة الروايات المتواترة على ذلك .

والمراد من الرحم ما ينتهي إلى رحم واحد بحسب الاجتماع العرفي الا إذا دل دليل من الشرع على الخلاف كما في رحم آل محمد (صلوات الله عليهم ) الذي وسع فيه إلى يوم القيامة بل وفيها ولذا أكد في الشرع اولوية الارحام في ايصال الصدقات والخيرات وتقدمهم على غيرهم وهناك موارد تفضيل ذكرناها في كتاب ( مهذب الاحكام ) .

### بحث عرفاني

في خالق ادم ( عليه السلام ) جهتان : الاولى : الجهة النورانية المعنوية وتستفاد هي من قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » وهي من ارفع الجهات واعلى الدرجات وليس في الممكنات ما يفوقها . الثانية : الجسمانية وهي الطين والصلصال والحما المسنون وقد اعنتى سبحانه وتعالى بكل منها اعتناءً بليغاً لم يعن بشيء من الممكنات بمثله لانه اول خلقته واب الانبياء .

اما الجهة الاولى فيكفيك قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحي » ص - ٧٢ وبأي معنى لوحظ ذلك لا يدرك كنه عظيمته ورفعته .  
واما الجهة الثانية فيكفي فيها قوله تعالى : « ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي » ص - ٧٥ واظهر منها إسجاد الاملاك لهذا الخلق

العجيب الذي تحير الافكار في مغزى درك حقيقته ودرك واقعيته .  
والجهتان متلازمتان في الجملة في هذا الوجود العظيم في اي مرتبة من  
مراتب ظهوره وبروزه .

وهذه المراتب غير محدودة وان امكن تحديد كلياتها في الجملة ،  
فالاولى مرتبة العلم الازلي وهي اعلى المراتب واسماها :

الثانية : مرتبة المشيئة الكلية وهي : « اذ قال ربك للملائكة اني  
خالق بشراً من طين » ص - ٧١ .

الثالثة : مرتبة الارادة الفعلية الحتمية وهي : « فاذا سويتهم ونفخت  
فيه من روحي » ص - ٧٢ .

الرابعة : مرتبة الابداع بالامر وهي : « واذا قضى امرأ فانما  
يقول له كن فيكون » البقرة - ١١٧ .

الخامسة : مرتبة تعليم الاسماء وهي : « وعلم آدم الاسماء كلها ،  
البقرة - ٣١ .

السادسة : مرتبة التقصير وهي : « فاكلا منها فبدت لهما سوءاتها  
وظفقا يخفضان عليها من ورق الجنة » طه - ١٢١ .

السابعة : مرتبة الهبوط : « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو  
ولكم في الارض مستقر » البقرة - ٣٦ .

الثامنة : مرتبة التوبة وقبولها وهي : « قالوا ربنا ظلمنا انفسنا  
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » : الاعراف - ٢٣

وقال تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب  
الرحيم » البقرة - ٣٧ .

التاسعة : عالم الاصطفاء قال تعالى : « ان الله اصطفى آدم ونوحاً  
والا ابراهيم وآل عمران على العالمين » آل عمران - ٣٣ .

العاشرة : عالم الدر بقسميه في السماء وفي الارض في بطحاء بمكة  
قال تعالى : «واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم  
على انفسهم أليس بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا  
كنا عن هذا غافلين ، الاعراف - ١٧٢ .

الحادية عشر : مرتبة انتشار النسل وبثه بالتدرج الزمني .  
الثانية عشر : مرتبة أصلاب الآباء وارحام الامهات وادوارها .  
الثالثة عشر : مرتبة خروج الروح وتحقق الموت .  
الرابعة عشر : عالم البرزخ قال تعالى : «ومن ورائهم برزخ الى  
يوم يبعثون» المؤمنون - ١٠٠ .  
الخامسة عشر : عالم الخلود .

هذه كليات ما يرد على هذه اللطيفة الربانية . وان قيل ان هذا  
الموجود العظيم اعظم عمل رباني لا بأس به ويأتي تمة المقال في  
مستقبل الكلام .

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ  
بِالظُّلْمِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ  
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي  
الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي  
وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ  
أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنِي أَلَّا تَعُولُوا (٣)  
وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ  
عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤) وَلَا  
تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا

وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا  
مَعْرُوفًا (٥) وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ  
فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ  
وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ  
كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيُنْكِلْ  
بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا  
عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)

الآيات المباركة من جلائل الآيات التي تتعلق بالقواعد النظامية وهي تبين اهم القوانين التي لها دخل في حياة الاسرة والمجتمع الانساني من تنظيم الروابط بينهم وحفظ العلاقات - بين افراد الاسرة - التي اهمها رعاية اليتامى وحفظ اموالهم وتحديد النكاح باليتيمات اللواتي تحت الوصاية بعدم التقصير في حقوقهن . وتعدد الزوجات المرامي بعدم الجور والظلم عليهن وحفظ حق المرأة في صداقها وعدم التعدي فيه . والمنع من تصرف السفهاء - الذين لا يحسنون التصرف - في اموالهم وان كان لهم الحق منها في الرزق والكسوة الا اذا تبين الرشد والاهلية منهم فيرجع اليهم اموالهم . والآية الكريمة تقرر الاشهاد حين تسليم المال اليهم دفعا للشبهة والخصومة ، فهذه الآيات في مقام الردع عن الاخلاق الجاهلية ومن يحدو حدوهم في الاسلام .

ومن اجل اهمية هذه القوانين وارتباطها بنظام الاسرة والمجتمع سبقت الآيات الشريفة بانه جل شأنه رقيب وختمت بانه تعالى محاسب ما يصدر عن عباده من الاعمال .

وارتباط هذه الآيات الشريفة بما قبلها هو ان القيام بشؤون اليتام

وغيرها مما تقدم من اهم مصاديق التقوى وفي عرض صلة الارحام بلا فرق بين ان يكون اليتيم من الارحام أو لم يكن منهم مع انها توطئة لما يأتي من احكام الارث .

### التفسير

قوله تعالى : وآتوا لليتامى أموالهم .

هذه الآيات الكريمة مشتملة على اصول نظامية فطرية متينة ترتبط بحياة الاسرة والمجتمع كما تقدم وقد قررهما الوحي المبين وهي امور :  
الاول : ما يتعلق بأموال اليتامى . والخطاب في الآية الشريفة عام يشمل الاوصياء والاولياء - الجعلين والشرعيين - وغيرهم المتصددين بشؤون اموال اليتامى .

والامر بإيتاء اليتامى اموالهم من التفصيل لموارد الاتقاء وانما بدأ بهم اظهاراً لشأنهم وعناية خاصة بهم لانهم الضعفاء في الاسرة والمجتمع واليتيم من اليم وهو الانفراد عن المثل وفي الانسان هو : الصغير الذي مات ابوه وفي سائر الحيوانات هو فاقد الام .

والمراد بالايثاء إيصال اموالهم اليهم - اما صرفاً عليهم أو عيناً - والتعبير باليتيم حين الايصال باعتبار ان الاستيلاء على المال كان حين اليم اي كان يتيماً . ويمكن ان يراد باليتامى كل مظلوم ومقهور استولى على ماله - يتيماً كان بالمعنى المصطلح اولا - ثم ارتفع عنه ذلك كما يأتي في البحث العرفاني .

والمعنى : ان من استولى على اموال اليتامى - بحق كان كالوصي

والولي أو بغير حق كالظالم - يجب دفعها اليهم ان بلغوا الرشد والكمال بقربة الآية الآتية .

قوله تعالى : ولا تبدلوا الخبيث بالطيب .

الثاني من تلك الاصول : ما يتعلق بتبديل الخبيث بالطيب الذي هو من المستنكرات الفطرية العقلية .

والتبديل هو جعل شيء مكان الآخر والخبيث هو ما تنفر عنه الطباع والطيب ما رغبت اليه الطباع .

والمعنى : لا تبدلوا الردي من اموالكم بالطيب من اموال اليتامى أو لا تأكلوا اموال اليتامى فهو الخبيث اي الحرام بدلا عما طيب الله لكم من اموالكم اي الحلال .

والقدر الجامع بين الاحتمالين هو عنوان تبديل الحرام بالحلال سواء كان بالمعنى الاول أو بالثاني فيؤخذ به وان كان المعنى الاول اقرب الى الذهن ولكن ذيل الآية المباركة كالقربة للمعنى الثاني .

قوله تعالى : ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم .

الثالث من الاصول المتقدمة : الخلط بين اموال اليتامى و اموال المتصددين ثم اكل الجميع وهذا ايضاً من المستنكرات .

والنهي في الآية الشريفة تعلق بمطلق التصرف وهو المراد بالاكل فيها . والمعنى : لا تتصرفوا في اموال اليتامى سواء كان التصرف بالاكل أو الانتفاع أو المشاركة مع اموالكم لان الواجب عليكم حفظ اموال اليتامى وصيانتها واستثمارها لصالح اليتامى .

قوله تعالى : انه كان حوباً كبيراً .

الضمير يرجع الى مطلق التصرف . والحوب : هو الاثم وتوصيفه  
بالكبر للتهويل والعظمة لأن في الفعل والارتكاب جرأة عظيمة .  
والمعنى : من تصرف في اموال اليتامى - اي تصرف كان - فقد  
ارتكب اثماً كبيراً الا اذا كان باذن من الشرع كما فصل في الفقه .

قوله تعالى : وان خفتن ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا  
ما طاب لكم من النساء .

الرابع : مما تقدم من الاصول كيفية القسط والمعاشرة بين  
نفس اليتامى .

والقسط هو النصيب بالعدل بعدما بين سبحانه وتعالى حكم اموال  
اليتامى شرع فيما يتعلق بأنفس اليتامى وانا اخره لان الاول اكثر  
شيوعاً من الثاني .

والآية الشريفة تحتل صوراً : الاولى : ان يكون المراد التزويج من  
اليتيمات - اللواتي هن مال - واحدة كانت أو متعددة - وكان التزويج  
موجباً لتحقيق القسط بين اليتامى في انفسهن واما هن فلا ريب في جواز  
هذه الصورة وصحتها وحينئذ لا اشكال في ارتباط صدر الآية الشريفة  
مع ذيلها .

الثانية : التزويج ببيتمة ليس لها مال مع تحقق القسط من قبل  
الرجل بنفسه في التزويج سواء تعددت الزوجات منهن أم لم تعدد  
وحكمها حكم الصورة الاولى .

الثالثة : التزويج باليتيمات مع خوف عدم القسط سواء كان التزويج  
بواحدة منهن أو بمتعددة وان كان الخوف في صورة التعدد اشد

والآية الشريفة تنفي هذه الصورة .

الرابعة : التزويج بامرأة ذات أب وعندها يتيم .  
الخامسة : ما اذا كانت اليتيمات في معرض الزواج وكانت نساء  
من غيرهن في معرض الزواج ايضاً ويخاف الانسان ان تزوج من  
اليتيمات ان لا يقسط بينهن فيدعهن ويتزوج من سواهن وهذه الصورة  
هي المشهورة بين المفسرين .

السادسة : ان تكون الآية المباركة في مقام الارشاد ودفع التوهم  
اي : انكم لو خفتم من التزويج باليتيمات ولاجله منعتموهن من التزويج  
بانفسكم أو بغيركم خوفاً من ان لا تقسطوا فيهن وتظلموهن فتزوجوا منهن  
وان كنتم ذوي زوجات فانهن حلال لكم ولغيركم فان الله تعالى  
يرشدكم الى ذلك .

وهذه الصور الثبوتية تتوافق مع ذيل الآية الشريفة وهو وفانكحوا  
ما طاب لكم من النساء .

واما في مقام الاثبات والظهور فيجتمع مع اكثر الصور وان كانت  
الخامسة مشهورة بين المفسرين كما قلنا .

وظهر مما ذكرنا فساد ما ذهب اليه بعض المفسرين من عدم ارتباط  
صدر الآية الشريفة بذيلها وقد عرفت كمال الربط بينهما .

قوله تعالى : مثنى وثلاث ورباع .

هذه الالفاظ تدل على اعداد مكررة وهي : اثنين اثنين ، وثلاثاً  
ثلاثاً ، واربعاً اربعاً ، وانها ممنوعة من الصرف .

والخطاب متوجه الى الجميع والمطف بمعنى التخيير فيكون المعنى  
المراد بلحاظ الخطاب والمطف وبقرينة ذيل الآية الكريمة : لكل واحد



— ٢٦٤ — مواهب الرحمن - ج ٧

من المؤمنين ان يختار واحدة ان خاف من الجور والتعسف والاثنين  
أو ثلاث أو اربع .

ولا يستفاد من الآية الشريفة الجمع بين التسع منهم كما توهمه بعض  
لعدم دلالتها بوجه على ذلك ، بل انه غير محتمل اصلاً فلو قال  
احد جاء القوم مشى وثلاث ورباع لا يستفاد اصلاً مجيئهم تسعة مع  
ان لفظ ( و ) بمعنى التخيير بقرائن قطعية منها ضرورة الدين كما  
يأتي في البحث الفقهي .

قوله تعالى : فان خفتم الا تعدلوا فواحدة .

المراد من الخوف في هذه الآية المباركة العلم العادي المعبر عنه  
بالاطمينان، وانا عبر بالخوف لكون المورد والمتعلق منشأ للخوف عرفاً .  
والمعنى : ان حصل لكم الاطمينان في عدم تسوية حقوقهن وان  
لا تعدلوا بين المتعددات فانكحوا وتزوجوا واحدة منهن .

قوله تعالى : أو ما ملكت ايمانكم .

اي : من خاف من عدم التقسيط فيهن فينكح واحدة من الحرائر  
أو ما يختار من الاماء ماشاء اذ ليس لهن شيء من حقوق الزوجية  
الثابتة للحرائر حتى يستلزم الجور والتعسف الا اذا كان نكاحهن على  
وجه الزوجية كما فصل في الفقه .

والآية الشريفة لا تدل على تجويز الظلم والتعدي على الاماء - فانه  
تعالى ليس بظلام للعبيد فلا يرخص بالظلم - وانا في مقام بيان ان الاماء  
ليست محدودة بحد الحرائر لان الاماء يتحملن من المشاق والمتاعب  
ما لا تتحمل الحرائر فليست الآية الكريمة في مقام تجويز الظلم عليهن .

قوله تعالى : ذلك ادنى الا تعولوا .

العول : هو الميل اي تميلوا الى الجور والمشار اليه في « ذلك » ما تقدم من الاحكام النظامية فيتضمن نكاح الاماء وغيره .  
 والمعنى : انكم اذا علمتم بما تقدم من الاحكام والاصول النظامية تكونون اقرب الى الحق وعدم الميل الى الباطل .  
 ويمكن ارجاع الخطاب « ذلك » الى خصوص تملك الاماء لعدم التحديد في تملكهن والتمتع بهن وعدم لزوم التسوية بينهما وان كان الاولى ما تقدم لشموله لمن بالعموم ايضاً .

قوله تعالى : وآتوا للنساء صدقاتهن نحلة .

الخامس من الاصول النظامية المتقدمة : ما يتعلق بمهور النساء .  
 - اللواتي كاليتامى في الضعف - دفماً وأخذاً منهن .  
 - والامر متوجه الى من استولى على صدقاتهن ومهورهن زوجاً كان أو غيره بدفع ما استولى منها اليهن .  
 والصدقات : جمع صدقة بفتح الصاد وضم الدال وهي كالصداق بمعنى المهر وهو المال - أو اي شيء له اعتبار عرفي ولم يته الشرع عنه - يملكه الزوج المرأة عند الازدواج لعادة استمرت بين الناس وقررتها الشرايع السماوية الا عند بعض الملبين .  
 والنحلة هي العطية المقصود منها الانتفاع بلا عوض والتعبير بها للترغيب .  
 والمعنى : اعطوا النساء مهورهن التي جعلتم لمن نحلة وعطية أو جعل الله تعالى لمن عطية ولا تمنعوهن من مهورهن شيئاً .

قوله تعالى : فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه  
هنيئاً مريئاً .

إي ان وهبن لكم شيئاً من صداقهن وطابت نفوسهن إلى الهبة  
لكم - غير كارهات ولا لشكامة اخلاقكم أو لسوء معاشرتكم - حل  
لكم اخذه واكله .

والضمير في ( منه ) يرجع إلى الصداق والامر للإباحة المشروطة  
بطيب النفس .

والهنيء والمريء صفتان الأولى النعمة بلا تكدر ولا تعب، والثانية  
السائغة بلا غصة. وفي حديث الاستسقاء « اللهم اسقنا غيثاً مريئاً » .

قوله تعالى : ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله  
لكم قياماً .

بيان للاصل السادس من الاصول الفطرية العقلية المطابقة للوجدان  
وهو التحفظ على المال عن الفساد والانهيار إذ لولاه لاختل النظام وقد  
علل هذا الاصل في الآية الشريفة بأمن تعليل وشهد به العقل وهو ان  
المال قيام لمعاش الناس ، ومع وقوع الاختلال فيه يختل المعاش ومع  
اختلال المعاش يختل المعاد أيضاً لقولهم ( عليهم السلام ) : « من  
لامعاش له لامعاد له » .

والخطاب ( النهي ) متوجه إلى الناس باجمعهم ولياً كان أو غيره  
كان المال للسفيه أو لغيره مخلوطاً كان المال الذي هو مال السفيه مع غيره  
أو خالصاً ، ففي جميع ذلك لا يجوز دفع المال إلى السفيه فهذه الآية  
المباركة تشمل الآيات الشريفة المتقدمة شمول الكلي لافراده .  
والسفهاء : جمع سفيه ، والسفه الخفة في العقل على نحو لا يوضع

الامور في مواضعها وليس عنده حالة باعثة على حفظ ماله والاعتناء به بصرفه في غير موقعه ويتلفه بغير محله وليست معاملاته مبنية على المكايسة والتحفظ عن المغابنة ولا يبالي بالانخداع فيها وتقدم في آية ١٤٢ من سورة البقرة ما يتعلق بالمقام .

واضافة الاموال إلى المخاطبين في قوله تعالى « اموالكم » اعم من ان يكون للولي أو غيره مال ويريد ان يدعه عند سفیه أو يكون المال للسفیه وهو وليه بصرفه عليه يريد ان يعطيه ويرده اليه فحيثئذ تكون الاضافة بالعناية والتنزيل أو غيرها . وفي جميع ذلك يراعى فيه المصالح المقررة الشرعية التي اوجبها الله تعالى على عباده وحيثئذ ان لم يراع فيه تلك المصالح المقررة الشرعية يكون من الصرف في الباطل ويستلزم الاختلال وحيثئذ يخرج النظام عن الاستقامة إلى الانحراف ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى : « لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل » النساء - ٢٩ وقوله تعالى : « واكلوا واشربوا ولا تسرفوا الاعراف - ٣١ .

والمعنى : لا تعطوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً وسبباً لمعاشكم وقضاء ما ربكم .

قوله تعالى : وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً .

الاصل السابع من تلك الاصول المتقدمة يتضمن العناية الخاصة منه جل شأنه بالنسبة إلى السفهاء لئلا يقيموا في الحرج والشدة - ولا يقع الناس منهم في الحرج - لحرمانهم في التصرف في اموالهم فأمر جل عظمته بالقيام بشؤونهم من اموالهم .

والمراد من رزقهم فيها الانفاق عليهم وتغذيتهم وتنظيم معاشهم . كما ان المراد من كسوتهم هي اللباس والمقصود من القول المعروف هو المعاملة الحسنة تألفاً لهم ورفعاً لحرارة حبس الاموال عنهم لانهم بشر أمثالكم يتأثرون بالقول الخشن وقد تغير المعاملة الحسنة والاخلاق الحميدة سلوكهم ويزيل السفه عنهم وهذا هو الاصل الثابت من الاصول المتقدمة .

قوله تعالى : وابتلوا لليتامى حتى اذا بلغوا النكاح .

الثامن : من الاصول المتقدمة في تمحيص اليتامى واختبارهم لاحراز صلاحيتهم واهليتهم لدفع اموالهم اليهم وهو متقوم بامرين :  
الاول : البلوغ في السن وهو المراد ببلوغ النكاح اي المرحلة التي جعلها الله تعالى لنوع البشر وهي الحالة التي تحدث فيها مادة النسل في الذكر ودم الحيض في الانثى بحيث يكونان صالحين للازواج والانجاب ولها امارات كالاختلام والانبات والسن على ما فصلناه في الفقه فراجع كتاب الحجر من (مذهب الاحكام) اي : امتحنوا اليتامى بعد بلوغهم واختبروا حالاتهم .

قوله تعالى : فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم .

الامر الثاني : احراز الرشداً والاهتداء لحفظ المال .  
والجملة جواب لاذ الظرفية الذي هو « اذا بلغوا النكاح » اي :  
اذا وجدتم من اليتامى البالغين رشداً واهتداءً في حفظ اموالهم وضبطها بعد كبرهم وبلوغهم فادفعوا اليهم اموالهم ، فدفع الاموال لا يكون إلا بعد البلوغ ووجدان الرشداً فيهم .

قوله تعالى : ولا تأكلوها اسرافاً وبداراً ان يكبروا .  
الاصل التاسع في المنع عن التعدي في اموال اليتامى . والاكل  
معروف والمراد منه مطلق الاستيلاء . والاسراف : تجاوز الحد .  
والبدار : المسارعة إلى الشيء .

والمعنى : لا تأكلوا اموال اليتامى بالتجاوز والتعدي ولا تبادروا في  
اكلها بحيث لو بلغ اليتيم رشيداً لمنعم عن ذلك .

قوله تعالى : ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً  
فليأكل بالمعروف .

الاصل العاشر : في تحديد تملك من يتصدى لاموال اليتيم من  
اموالهم لاجرة عمله اي من كان غنياً ذا مال وثروة فليكف عن  
الاكل والتصرف في اموال اليتامى ومن كان فقيراً وكان عمله في  
صلاح اموال اليتامى فليأكل منها وليتصرف بالمعروف بحسب اجرة  
مثل عمله .

والامر وان كان للاباحة إلا انه مقيد بالمعروف فالكثر منه فيه  
مخذور فولي اليتيم - أو من يتصدى لامواله - ان استغنى عفا وان  
افتقر اكل بالمعروف .

قوله تعالى : فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم .  
الاصل الحادي عشر : في الاستيثاق عند دفع الاموال اليهم وهو  
الشهادة تحكماً للامر ودفعاً للاختلاف .

والمعنى : إذا سلمتم اليهم اموالهم بعد توفر الشروط السابقة  
وقبضوها منكم فاشهدوا عليهم بالقبض .

والامر ارشادي محض لانه لو فرض الاستيثاق والاستيمان في القبض  
بلا الشهادة لا تجب شهادة حينئذ كما هو واضح .

قوله تعالى : وكفى بالله حسيباً .

تعليل لجميع ما تقدم من الاحكام والأصول النظامية وفي ذكر اسم الله تعالى تنبيه على انه محيط ومسلط على جميع ذلك وكفى به محاسباً عليكم في جميع اعمالكم وما صدر ويصدر منكم .

### بحوث المقام

#### بحث ادبي :

اليتامى في قوله تعالى : « وآتوا اليتامى » جمع يتيم وهو فعيل - صفة - وهي قد تجمع على فعال - مثل كريم وكرام - أو على فعلاء - كشريف وشرفاء - أو فُعَل كندير ونذر أو فعلى مثل مريض ومرضى ولا يأتي على فعال إلا في مثل هذه الآية الشريفة وفي قوله تعالى : « وان يأتوك اسارى » - سورة البقرة - ٨٥ ولعله انه جمع اولاً على يتيم كمرضى ثم جمع يتيم على يتامى .

أو يكون ذلك بالقلب فان يتيم صفة جار مجرى الاسماء فجمع يتيم يتائم ثم قلب إلى يتامى كنديم وندامى وجميع ذلك على وجه السماع . والتبدل في قوله تعالى : « ولا تبدلوا » من باب التفعّل ومجيئه بمعنى الاستفعال غير عزيز .

والباء في قوله جلّ شأنه « بالطيب » للبداية دخلت على المبدل منه كما في قوله تعالى : « ومن يتبدل الكفر بالايمان ، البقرة - ١٠٨ .

وإلى في قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم » بمعنى مع كما في قوله تعالى : « ومن أنصاري إلى الله » آل عمران - ٥٢ أي مع الله وقوله تعالى : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » المائدة - ٦ .  
وما في قوله تعالى : « ما طاب » كما تقع لما لا يعقل كذلك تقع لنعوت ما يعقل وفي المقام وقعت لنعت ما يعقل أي فانكحوا الطيب من النساء .

ومثني وثلاث ورباع في موضع نصب بدلاً من ( ما ) وقد وردت هذه الجملة في القرآن الكريم في موردين أحدهما المقام والثاني قوله تعالى : « جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فاطر - ١ ويستفاد من الآية الأخيرة أن هذه الكلمات الثلاث زكرات لأنها جاءت صفة للنكرة والنكرة لا توصف بالمعرفة .

والنصب فيها بدل عن التنوين فإن كل منها تميز وحق التمييز النصب بالتنوين ولكنها ممنوعة من الصرف للتأنيث والعدول فإنها معدولة عن الأعداد المكررة اثنين اثنين ، وثلاث ثلاث ، وأربع أربع فنصب بالفتح فقط ، وقيل أنها صفة .

والمشهور أن العرب لا تجاوز في هذا الباب عن رباع إلى ما فوق فلا يقولون خماس .

ومن في قوله تعالى « منه نفساً » للتبيين وليس للتبويض مثل قوله تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » الحج - ٣٠ والنصب في ( نفساً ) للتمييز .

وأفراد ( التي ) في قوله تعالى : « ولا تؤنوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » لأن الأموال جمع لا يعقل ويجري فيه لفظ الواحد كقوله تعالى : « فما أغنت عنهم آلهم التي » سورة هود - ١٠١ وقال



تعالى : « جنات عدن التي » مریم - ٦١ بخلاف ما لو كان لما يعقل كقوله تعالى :  
« وامهاتكم اللاتي » النساء - ٢٢ وقوله تعالى : « وربائبكم اللاتي » النساء - ٢٢  
والباء في قوله تعالى : « كفى بالله حسيباً » المحصر .

### بحث دلالي

يستفاد من الآيات الشريفة امور :

الاول : ان التعبير بآتوا في قوله تعالى « وآتوا اليتامى » يدل  
على عناية خاصة منه تعالى للايتام لم تكن في التعبير بغيره مثل اعطوا  
أو ارجعوا لان اليتام هو اعطاء خاص لامطلق الاعطاء .  
الثاني : انها عبر جل شأنه بالخبيث دون غيره حتى يشمل الفاسد  
والمحرم وغيرهما فانه كما تقدم عام يشملها ويشمل الردي والفاسد وما  
سواهما وكذا الطيب يشمل المباح والواجب والمنسوب .  
الثالث : ان الاختلاف في التعبير بقوله تعالى : « ألا تقسطوا »  
وقوله تعالى : « الا تعدلوا » لان الاول وقع موقع الخوف من عدم  
الاقساط الذي هو بمعنى العدل اي : خفتم من ترك العدل في اموال  
اليتامى ونسائهم والثاني بمعنى الجور يعني : ان خفتم ان تجوروا وتميلوا  
في التفقة عن الحق فواحدة منهن .

الرابع : يستفاد من الآية الشريفة « منى وثلاث ورباع » الجمع  
في الحكم اي يجوز للرجل التزويج بتسع نساء طولاً لان الواو وإن  
بقيت على حالها لكنها لا يستلزم الجمع بسبع نساء عرضاً لان  
الجمع في الحكم لا يستلزم الجمع في الزمان الواحد وذلك بقريئة ماورد

في الكتاب والسنة من عدم جواز الجمع باكثر من اربع منهن .  
الخامس : يدل قوله تعالى : «ثلاث ورباع» على مشروعية  
تعدد الزوجات والتخيير بين الزويج بواحدة منهن أو اثنتين أو ثلاث أو  
اربع وهذه الآية من الآيات المعدودة التي تقرر مبدأ تعدد الزوجات  
الى اربع وتبيح ذلك ولكن الاباحة مقيدة بقيود تحددها الى الحد  
المطلوب والذي تستقيم به الحياة كما تدل عليه الآية الشريفة وسبأتي  
الكلام في هذا المجال في البحث الآتي .

وانما عدل سبحانه وتعالى عن الاثنتين والثلاث والاربع الى اثني  
وثلاث ورباع لان الخطاب للجميع فالمعنى ان كل من يريد الجمع من  
المخاطبين اثنتين فقط أو ثلاث ثلاث أو اربع اربع واو افردت  
لما افاد هذا المعنى .

ومن ذلك يعلم الوجه في اتيان حرف العطف بـ ( و ) دون (او)  
فانه يدل على جواز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو  
اي : ان شاء الجميع ان يتفقوا في اي عدد من تلك الاعداد أو  
يختلفوا في تلك الاعداد .

وذهب بعض الى ان الآية الكريمة تدل على جواز الجمع بين تسع  
نسوة التي هي مجموع اثنتين وثلاث واربع لمكان الواو ولكنه مردود  
بما ذكرناه .

السادس : انما خص النهي عن اكل مال اليتامى مع اموال الاولياء  
أو الاوصياء أو غيرها ولم يمه عن الاكل وحده مع ان ذلك حرام  
أيضاً لان اكل مال اليتيم كذلك اقبح لان فيه الاستغناء حيث لغير  
اليتيم مال وهو مستغن به ولذلك خصه بالنهي . وان الاكل كذلك فيه  
نحو خفاء وتستر بخلاف الاكل وحده، كما أنه جاء النهي على ما وقع منهم .

السابع : يدل قوله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » على ان النكاح ليس من المعاوضة الحقيقية فالصداق نحو نحلة وهديّة من الزوج إلى المرأة .

كما ان التعبير بـ ( طبن ) يدل على اعتبار ان يكون اعطائهن الصداق للزوج عن جزم وعزم نفساني غير قابل للتبدل لا مجرد الاذن الظاهري فذلك لا يتحقق إلا بهذا التعبير ( طبن ) .

الثامن : يدل قوله تعالى : « فان آتستم منهم رشداً » على كثرة المعاشرة مع اليتامى ومعاشرة اليتامى معهم بحيث صار ذلك مفروضاً في النفس وحصل الاطمينان الكامل بالرشد كما في قوله تعالى حكاية عن موسى بن عمران (عليه السلام) : « اذ قال لاهله اني آتست ناراً » .  
التاسع : يدل قوله تعالى : « وقولوا لهم قولاً معروفاً » على اختلاف كيفية المقابلة معهم بحسب الازمنة والامكنة والحالات كما في قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » فان ذلك يختلف اختلافاً كثيراً وكذا في قوله تعالى : « فليأكل بالمعروف » .

العاشر : يدل قوله تعالى : « وكفى بالله حسيباً » على التحويل واهمية ما تقدم من الاحكام والاصول النظامية على نحو ان الحي القيوم المحيط بجميع العوالم بكلياتها وجزئياتها هو يتكفل الحساب ويحاسبكم على اعمالكم وما صدر منكم .

### بحث روائي

في تفسير علي بن ابراهيم في قوله تعالى : « وآتوا اليتامى اموالهم

ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ، يعني : « لا تأكلوا مال اليتيم ظلماً فتسرقوا وتبدلوا الخبيث بالطيب والطيب ما قال الله : » ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف ولا تأكلوا اموالكم إلى اموالكم ، يعني مال اليتيم لانه كان حوباً كبيراً . اي ائماً عظيماً .  
اقول : هذه الروايات من باب بيان اهم المصاديق للآية الشريفة وكذا في تبديل الخبيث بالطيب .

وفي نهج البيان للشيباني في قوله تعالى : « ولا تبدلوا الخبيث بالطيب » قال ابن عباس : « لا تبدلوا الحلال من اموالكم بالحرام من اموالكم لاجل الجودة والزيادة فيه قال وهو المروى عن أبي جعفر وأبي عبد الله ( عليهما السلام ) . »

اقول : ما ورد في الرواية من باب ذكر احد المصاديق واهمها وانطباق الكلي عليه والا فالآية الشريفة عامة لها مصاديق اخرى يأتي في البحث العرفاني وتقدم في التفسير أيضاً .

وفي مجمع البيان قال : « روى انه نزلت هذه الآية « وآتوا اليتامى اموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم إلى اموالكم ، كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فانزل الله سبحانه : « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فانخونكم » قال وهو المروى عن السيدين الباقر والصادق ( عليهما السلام ) . »

اقول : هذه الرواية وامثالها ارشاد إلى لزوم الجادة الوسطى في كل الامور وعدم الافراط والتفريط .

وفي تفسير العياشي عن سماعة عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « سألته عن رجل اكل مال اليتيم هل له توبة ؟ فقال يؤدي إلى اهله

لان الله يقول : ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ، وقال : وانه كان حوباً كبيراً ، .  
اقول : هذه الرواية موافقة للقاعدة لان التوبة لا تتحقق الا بعد أداء حق الناس اليهم .

وفي الفقيه باسناده عن أبي بصير قال : «قلت لأبي جعفر (عليه السلام) ما يبسر ما يدخل العبد النار ؟ قال : من اكل من مال اليتيم درهما ونحن اليتيم .»

اقول : هذه الرواية من باب بيان اهم المصدايق .  
وفي اسباب النزول للواحدي في قوله تعالى : « وآتوا اليتامى اموالهم - الآية - » نزلت في رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن اخ له يتيم . فلما بلغ اليتيم طلب المال فنعه عمه فترافعا الى النبي ( صلى الله عليه وآله ) فنزلت الآية فلما سمعها العم قال : اطعنا الله واطعنا الرسول ، نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي ( صلى الله عليه وآله ) من يوق شح نفسه ويطع ربه فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفق في سبيل الله فقال النبي ( صلى الله عليه وآله ) ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ( ص ) : ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده ، .

اقول : لا ريب في ان ذلك من باب بيان بعض المصدايق فيجري الحكم في الجميع مطلقا وذيل الرواية موافق لقوله تعالى : « وأن ليس للانسان الا ما سمى ، النجم - ٣٩ فكأن والده حمل اوزاراً في جمع المال .  
وفي تفسير العياشي عن سماعة بن مهران عن الصادق (عليه السلام) انه كان حوباً كبيراً ، قال : وهو مما قال يخرج الارض من اثقالها .

اقول : هذه الرواية تدل على عظمة هذا الاثم .  
 وفي حديث الدعاء « تقبل توبتي واغسل حوبتي » اي ائمني وفيه  
 ايضاً « اللهم اغفر لنا حوبنا » اي ائمننا .  
 وفي تفسير علي بن ابراهيم قال : « نزلت مع قوله تعالى :  
 « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب  
 في يتامى النساء اللاتي لا تزتونهن مما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن  
 فانكحوا ما طاب لکم من النساء منى وثلاث ورباع » فنصف الآية  
 في اول السورة ونصفها على رأس المائة وعشرين آية وذلك انهم  
 كانوا لا يستحلون ان يتزوجوا ببييمة قد رأوها فسألوا رسول الله (صلى  
 الله عليه وآله ) عن ذلك فأنزل الله تعالى « يستفتونك في النساء -  
 الى قوله - منى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت  
 ايما نكمه وقوله تعالى « ذلك ادنى الا تعولوا » اي لا تزوجوا ما لا تقدر  
 ان تعولوا » .

اقول : يمكن ان يكون التفكيك في كيفية سماع الناس من رسول الله  
 ( صلى الله عليه وآله ) مرتين لاني اصل نزول الوحي .  
 وفي اسباب النزول للواحدى : « انزلت هذه الآية » وان خفتم  
 الا تقسطوا » في الرجل يكون له البييمة وهو وليها ، ولها مال وليس  
 لها احد يخاصم دونها فلا ينكحها حباً للمالها ويضربها ويسبيء صحبتها  
 فقال الله تعالى : « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب  
 لكم من النساء » ما احللت لك ودع هذه » .

اقول : وقريب منه ما رواه المسلم في صحيحه وان ذلك من باب  
 ذكر اهم المصاديق .

وفي الكافي باسناده عن نوح بن شعيب قال : « سأل ابن أبي

العوجاء هشام بن الحكم فقال أو ليس الله حكيماً ؟ قال بلى هو احكم الحاكمين قال فاخبرني عن قوله عزوجل « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » اليس هذا فرض ؟ قال بلى قال فاخبرني عن قوله عزوجل : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » اي حكيم يتكلم بهذا ؟ فلم يكن عنده جواب فرحل إلى المدينة إلى أبي عبدالله ( عليه السلام ) فقال يا هشام في غير وقت حج ولا عمرة ؟ قال نعم جعلت فداك لامر امني ان ابن أبي العوجاء سألتني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء قال وما هي ؟ قال فأخبره بالقصة فقال له أبو عبدالله ( عليه السلام ) اما قوله عزوجل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » يعني بالنفقة واما قوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » يعني في المودة قال فلما قدم عليه هشام بهذا الجواب واخبره قال والله ما هذا من عندك .

اقول : يمكن رفع التهافت ورد قول ابن أبي العوجاء بالاختلاف الجهتي المعقول وما قاله ( عليه السلام ) من احدى تلك الجهات . وفي تفسير علي بن ابراهيم : « سألت رجلاً من الزنادقة أبا جعفر الاحول فقال : أخبرني عن قول الله عزوجل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » وقال في آخر السورة : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » فين القولين فرق ؟ فقال أبو جعفر الاحول فلم يكن عندي في ذلك جواب فقدمت المدينة فدخلت على أبي عبد الله ( عليه السلام ) وسألته عن الآيتين فقال اما قوله :

« فان خفتن الا تعدلوا فواحدة » فانما عني به النفقة وقوله « لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » فانما عني به في المودة فانه لا يقدر احد ان يعدل بين المرأتين في المودة فرجع ابو جعفر الاحول إلى الرجل فاخبره فقال هذا حملته الابل من الحجاز .

اقول: ما قاله (عليه السلام) رفع معقول للتتافي كما تقدم في الرواية السابقة. وفي الكافي باسناده عن محمد بن مسلم عن الصادق (عليه السلام) اذا جمع الرجل اربعا فطلق احديهن فلا يتزوج الخامسة حتى تنقضي عدة المرأة التي طلق وقال لا يجمع ماء في خمس .

وفي تفسير العياشي باسناده عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « لا يجل ماء الرجل ان يجري في اكثر من اربعة ارحام من الحرائر .

اقول : هذا بناء على ما هو المتسالم بين المسلمين من ان المطلقة الرجعية زوجة فلا بد من حمل الطلاق فيها على الطلاق الرجعي دون البائن ومن لا عدة له .

وعن ابن بابويه باسناده عن محمد بن سنان ان ابا الحسن الرضا (عليه السلام) كتب اليه فيما كتب من جواب مسائله : علة تزويج الرجل اربع نسوة وتحريم ان تزوج المرأة اكثر من واحد لان الرجل اذا تزوج اربع نسوة كان الولد منسوباً اليه والمرأة لو كان لها زوجان أو اكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو اذ هم مشتركون في نكاحها وفي ذلك فساد الانساب والمواريث والمعارف .

اقول : هذه الرواية محمولة على ما اذا كان الزوجان في زمان واحد عرضاً لا طولاً بان تزوجت برجل ثم فارقت واعتدت منه



فتزوجت بأخر وهكذا .

وعن ابن بابويه بإسناده عن محمد بن الفضيل عن سعد الجلاب عن أبي عبد الله ( عليه السلام ) قال : « ان الله عزوجل لم يجعل الغيرة للنساء وانا تغار المنكرات منهن فاما المؤمنات فلا انا جعل الله عزوجل الغيرة للرجال لانه قد احل الله عزوجل له اربعاً وما ملكت بمينه ولم يجعل للمرأة الا زوجها وحده وان بغت معه غيره كانت عند الله زانية » .

اقول : يشهد لذلك روايات اخرى تدل على ماورد فيها .

وعن العياشي بإسناده عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « في كل شيء اسراف الا في النساء قال الله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، وقال : « واحل الله ما ملكت ايمانكم » .

اقول : المراد من عدم الاسراف في النساء جواز التعدد الى الاربعة في العقد الدائم وإلى ما لا حد له في ملك اليمين والانقطاع كما فصلناه في كتابنا ( مهذب الاحكام ) .

وفي الكافي بإسناده عن سعيد بن يسار قال : « قلت لأبي عبد الله ( عليه السلام ) جعلت فداك المرأة دفعت إلى زوجها مالا من مالها ليعمل به وقالت حين دفعت اليه انفق منه فان حدث بك حدث فما انفقت منه كان حلالاً طيباً فان حدث بي حدث فما انفقت منه فهو حلال طيب فقال اعد عليّ ياسعيد المسألة فلما ذهبت ان اعيدها عليه عرض فيها صاحبها وكان معي حاضراً فاعاد عليه مثل ذلك فلما فرغ اشار باصبعه إلى صاحب المسألة فقال : يا هذا ان كنت تعلم انها قد افضت بذلك اليك فيما بينك وبين الله فحلال طيب ثلاث مرات ثم قال يقول الله عزوجل : فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

اقول : يستفاد من الرواية ان ما اعطته المرأة اعم من ان يكون من صداقها أو من غيره .

وفي الكافي عن عدة من اصحابنا باسناده عن زرارة عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « لا يرجع الرجل فيما يهب لامرأته ولا المرأة فيما تهب لزوجها اجيزت أو لم تجز اليس الله تبارك وتعالى يقول : « ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » وقال : « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » وهذا يدخل في الصداق والهبة .

اقول : يستفاد من هذه الرواية ان الهبة غير المعوضة في الزوج والزوجة لازمة كما ذكرنا في الفقه وان الصداق داخل في الهبة من باب الدخول الحكمي لا الموضوعي .

وفي تفسير العياشي عن زرارة قال : « لا ترجع المرأة فيما تهب لزوجها حيزت أو لم تجز اليس الله يقول : فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

اقول : يستفاد ذلك من روايات كثيرة تقدم بعضها وقد ذكرنا ان الهبة بين الزوج والزوجة لازمة .

وفي تفسير العياشي ايضاً باسناده عن سماعة بن مهران عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « سألته عن قول الله تعالى « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » يعني بذلك اموالهن في ايديهن مما ملكن » .

اقول : الرواية تشمل الصداق وغيره مما ملكن .

وفي تفسير العياشي عن عبد الله بن القداح عن الصادق عن ابيه ( عليها السلام ) قال : « جاء رجل إلى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فقال يا أمير المؤمنين بي وجع في بطني فقال أمير المؤمنين ( عليه السلام )

الك زوجة ؟ قال نعم قال استوهب منها شيئاً طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلاً ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فاني سمعت الله يقول في كتابه : « وانزلنا من السماء ماءً مباركاً » وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس » وقال « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » شفيت ان شاء الله تعالى ففعل ذلك فشفي .

اقول : اقتباس حسن لطيف من الآيات المباركة واعمل الشفاء من الآثار الوضعية لما قرره في تلك الآيات الشريفة وقريب منها غيرها . وفي تفسير علي بن ابراهيم عن أبي جعفر ( عليه السلام ) في قوله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم » فالسفهاء النساء والولد إذا علم الرجل ان امرأته سفیهة مفسدة وولده سفیه مفسد لم ينبغ له ان يسلط واحداً منها على ماله الذي جعل الله له قياماً يقول : « فارزقوهم منه واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً » المعروف العدة .  
اقول : المراد بالعدة الوعد بالاحسان ، وتوصيف السفیهة بالمفسد بيان لبعض مراتب السفاهة .

وفي تفسيره ايضاً باسناده عن أبي بصير عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : شارب الخمر لا تصدقوه إذا حدث ولا تزوجوه إذا خطب ولا تعودوه إذا مرض ولا تحضروه إذا مات ، ولا تأتمنوه على امانة ؛ فن ائتمنه على امانة فاهلكها فليس على الله ان يخلفه عليها ولا ان يأجره عليها لان الله يقول : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم » واي سفیهة اسفه من شارب الخمر ؟ » .  
اقول : قد ورد في كثير من الاخبار تفسير السفیهة بشارب الخمر وهو صحيح من باب ذكر اللازم وارادة الملزوم فان شرب الخمر

ملازم لزوال العقل وعدم اصلاح المال خصوصاً إذا غلب عليه ذلك وصار مدمناً ويمكن الحمل على السفه الواقعي لا ما هو موضوع حكم السفه شرعاً وعلى هذا كل من ارتكب المعاصي سفیه من هذه الجهة ولا اختصاص بشرب الخمر لان « العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان » وكل ما كان خلافه فهو سفه .

وفي تفسير علي بن ابراهيم عن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال : « إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله ثم قال في بعض حديثه ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السئوال فقل له يا بن رسول الله اين هذا من كتاب الله؟ قال ان الله عزوجل يقول « لاخير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » وقال : « لا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً » وقال : « لا تسألوا عن اشياء ان تبدلکم تسؤکم » .

اقول : الروايات في ذلك كثيرة وما ذكره ( عليه السلام ) استفادة حسنة من الآيات الشريفة .

وفي تفسير العياشي عن يونس بن يعقوب قال : « سألت أبا عبد الله ( عليه السلام ) في قول الله : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم » قال : من لا تثق به » .

اقول : المراد من عدم الوثوق عدم تدبيره لاجل خفة في عقله كما مر في التفسير .

وعن علي بن ابراهيم في تفسيره عن علي بن أبي حمزة عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « سألته عن قول الله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم قال هم اليتامى لا تعطوهم حتى تعرفوا منهم الرشدا فقلت فكيف يكون اموالهم اموالنا ؟ قال اذا كنت انت الوارث لهم » .

اقول : مفاد الرواية التنزيل باضافة المال إلى كل من الوارث والمورث .  
وعن علي بن ابراهيم قال : أمير المؤمنين (عليه السلام) مَنْ كان في  
يده مال بعض اليتامى فلا يجوز له ان يعطيه حتى يبلغ النكاح ويحتم ،  
فاذا احتلم وجب عليه الحدود واقامة الفرائض ، ولا يكون مضياً  
ولا شارب خمر ولا زانياً فاذا انس منه الرشد دفع اليه المال واشهد  
عليه وان كانوا لا يعلمون انه قد بلغ فانه يمتحن بريح ابطه ونبت عانته  
فاذا كان ذلك فقد بلغ فيدفع اليه ماله إذا كان رشيداً ولا يجوز ان  
يحبس عنه ماله ويعتل عليه بانه لم يكبر بعد .

اقول : يظهر من هذه الرواية ان اتيان كل كبيرة سفه وهو  
كذلك وان لم يعمل مشهور الفقهاء بذلك وما ورد من الاختبار بريح  
الابط مهجور لدى الاصحاب ولم يعمل به احد .

وفي اسباب النزول للواحد في قوله تعالى : « وابتلوا اليتامى  
- الآية - » نزلت في ثابت بن رفاعه وفي عمه وذلك : « ان رفاعه  
توفى وترك ابنه ثابتاً وهو صغير فأتى عم ثابت إلى النبي ( صلى الله  
عليه وآله ) فقال له : ان ابن اخي يتيم في حجرى فما يحل لي من  
ماله ؟ ومتى ادفع اليه ماله ؟ فانزل الله تعالى هذه الآية » .

اقول : الرواية من باب ذكر المصدق والا فالآية الشريفة عامة إلى  
يوم القيامة .

وفي الفقيه باسناده عن الصادق ( عليه السلام ) : « انه سئل  
عن قول الله عزوجل : « فان آنتم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم »  
قال ايناس الرشد حفظ المال » .

اقول : قريب منها ما عن العياشي في تفسيره ومثل هذه الروايات  
تبين اظهر مصاديق الرشد واثاره .

وفي الفقيه ايضاً باسناده عن الصادق ( عليه السلام ) في تفسير قوله تعالى : « فان آنتم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم » قال : « اذا رايتموهم يحبون آل محمد فارفعوهم درجة » .

وقال ابن بابويه « ان الحديث غير مخالف لما تقدم وذلك انه اذا اونس منه الرشد وهو حفظ المال دفع اليه ماله وكذلك اذا اونس منه الرشد في قول الحق اخبر به وقد نزل الآية في شيء ونجى في غيره » .  
أقول : قريب منها ما عن العياشي في تفسيره ويظهر من مثل هذه الرواية ان ترك كل كبيرة مأخوذ في معنى الرشد وان رفع الدرجة اخص من دفع المال لهم .

وفي الفقيه ايضاً باسناده عن منصور بن حازم عن هشام عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « انقطاع يتم اليتيم الاحتلام وهو اشدّه وان احتلم ولم يونس منه رشد وكان سقيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليه ماله » .  
أقول : المراد من الضعف ضعف التدبير في اموره وان لم يبلغ مرتبة السفه .

وعن ابن بابويه باسناده عن صفوان عن عيص بن القاسم عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « سألته عن اليتيمة متى يدفع اليها ؟ قال : اذا علمت انها لا تفسد ولا تضعيع ، فسألته ان كانت قد تزوجت ؟ فقال : اذا تزوجت فقد انقطع ملك الوصي عنها » .

أقول : المراد من النزويج الكناية عن بلوغها تسع سنين .  
وفي الكافي باسناده عن عثمان بن عيسى عن الصادق ( عليه السلام ) في قول الله عزوجل : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » قال : « من كان يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له ما يقيمه فهو يتقاضى اموالهم ويقوم في ضيعتهم فليأكل بقدر الحاجة ولا يسرف فان كانت

ضعيحتهم لا تشغله عما يعالج لنفسه فلا يزرأ من اموالهم شيئاً .  
اقول : ان العامل في مال اليتيم - ولياً كان أو غيره - من يستحق  
اجرة مثل عمله ان لم يقصد الاباحة المطلقة هذا بحسب القواعد الشرعية  
وما ورد من الاخبار الدالة على غير ما ذكرنا كما تقدم فهي محمولة  
على الفضل والفضيلة .

وفي الكافي أيضاً باسناده عن عبدالله بن سنان عن الصادق (عليه السلام)  
في قول الله عزوجل : « فليأكل بالمعروف » قال : « المعروف هو  
القوت وانا عنى الوصي أو القيم في اموالهم وما يصلحهم » .

اقول : قريب منه ما عن الشيخ في التهذيب والمراد من القوت  
هو القوت الغالب فتطبق الرواية على اجرة المثل غالباً .

وفي التهذيب باسناده إلى أبي الصباح الكناني عن الصادق (عليه السلام)  
في قول الله عزوجل : « مَنْ كَانَ فَقِيْرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ » قال :  
« فذاك رجل يحبس نفسه عن المعيشة فلا بأس ان يأكل بالمعروف إذا  
كان يصلح لهم فان كان المال قليلاً فلا يأكل منه شيئاً » .

اقول : هذه الرواية وامثالها محمولة على مراتب الفضل .

وفي تفسير العياشي عن عبدالله بن اسباط عن الصادق (عليه السلام)  
قال : « سمعته يقول ان نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس يسأله  
عن اليتيم متى يتقضي يتمه ؟ فكتب اليه اما اليتيم فانقطاع يتمه وهو  
الاحتلام إلا ان يونس منه رشداً بعد ذلك فيكون منفيهاً أو ضعيفاً  
فليشد عليه » .

اقول : معنى ذيل الرواية اي لا يعطى ماله اليه .

وفي تفسير العياشي باسناده عن أبي بصير عن الصادق (عليه السلام)  
في قول الله : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل

بالمعروف ، فقال هذا رجل يحبس نفسه لليتيم على حرث أو ماشية ويشغل فيها نفسه فليأكل منه بالمعروف وليس ذلك في الدنانير والدرهم التي عنده موضوعة .

اقول : ان الدرهم والدنانير لو كانتا بنحو الامانة والا فحكمتها حكم غيرهما .

وعن العياشي في تفسيره باسناده عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « سألت عن قول الله : «ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف» قال : ذلك إذا حبس نفسه في اموالهم لا يحترث لنفسه فليأكل بالمعروف من اموالهم » .

اقول : هذه الرواية محمولة على الفضل والا يجوز له اخذ اجرة المثل وان كان محترثاً لنفسه ايضاً .

وعن رفاعه عن أبي عبد الله ( عليه السلام ) في قوله « فليأكل بالمعروف » قال كان أبي يقول انها منسوخة .

اقول : وفي الدر المنثور : « نسختها ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً - الآية » والمراد من النسخ الاطلاق والتقييد لا النسخ المصطلح . وعن زرارة ومحمد بن مسلم عن الصادق ( عليه السلام ) انه قال : « مال اليتيم ان عمل به من وضع على يديه ضمنه ولليتيم ربحه قال قلنا له قوله « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » قال انها ذلك إذا حبس نفسه عليهم في اموالهم فلم يتجر لنفسه فليأكل بالمعروف من مالهم » .

اقول : انها محمولة على الفضل والفضيلة كما تقدم في الروايات السابقة . وفي مجمع البيان في قوله تعالى : « رشدآ » قال : « المراد به العقل واصلاح المال وهو المروي عن الباقر ( عليه السلام ) وقال في قوله



تعالى : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » معناه من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما أخذ قال وهو المروي عن الباقر ( عليه السلام ) .  
 أقول : اما الاول فقد تقدم انه من باب ذكر اهم المصاديق والثاني محمول على الفضيلة والا فيجوز له اخذ اجرة عمله كما مر .

### بحث قرآني

مقتضى الروايات الواردة ان لكل واحد من الآيات الشريفة القرآنية آثاراً وضعية وخواصاً واقعية معلومة وهي واضحة لاهل العرفان بالتجربة والاختبار بعد الخلوص والاخلاص - وقد تقدم بعضها في البحث الروائي - ومن تلك الآثار والخواص شفاء المرضى وقضاء الحاجات وكشف الكربات وكانت الآيات المباركة في مدة من الزمن يستشفى بها في جملة كثيرة من المرضى وذوي الاسقام عند الاختيار ولكن كثرة الحجب الظلمانية منعت عن تلك الآثار، فعدم الاثر لوجود المانع لاعدم المقتضي .

ولعل السر في وجود تلك الخواص الاثر المعنوي الموجود في تلك الآيات الكريمة وانها عين الواقع والحقيقة التي لا ريب فيها فهي واقع محض صدر عن واقع محض ومن بيده مقاليد السموات والارض ومن بيده ملكوت كل شيء ومن عنده مفاتيح الغيب فلا بد من التأثير وتحقق تلك الخواص حينئذ لا محالة .

ولذا لا يختص الاثر في الآيات المباركة بطائفة خاصة ويعم الجميع

فان رحمته جلت عظمته غير محدودة ولا تختص بطائفة من الناس .  
نعم تشخيص المورد له اهمية عظمى ورفع الحجب الظلمانية اهم  
منه بمراتب فعلم الاثر في بعض الموارد اما لعدم التشخيص أو لوجود  
الحجب ( المانع ) والا فان المقتضي تام .  
ولا فرق في ذلك بين ان يكون الاثر مترتب على نفس الآيات  
الشريفة كما ذكره في كتب خواص الآيات الكريمة أو على ما يستفاد  
منها كما علمه علي ( عليه السلام ) على ما تقدم في البحث الروائي .  
وينبغي ان يعد هذه الآثار والخواص من معجزات الآيات الكريمة  
وكراماتها الباهرة التي تظهر بعد القرون والدهور .

وانما لا تظهر لبعض النفوس لغلظة الحجب الظلمانية عليه ولعله بعد  
ظهور همس الحقيقة عن افق الغيبة ينحصر علاج المرضى بالقرآن  
وآياته المباركة وانكشاف المهات وقضاء الحاجات بها ولا بد وان يكون  
كذلك لان القرآن لم يتجل بعمد بحقيقته النورانية ولم ينطق به الا  
الشفاه ولم تليج بها الا الالسنه وكيف يكون مورد التجلي الاعظم في  
كتابه الكريم بذلك !! .

ويشهد لما تقدم شواهد كثيرة معلومة منها : الدعوات الكثيرة  
المأثورة عن الائمة الهداة ( عليهم السلام ) لشفاء بعض الامراض  
والاسقام الواردة فيها الآيات الكريمة من القرآن .

ومنها : ما تقدم في البحث الروائي وفي تفسير العياشي قال :  
اشتكى رجل الى أمير المؤمنين ( عليه السلام ) فقال له : سل من  
امرأتك درهماً من صداقها فاشتر به عسلاً فاشربه بماء السماء ففعل  
ما امر به فبرىء فسأل أمير المؤمنين ( عليه السلام ) عن ذلك أشيء  
سمعت من النبي ( صلى الله عليه وآله ) قال : لا ولكني سمعت الله

يقول في كتابه «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً»  
وقال : « يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس »  
وقال : « انزلنا من السماء ماءً مباركاً ، فاجتمع النبيء المرئيء  
والبركة والشفاء فرجوت بذلك البرء » .

ومنها : الروايات الواردة في خواص الآيات الكريمة وآثارها  
المذكورة في الكتب المعدة لها وبعض التفاسير .

### بحث فقهي

يستفاد من الآيات المباركة المتقدمة احكام :

الاول : ان اطلاق الآية الشريفة « وآتوا اليتامى اموالهم » يشمل  
كل يتيم ذكراً كان أو انثى صغيراً كان أو كبيراً ان كان محجوراً عليه .  
كما لا فرق بين من عين الاب له قيمياً اولاً . نعم لو كان الجد  
موجوداً فالولاية له .

ولا فرق في مال اليتيم بين ما اذا وصل اليه بارث أو غير ذلك  
من الهدايا والمنح فان جميع ذلك ماله فتشمله الآية الكريمة .

الثاني : مقتضى الآية الشريفة وما وردت من الروايات انه يجوز  
لليتيم التصرف في امواله مع تحقق الشرائط وهي : ان يكون التصرف  
باذن الولي - شرعياً كان الولي أو تكوينياً . وان يكون فيه المصلحة  
لليتيم كما فصلناها في كتابنا ( مهذب الاحكام ) وان يكون التصرف  
سائغاً شرعاً كما يجوز للولي التصرف في اموال اليتيم بشرط عدم المفسدة  
بل مع وجود المصلحة كل ذلك كما فصلناه في الفقه .

الثالث : لا تختص حرمة تبديل الخبيث بالطيب باموال اليتامى بل يجري ذلك في تبديل كل مال كذلك ولو كان من الكبير والرشد مع عدم مجوز شرعي لان ذلك اكل بالباطل وقال تعالى : « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل البقرة - ١٨٨ وقال تعالى : « ويل للمطففين الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، المطففين - ٣ ولكن في اموال اليتامى تكون الحرمة اشد وأكثر تنفراً من غيرها ولذا أكد النهي فيها .

ولو فعل ذلك احد لا يملك الطيب وتشتغل ذمته برده الى صاحبه ومع التلف ينتقل الى العوض بالمثل أو القيمة .

الرابع : ان قوله تعالى : « ان لا تعولوا » عام يشمل النفقة وغيرها والتودد الخارجي بل الميل القلبي أيضاً نعم ما كان خارجاً عن الاختيار في القسم الأخير فهو معفو عنه وان كان تحت الاختيار وترتب عليه الاثر يكون داخلياً في احد الاولين .

الخامس : مقتضى اطلاق الآية الشريفة وما ورد من الروايات ان السفیه كما هو محجوز عليه في ذمته فلا يصح ان يتعهد مالا أو عملاً كذلك لا يصح اقتراضه وضمانه ولا بيعه ولا شراؤه بالذمة ولا تزويجه ، وكذا لا يصح ان يجعل نفسه اجيراً وعاملاً للمضاربة والمزارعة والمساقاة وغير ذلك للحجر عليه شرعاً .

كما ان المراد من عدم نفوذ تصرفات السفیه هو عدم استقلاله في ذلك فلو كان باذن الولي صح ونفذ .

السادس : لو احرز رشد السفیه سلم اليه امواله كما نصت عليه الآية الشريفة وغيرها من الروايات ولو لم يحرز رشده واشتبه بحاله يختبر السفیه بما يناسب شأنه بتفويضه البيع والشراء والاجارة وغيرها

بما يناسبه وكذا السفيهة وقد فصلنا ذلك في الفقه ومن شاء فليراجع كتابنا ( مهذب الاحكام ) .  
السابع : يجب دفع اموال السفيه اليه فوراً بعد تحقق الرشد واحرازه لاصالة فورية دفع مال الغير اليه كما اثبتها الفقهاء وذكرناها في الفقه .  
الثامن : الاستعفاف لاولياء اليتامى عن التصرف في اموال اليتامى حسن وليس بواجب شرعاً لانه يجوز اخذ اجرة عمله وان كان غنياً كما اثبتناه في الفقه .

وكما ان الاكل بالمعروف كذلك ليس بواجب عليه بل له ان يرفع اليد عن ذلك ويعطى الجميع للتبسط .

### بحث فلسفي

من اهم الاصول النظامية التكوينية الثابتة في علم الفلسفة التزاوج بين المادة الفاعلية والمادة المنفعلة بلا فرق في ذلك بين الانسان والحيوان والنبات كما بينه تعالى : « وارسلنا الرياح لواقح » الحجر - ٢٢ .  
فالتزاوج بينهما من الاصول التكوينية التي يقوم بها هذا العالم وله حدود وقيود لا يحيط بها الا الله تعالى وان ظهر بعض منها بالتجربيات في ممر العصور والدهور وبقيت جملة كثيرة اخرى منها في الخفاء والكون وسيظهر بعد ذلك ان شاء الله تعالى .

ويختص الانسان من بين الحيوانات في هذا التزاوج والسفاد بمراسم خاصة قررها الشارع بمقتضى ان الاسلام دين الفطرة وعبر عنها في الكتب السماوية بالنكاح وأكد الترغيب اليه قال تعالى « وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم واما انكم ان يكونوا فقراء يغنهم

الله من فضله ، النور - ٣٢ وفي السنة المقدسة اخبار متواترة ترغب اليه مثل قوله ( صلى الله عليه وآله ) : « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقوله ( صلى الله عليه وآله ) : « تناكحوا وتناسلوا قاني اباهي بكم الامم » إلى غير ذلك من الروايات .  
كما نهى عن النكاح الذي لا يتوفر فيه تلك الشروط وعبر عنه بالزنا واكد سبحانه وتعالى في النهي عنه كقوله تعالى : « ولا تقرّبوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » الاسراء - ٣٢ .

وقد حدد الشارع الاقدس الزواج الدائم باعداد معينة وهي اربع وفي غيرها بقيود اخرى كما تقدم في الآية الشريفة وسيأتي في البحث الآتي وجه التشريع في ذلك .

كما قرار نكاح جميع الملل والنحل فيما بينهم لانه امر طبيعي بين البشر لا يختص بملة دون اخرى ولا يمكن التخلي عنه الا ان الشارع حدده بقيود لاجل تنظيم النظام وحفظ الانساب وغيرها من الحكيم .

### بحث اجتماعي

الآيات الشريفة المتقدمة تدل على اباحة تعدد الزوجات في الاسلام وهذا الموضوع طالما اعترض اعداء الاسلام عليه واتخذوه نحو قذح فيه ، وقد استنكرت الجاهلية المعاصرة تعدد الزوجات واعتبرته من عوائق التقدم الحضاري ، وان التعدد بخلاف المصلحة بل موجب لسلب السعادة . ونحن في هذا البحث نذكر جملة مما ذكره اعداء الاسلام من المناقشات والاشكالات على هذا الموضوع ثم الجواب عنها ثم نعالج الموضوع على ضوء ما ورد في الكتاب في هذا المضمار .

## الإشكالات :

قد استشكلوا على حكم تعدد الزوجات بإشكالات متعددة نلخص نذكر المهم منها .  
الاول : ان تعدد الزوجات خلاف الطبيعة فان التجربة والاحصاء يدلان على تساوي عدد الذكور والاناث في جميع الامم والقبائل ويستفاد من ذلك ان الطبيعة اقتضت ان يكون الواحد من الذكور لواحدة من الاناث وخلاف ذلك يكون خلاف الطبيعة .

الثاني : ان حكم تعدد الزوجات ينافي الغرض المنشود من المجتمع الذي لا بد ان يسوده الحب والتعاون والتآلف بين الافراد وانه يعكس روح الانتقام في النساء من الرجال الذين اساءوا اليهن .

ويوجب الاهمال والتناقل في تربية الامرة والاولاد واشاعة الفساد والخيانة وهو مما يوجب انحطاط المجتمع الى الشقاء والغواية .

الثالث : ان تعدد الزوجات استهانة لحرمة النساء في المجتمع فان معادلة الاربع من النساء بالواحد من الرجال تعريض لحقوقهن للخطر واعراض عن عواطفهن .

الرابع : ان هذا التشريع يوجب ازدياد الشهوة في الرجال وترغيبهم الى الشره وبالآخرة انه يوجب تقوية هذه القوة في المجتمع .

هذه هي اهم الاشكالات التي اوردوها على هذا التشريع الالهي .

## الجواب عن الاشكالات :

ويمكن الجواب عن تلك الاشكالات بوجوده :

الاول : ان ما ذكروه من ان التشريع بخلاف الطبيعة فهو باطل  
 اما اولاً فان تساوي عدد الذكور والاناث امر يكذبه الوجدان  
 والاحصاءات المتعددة التي اعلنت وتعلنها الجهات المختصة في مختلف  
 العصور فان الحروب والحوادث وكذا الموت تصيب المجتمعات فتفتني  
 من الرجال اكثر من النساء وهذا امر ثابت بالوجدان .

وثانياً : ان امر الزواج لا يستند على ما ذكروه من ان الطبيعة  
 ساوت بين الرجال والنساء في العدد ، بل ان هناك اموراً اخرى ما  
 فان النساء يختلفن عن الرجال في التهيؤ إلى النكاح وصلاحهن للازدواج  
 والمضاجعة والانجاب ولهذا اعتبر الاسلام سنن التكليف في النساء  
 بلوغ العشر ، وفي الرجال بلوغ الست عشرة من السنين وذلك  
 لاختلاف الطبايع في الطائفتين وهذا يكشف عن ان الطبيعة تقتضي  
 التعدد كما هو واضح .

الثاني : ان ما ذكروه من ان التعدد يميمت عواطف النساء وتخب  
 آملهن فهو باطل . لان الانسان مركب من امرين التعقل والعواطف  
 والاحساس . والسعيد هو الذي يمسك زمام العواطف والاحساس  
 ويجعلها تحت ادارة التعقل ، والاسلام ومائر الاديان السماوية ارادت  
 من تعاليمها وضع الانسان في مسير التعقل . وتهيئة المجتمع الانساني  
 على نحو تقررته الحياة العقلية دون الاحساس والعواطف التي لا تهدي  
 إلى الكمال المنشود ، وعلى هذا فالمرأة التي هذبتها الاخلاق الفاضلة ،  
 وقومتها التعاليم الاسلامية الرشيدة فانها تجعل التعقل مقام العواطف  
 والنزوات الشهوانية فهي ترى السعادة في ذلك .

وما ذكروه قياس بين المجتمعات الغربية التي هي قائمة على تلك  
 العواطف والشهوات الحيوانية البغيضة والمجتمع الاسلامي الذي قوامه



التعقل ، ومن ثم نرى ما عليه من التفكك والانحطاط الخلقي وانواع الشر والفساد المتداول بينهم لانهم خرجوا عن الفطرة التي خلقهم الله تعالى عليها والصراط الذي اعدته التعاليم الالهية لهم فنرى ان المنكر الذي يعترف به العقل يكون معروفاً عندهم . وانهم يشرعون القوانين في اباحة الفساد والدمار وهذا لم يكن قبيحاً عندهم ولا تجرح العواطف ولكن تعدد الزوجات يسها ويميت الآمال هذه هي المدينة الحاضرة التي وصلت إلى الطريق المسدود .

الثالث : ان ما ذكره من ان تعدد الزوجات تضييع لحقوق النساء وعدم الاحترام لعواطفهن باطل ، لما ذكرناه مراراً من ان الاسلام اعطى لكل ذي حق حقه ، وانه احترم النساء وراعى حقوقهن بمالم يكن في ملة اخرى ويتبين ذلك بوضوح عند معرفة منزلة النساء في المجتمعات الاخرى غير المجتمع الاسلامي . هذا مضافاً إلى ان تعدد الزوجات لم يكن تضييعاً لحقوق احد فان الاسلام في تشريعه هذا كان ينظر إلى أبعد من ذلك كما ستعرف ان شاء الله تعالى .

الرابع : ان ما ذكره من ان تعدد الزوجات يزيد في شره الرجال والترغيب إلى الشهوة فهو مغالطة واضحة فان التربية الاسلامية الحقيقية تضع الرجال والنساء في هذا الموضوع في احسن تقويم فان النساء اللاتي لا تقل شهوتهن عن شهوة الرجال لو اثرت التربية الواقعية فيهن جميعاً فانهن يضعن تلك الشهوة الغريزية في الطريق المستقيم الذي حسده الاسلام فتراه يعطي لهذه الحاجة الغريزية حقها ويفتح لها سبل معالجتها والحد من سورتها ويمنع الكبت والجرمان ولكنه يحرم الفجور والفحشاء والاسترسال في الاهواء الباطلة وكل ما يوجب إثارة الشهوة ، فهو قد وضع هذه الغريزة الجاحمة تحت سيطرة التعقل فلا يمنعها حتى يوجب

الكبت والحرمان ولا يطلقها ويبسطها كل البسط ليزيد الفحشاء والفجور فكان هذا التشريع الجديد من اهم السبل في تحديد هذا الغرض .  
 يضاف إلى ذلك ان الاسلام لم ينظر إلى النكاح بانه مجرد قضاء حاجة وقتية بل كان نظره إلى انه من سبل التربية الحقيقية فقد تحقق فيه جميع اساليب التربية الخلقية والنفسية وهذا ما يمتاز به هذا الدين القويم عن سائر الاديان الالهية . وسيأتي في الموضوع المناسب بيان ذلك ان شاء الله تعالى .  
 وعلى هذا يكون التشريع مشتملاً على وجوه الحكمة والصواب فانه أباح ذلك حفظاً للمجتمع الانساني وتكثيراً للنسل والاولاد ومراعاة للمقوق من الضياع ومدرسة للتربية الواقعية وغير ذلك مما اعترف به الخصم واقرت به بعض الجمعيات التي رأت في تشريع تعدد الزوجات الخير والسعادة .

ومما ذكرنا يظهر الوجهه في ادعاء بعض من اننا نرى ان الذي تزوج بزوجتين أو اكثر في شقاء دائم وصراع مستمر بين الضرتين أو الضرائر مما يسلب الهناء من العيش والصلاح من الحياة وربما يبلغ من شدة الحال انه يكون الامر على خلاف المرجو من هذا التشريع فان ذلك مغالطة بين الواقع والخيال .

وبتعبير آخر : انه خلط بين التشريع والتطبيق فان الاسلام راعى في هذا التشريع المصالح العامة واما إذا اصطدمت هذه المصالح مع العادات والتزوات الشخصية فان الاحكام الشرعية تتبع المصالح والمفاسد الواقعية واما مرحلة العمل والتطبيق فانها راجعة إلى المكلف نفسه فان اللازم على المكلف ان يراعي جميع ما اعتبر في التكليف والتطبيق بين ما اراده الشارع المقدس وعمل المكلف وفي هذه الحالة يؤثر التشريع اثره المطلوب والا فان الاثر السيء الذي يقع خارجاً يكون

نتيجة عمل المكلف وسوء تربيته وهذا الوجه جار في جميع التشريعات الالهية بل التشريعات الوضعية أيضاً ، وليس لاحد العذر في انها لم تؤثر اثرها لان الناس لم يراعوا حقها ولم يعملوا بها على ما اراده المشرع فمرحلة العمل والتطبيق امر يرجع إلى الناس ومرحلة التشريع امر آخر فانه يرجع إلى الشارع الذي يلاحظ المصالح العامة .

### نظر الاسلام في هذا التشريع :

الآية الشريفة المتقدمة التي تضمنت خطاباً موجهاً للعموم كسائر الخطابات القرآنية التي تكفلت تربية الناس تربية حقيقية واقعية فانها تجعل الاباحة أو الترخيص اصلاً ثم تورد القيود على هذا الاصل على حد يكون موجبا لتضييق مجالها إلى الحد الذي تستقيم به الحياة ويتحقق الكمال المنشود وهذا الاسلوب من اهم الاساليب التربوية التي تؤثر في النفس وتستلقت النظر إلى المضمون ، فقد جعلت هذه الآية الشريفة اباحة التعدد وجوازه هو الاصل ثم أوردت القيد الذي يضيق هذا الاصل إلى الحد الذي يتحقق به الكمال وينتظم به الحياة ، وهو العدل بين الزوجات وانه لا يتحقق ولن يتحقق إذا لم يترتب الفرد بالتربية الالهية ولم يقم بالوظائف الشرعية فيكون هذا التشريع جامعاً لمكارم الاخلاق واهم الاحكام الاجتماعية واعظم الاسس التربوية .

ومن توجه الخطاب إلى العموم « فان خفتم الا تعدلوا » يستفاد ان التعدد لا بد ان يحدث في المجتمع الذي يسوده العدل بحيث يتزوج رجل واحد عدة نساء في ظل العدل والانصاف يسودهم الاخاء والمحبة فاذا توفرت تلك الشروط جاز التعدد والا كانت الوحدة افضل

فيستفاد من الآية المباركة ان الوحدة هي المطلوبة وان كان التعدد مباحاً بلا ريب ولا اشكال وإذا تحققت القيود التي ذكرها الشارع كانت الحياة معها افضل وامناً .

### تعدد ازواج النبي ( صلى الله عليه وآله ) :

بعدها عرفت الوجه في تشريع تعدد الزوجات في الاسلام والحكمة فيه يتضح لك الوجه في تعدد زوجات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) فقد كان (ص) المتفرد بامثال هذا التكليف الالهي باكمل وجهه فصار اسوة في هذا المجال حتى عد من مختصاته المعروفة حسن المعاشرة مع نسائه ورعاية حقوقهن والعدل بينهن وكفى به حجة على اعداء الاسلام الذين اعترضوا على هذا الترخيص الالهي ومع ذلك فقد اعترض بعضهم على تعدد زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) بانه لا يخلو عن الشره والانقياد للداعي الشهوة ، مع انه (صلى الله عليه وآله) لم يقنع بما شرعه لامته فتعدى منه إلى الازدواج بالتسع من النسوة . ولكن المتأمل في حياة هذا الرجل العظيم الذي يعتبر بحق انه مثال للكمال المطلق والذي ملحه الجليل الاعلى بقوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم ، القلم - ٤ انه بعيد عن ما نسبوه اليه كل البعد ولم يظهر اي اثر من آثار الشره والانقياد إلى الشهوة عليه في تمام مدة حياته وفي معاشرته مع النساء وهو الذي امره الله تعالى بان يخبر ازواجه بين التمتع والطلاق ان كن يردن الدنيا وزينتها على ما نزل عليه في كتابه المجيد من امره فقال تعالى : « يا ايها النبي قل لازواجك ان

كثرت تزدن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً وان كتن تزدن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ، الاحزاب - ٢٩ وكيف ينطبق عليه وقد زهد عن الدنيا وزخارفها واعرض عن كل ما يلهيه عن ذكر الله تعالى . ومن ذلك كله استفاد انه ( صلى الله عليه وآله ) اراد من زواجه بهن غير الذي ذكروه فهو قد اراد إماتة العادات الجاهلية اولاً ، واطهار منزلة النساء التي اهلوها عندهم ثانياً ، وبيان كيفية المعاشرة معهن ثالثاً ، وليعطي الاهداف الخاصة في زواج كل واحدة منهن رابعاً . هذا موجز الكلام وسيأتي في الموضوع المناسب تفصيله .

### بحوث عرفانية

الاول : يصح ان يراد باليتيم في الآية المباركة كل ذي حق واجب لا بد في نظام التكوين والتشريع مراعاة ذلك الحق وان لم يكن من اليم اللغوي كالانبياء والائمة المعصومين ( عليهم السلام ) والعلماء العاملين بعلمهم والتاركين للهوى مطلقاً فانهم بين الوري محرومون لا يعرف حقهم ولا يتخلقون باخلاقهم ، وهم يعيشون منفردين في مجتمع لا يهتمون إلا بالماديات الصرفة والظواهر الحسية ولا يعرفون من وراء ذلك شيئاً ويدل عليه قول أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) « نحن اليتيم » فهم أيتام بهذا المعنى ويتيمة جميع العوالم الامكانية . وكل من يرشد الى الحق بالحق في الخلق يتيم بين الخلق الذين هم لا يعرفونه حق معرفته وغرباء في بلدتهم كما في الحديث « المؤمن غريب في بلده

لا يستأنس الا بايمانه ، فلا بد من الاهتمام بايتاء حقوقهم والتخلق باخلاقهم .  
 الثاني : اذا كانت الماديات لا تنحصل لها صورة نوعية ولا تدخل  
 لها في النظام الاحسن الكياني الا بالترابط بينها بارتباط القوى الفاعلية  
 بالقوى المنفعلة فالمعنويات اولى بذلك فما لم يرتبط من له مقاليد  
 السموات والارض ومن عنده مفاتيح الغيب والمعية القيومية مع الممكنات  
 لا وجه لتحقيقها في اي مرتبة من مراتب التحقق قال تعالى : وهو  
 معكم ايما كنتم ، الحديد - ٤ وقال تعالى : ونحن اقرب اليه من  
 حبل الوريد ، ق - ١٦ وقال علي ( عليه السلام ) : ما رأيت شيئاً  
 الا ورأيت الله قبله وبعده وفيه ، فلا يمكن تحقق اي امر معنوي الا  
 بذلك قال نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) : الله في ايام دهركم  
 نفحات الا فتعرضوا لها ، وليست تلك النفحات من الجواهر والاعراض  
 او الوهيات بل هي شوارق غيبية تندفق من عالم الغيب على القلوب  
 المستعدة ومثله قوله ( صلى الله عليه وآله ) في شأن اويس القرني :  
 « اني اشم نفس الرحمن من ناحية اليمن » ففي ارتباطات النفوس المقدسة  
 مع معدن الكبرياء والعظمة تتحقق بناييع من المعنويات يصفو عندها  
 كل معدن ويهيج . وكيف لا يكون كذلك والانسان الكامل هو مفخر  
 الاملاك وغاية حركات الافلاك وظاووس الكبرياء وحمم الملكوت .

الثالث : يصح ان يراد من الخبائث في قوله تعالى : ولا تتبدلوا  
 الخبيث بالطيب ، جميع حرمان الله تعالى سواء كانت من الماديات او  
 من غيرها مما حرمه الله تعالى فانها توجب البعد عن ساحته والقرب  
 إلى الشيطان وللخبائث مراتب شدة وضعفاً .

والمراد من الطيب ما يوجب القرب إلى ساحته عزوجل وله ايضاً  
 مراتب شدة وضعفاً كما يكون القرب والبعد كذلك .

والفطرة السليمة تأتي من تبدل الخبيث بالطيب إلا إذا عميت عين  
البصيرة وعطبت الفطرة المستقيمة بالحجب الغليظة وحينئذ تختار النفس  
الامارة بالسوء الخبيث على الطيب .

فآية المباركة تجري في جميع الأقوال والأفعال والحركات بل  
المعتقدات فإن جميعها تنصف بها وتطبقها على المال من باب الكلي  
على الفرد .

لِيُرْجَالَ تَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ  
وَاللنِّسَاءِ تَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ  
مِمَّا قُتِلَ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ تَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) وَإِذَا  
حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ  
فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨)  
وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْقِهِمْ ذُرِّيَةً  
ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا  
سَدِيدًا (٩) إِنَّ لِلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ  
ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ  
سَعِيرًا (١٠)

الآيات الشريفة تشمل على أهم حكم من الأحكام الاجتماعية التي  
تبني على شريعة الحق وهو حكم الارث ونظراً لاهميته فقد ذكر  
سبحانه وتعالى من المقدمات تمهيداً وتثبيتاً له بعدما سادت تقاليد  
وعادات جاهلية .

وقد بين عزوجل ان الجميع رجالاً ونساءً لهم النصيب من الارث

ولا حرمان لأحد اذا ثبتت الولادة أو القرابة . وقد حذر الناس من  
تحريم الايتام عما فرض الله تعالى لهم وأكل اموالهم ظلماً وعدواناً ،  
وأوعد سبحانه وتعالى على أكل اموالهم بالخزي وسوء العذاب .  
وقد تعرضت الآيات الشريفة لحكم أدبي اجتماعي وهو رزق اولي  
القربى واليتامى والمساكين - اذا حضروا قسمة التركة - غير ذوي  
النصيب منهم .

### التفسير

قوله تعالى : للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقرابون .  
النصيب : الحظ والسهم ويجمع على انصباء وانصبة . والمراد به  
مطلق السهم سواء كان بالفرض كالسهم الستة المعروفة أم بالقرابة كما  
في غيرها كالولد إذا انفرد فان المال كله له بالقرابة أو انضم اليه  
بنت أو بنات فان للذكر مثل حظ الانثيين .  
والمراد من الرجال ايضاً مطلق الذكر وان كان صغيراً فان الصغار  
كالكبار لهم النصيب من التركة . ولعل التعبير بالرجال لبيان ان المناط  
في تسليم المال كون الوارث بالغاً مبلغ الرجال كما ذكره عزوجل في  
الآية السابقة وهذا وجه آخر من وجوه الارتباط بين هذه الآيات الكريمة .  
والظرف في « ما ترك » متعلق بـ « نصيب » وقيل متعلق بمحذوف  
صفة للنكرة . والتركة اسم لكل ما يخلفه الميت وما بقي من ماله  
كانه تركه وارثه .



قوله تعالى: وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون.  
الحكم عام كسابقه لا يختص بوصف معين أو حال والمراد من  
النساء مطلق الإناث من غير اختصاص بالكبار ، والوجه في التخصيص  
ما تقدم من أن المتأخر هو بلوغهن مبلغ الإناث البالغات .  
والإظهار في موقع الأضرار لدفع كل لبس واحتمال ، وليبين أن  
السبب في التوارث هو الولادة والقربان وهذا هو أصل من الأصول  
المهمة في الفقه الإسلامي ، وهذا الأصل بين الشريعة الحق في قانون  
الارث والعدل الإلهي في هذا الحكم والاسلام يرد بذلك على تلك العادات والتقاليد  
الجاهلية التي كانت تحرم المرأة وبعض الوارثين عن حقوقهم . والاسلام  
يبين هذا الأصل المبتني على دعائم قوية وهي الأخوة الإيمانية والحب  
في الله والقربان الشرعية دون العصبية والاهواء الباطلة ولذلك نرى أن  
المؤمنين قبلوا هذا الحكم بمجرد التشريع لموافقته للفظرة والعدل .  
والآية الشريفة تبين أن الرجال والنساء مشتركون في تركة مورثهم  
وإن لكل واحد منهم نصيباً فيها ، وأما توزيع المال الموروث فسيأتي  
بيانه في الآيات اللاحقة من هذه السورة .

قوله تعالى : مما قل منه أو أكثر .

تأكيد للحكم السابق ، وزيادة في التوضيح لانه يستفاد ذلك من  
إطلاق قوله تعالى : « مما ترك » ، ولدفع كل توهم في تحريم بعض  
الورثة من القليل أو الحقير دون الكثير والعظيم أو بالعكس فانهم سواء  
في جميع التركة قليلة كانت أو كثيرة بالنسبة إلى أصل الورثة ، وأما  
الكمية فلها شأن آخر سيأتي بيانها بالتفصيل .

قوله تعالى : نصيباً مفروضاً .

مفعول مطلق نوعي يبين النصيب المجمل الذي ذكره عزوجل في صدر الآية الشريفة وفيه التأكيد للمعنى السابق ايضاً .  
اي : ان ذلك النصيب للرجال والنساء مقطوع ومفروض من الله تعالى لا يقبل التغيير والتبديل والاختلاط والابهام ، ولعل تسببه الموارث بالفرائض لاجل هذه الآية الكريمة .

قوله تعالى : واذا حضر القسمة اولوا القربى .

مقتضى السياق أن المراد بالقسمة قسمة التركة والميراث ، ويمكن ارادة التعميم ويكون قسمة التركة من باب المثال لكل قسمة فتشمل قسمة اموال اليتامى بعد البلوغ والرشد ، والحضور عند الميت حين الوصية لان كل ذلك نحو إحسان وصلة لاولي القربى ويوجب التألف والتعاطف وان كان ظاهر السياق من الآية الكريمة هو الاول .  
والمراد باولي القربى هم الفقراء من اقرباء الميت غير الوراث الاقربين وبدل على ذلك ذكر الورثة قبل ذلك وذكر اليتامى والمساكين بعده .

قوله تعالى : واليتامى والمساكين .

المحتاجون من غير اولي القربى الذين يحضرون حين القسمة .

قوله تعالى : فارزقوهم منه .

اي : فاعطوهم شيئاً من المال المقسوم المدلول عليه سابقاً .  
وظاهر الخطاب للورثة واولياء الميت الذين يقسمون المال وراثه .  
ولم يعين سبحانه وتعالى المقدار اذ المناط تحقق هذا العنوان في اي مقدار تحقق ما لم يكن اجحاف في البين على الورثة ونظير هذه العبارة

تقدم في قوله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها » النساء - ٥ ولعل الاختلاف في الظرف يرجع إلى استمرار الانفاق من الجماعة التي تولت حفظ اموال اليتامى فان المال لهم ، واما في الانفاق من التركة فانه يكون مرة واحدة ينتهي عند قسمة الميراث .

وظاهر الخطاب وان كان يفيد الوجوب في المقام ولكن مقتضى ما ورد في السنة في تفسير الآية الشريفة هو مطلق الرجحان .

قوله تعالى : وقولوا لهم قولاً معروفاً .

اي : وليقل ارباب المال لهؤلاء المذكورين قولاً طيباً دفعاً للشحناء والبغضاء وما يوجب الحسد لان المقام يستدعي كل ذلك . فاذا اعطوهم شيئاً فلا يمنوا عليهم ويستقلوا ما اعطوهم وإذا لم يعطوهم شيئاً فليدعوا لهم ويعتذروا من ذلك .

وظاهر الخطاب الذي ورد مورد الاسترحام والاسترفاق يدل على استحباب مؤداه وعلبه اجماع الامامية .

واختلف العلماء والمفسرون في ان الآية الشريفة محكمة أو منسوخة بآية المواريث . ومن المعلوم انه لا نسبة بين هذه الآية وآية المواريث فان الاولى تعين فرائض الورثة ، وهذه الآية تدل على استحباب الانفاق والاسترحام على الوارث فلا موجب للنسخ وميأتي في البحث الفقهي ما يتعلق بذلك ان شاء الله تعالى .

قوله تعالى : وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم .

الخشية : هي خوف خاص فقيل انها خوف مع شائبة تعظيم واكبار

وقيل : انها خوف في محل الأمل .

والمستفاد من موارد استعمال هذه الكلمة انها تأثر قلبي لما يخاف

نزوله ويرجى منه الأمل .

والضعاف جمع ضعيف وهو يشمل الصغير وغيره ممن لا يتمكن

دفع الضرر عن نفسه كالمعتوهين والنساء الضعيفات ووصف سبحانه

الذرية بالضعاف ترغيباً للرحم عليهم . كما ان التصريح بكونهم من

خلفهم مبالغة في تهويل الحالة .

والجملة تبين غاية الرحمة والرافة على الذرية الضعاف الذين لاوتي

لهم يذود عنهم الذل والهوان ولا كافل يتكفل امرهم ويرعى شؤونهم

والآية في مقام التمثيل .

وانها تستلقت الناس إلى الفرض والتقدير لو حل ذلك في ايتامهم

وما يجرى عليهم من بعد ارتحال اباؤهم وفقدان من يكفلهم فانهم

يتألمون ويقدرون له جميع ما يمكن أن يتصور من الحلول ، فالآية المباركة جارية

مجرى قوله ( صلى الله عليه وآله ) : « كما تدين تدان » فهي من الامور

الوضعية السارية في كل خلف عن سلف . وهذا الاسلوب من الاساليب

المثيرة للاحساس والعواطف ويظهر واقع الحال في مظهر المثال الخارجي

الذي له الاثر الكبير على الانسان .

والآية الشريفة تبين واقع الحال سواء كانوا ذرية ام لا . وتبعث

الرحمة والرافة في النفوس ، وتثير الشفقة والرحمة الكامنة في الانسان

لرعاية شؤون اليتامى والاعتناء بشأنهم وترك ظلمهم واضطهادهم لان

كل من يخاف ان يترك الذرية الضعفاء من خلفه لا يريد ذلك بالنسبة

الى ذريته فلا بد من تركه من جميع الناس كما تقدم .

ومما زاد في عظمة ذلك وشدة تأثيرها على النفس ان الله تعالى

لم يأمر فيها بالرحم والعطف بل امر بالخشية والانقاء منه عز وجل  
فانه شديد الانتقام وفيه غاية التهديد والتوعيد .

وكيف كان فالآية المباركة تحث على مراعاة حال اليتامى واصلاح  
امورهم وترك ظلمهم واعطاء حقوقهم وتسوق التهديد لمن لم يتق الله  
تعالى ويحرم صنغار الورثة من حقوقهم فهي منصلة بالآيات السابقة التي  
تأمر بحفظ اموال اليتامى . والآية التي تبين ان للرجال نصيباً فانها  
بعمومها تشمل اليتام الصغار ، فتكون مؤكدة لمضمون الآيات السابقة  
وقد ذكر المفسرون في المقام وجوهاً لم يقم عليها دليل .

قوله تعالى : فليتقوا الله .

اي : فليتقوا الله في جميع اوامره بتنفيذها ونواهيها بتركها والاجتناب  
عما نهى عنه ، فان تقوى الله اهم الغايات وهي الكمال المطلق .

قوله تعالى : وليقولوا قولاً سديداً .

السديد : هو الصواب المستقيم اي : فليكن القول والرأي مطابقاً  
للعمل في السداد والصواب ويتحددان في تثبيت الاحكام ومراعاة حال  
اليتامى واصلاح شؤونهم فان المقام يحتاج الى تطابق العمل مع القول  
في العدل والصواب . ويشمل ذلك كل ما يوجب ارشادهم الى الصلاح  
والعمل باحكام الشريعة وردعهم عن المنكر والفساد ، فان جميع ذلك  
يدخل في سداد القول ، والخطاب يرجع الى تهويل امر اليتامى على  
الاولياء أو المجتمع الذي له قسط كبير في حفظ اليتامى ومراعاة  
حالمهم واصلاح شؤونهم .

قوله تعالى : ان للذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً .  
جملة استينافية جيء بها تأكيداً لما ورد في الآية السابقة وثبوتاً لما  
فصل من احكام اليتامى سابقاً .

وظلماً حال اي : ظالمين أو تمييز برفع الابهام عن محتملات الاكل  
اي : ان الذين يأكلون اموال اليتامى من غير وجه شرعي فهم ظالمون  
أو ان اكلهم كان على سبيل الظلم وانا يكون ظلماً اذا لم يكن الاكل  
له سبب شرعي إما بالاقتراض على وجه شرعي أو ما يأخذه بلحاظ  
اجرة عمله أو على وجه التقدير لاجرة العمل كما تقدم وفي غير ذلك  
يكون الاكل ظلماً .

قوله تعالى : انا يأكلون في بطونهم ناراً .

هذه الجملة كناية عن الاثم العظيم ، وملء البطن النار يدل على  
تجسم الاعمال فتمثل الواقع الذي يعيش عليه آكل اموال اليتامى ومن  
هضم حقوقهم وان لم نره بالعيان .

أو ان ما يوجب إلى الغاية المهولة المخزية تكون موجبة لاستحقاق  
سائر الغايات فان النار التي تترتب على اكل اموال اليتامى هي غايبة  
عظيمة مهولة يستحققر معها سائر الغايات فكأن الاكل نار محضة ولذا  
جيء بكلمة الحصر .

وعلى كلا الوجهين يكون الكلام على وجه الحقيقة دون المجاز .  
وقيل : ان الكلام على المجاز دون الحقيقة لان المتبادر من  
« يأكلون » انه لخال دون الاستقبال بقريظة العطف عليه بقوله تعالى :  
« وسيصلون مبعبراً » المشتمل على حرف الاستقبال ، فلو كان المراد حقيقة  
الاكل ووقته يوم القيامة لكان الانسب أن يكون لفظ الآية هكذا (فسياً كلون

٣١٠ ..... مواهب الرحمن - ج ٧

ناراً ويصلون سعيراً) فيراد به المعنى المجازي اي انهم في أكلهم مال اليتامى  
كمن يأكل في بطنه ناراً فالأكل عذاب باطن البدن والصلي عذاب  
ظاهره فهو جزاء اللباس وسائر التصرفات .

ولكن فساد هذا القول ظاهر ، لانه مخالف لظاهر الآية الشريفة  
إذ أن المتبادر هو حقيقة الأكل دون المعنى المجازي والنار الفعلية دون  
النار في المستقبل مضافاً إلى انه بوجب خروج الآية المباركة عن مفادها  
الواقعي وهو تجسم الاعمال .

قوله تعالى : وسيصلون سعيراً .

الآية الكريمة تشير إلى العذاب الأخرى . والسعير من سعر النار  
واسعرها إذا أوقدها، وهو فعيل بمعنى المفعول ويقال في المؤنث ايضاً  
نحو كف خضيب . والنار المستعرة اي الملتهبة المشتعلة وهو من أسماء  
نار الآخرة ، ويقال صلى النار بصلي صلياً وصلياً وصلتى وصلى  
( بالقصر فيها ) هو الاحتراق بالنار ومقاساة حرها وعذابها ، واصله  
يرجع إلى التسخن بقرب النار أو مباشرتها ثم توسع فيه واستعمل في  
الحرق ومقاساة أهوال النار .

والتنكير في السعير للتحويل اي : انهم سيدخلون ناراً عظيمة لا  
يعلم احد وصفها إلا الله تعالى .

## بحوث المقام

### بحث ادبي :

قال بعضهم ان « نصيباً » في قوله تعالى : « نصيباً مفروضاً » منصوب على الاختصاص اي اعني نصيباً مفروضاً . ويرد بأن المنصوب بالاختصاص المصطلح عليه في النحو يشترط فيه ان لا يكون نكرة و « نصيباً » في المقام نكرة إلا ان يريد من الاختصاص معنى آخر . وقيل : انه منصوب على انه مصدر مؤكد مؤول بمعنى العطاء أو القسمة ونحوها من المعاني المصدرية ، وإلا فهو اسم جامد . وقيل : انه منصوب على الحالية جيء بها توطئة للوصف بكون النصيب مفروضاً ، ومؤكدة لما قبلها .

وقيل : انه منصوب على انه مفعول لفعل محذوف . والقسمة مفعول مقدم لانها المبحوث عنها ، ولتعدد الفاعل ، فلو روعي الترتيب لفات تجاذب أطراف الكلام .

و ( الذين ) في قوله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً » فاعل « ليخش » ومفعوله محذوف للدلالة الكلام عليه . و « خافوا » جواب لـ « لو تركوا » وجملة « لو » صلة للذين ويجوز حذف اللام في جواب ( لو ) . وحذف الالف في « وليخش » للجزم بلام الأمر .

ثم ان الاسلوب في قوله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من



خلفهم ذرية ضعافاً ، من الأساليب الفصيحة التي تؤثر في النفوس وتستفزها نحو المطلوب وتصور الفرض والتقدير في لباس الواقع المحسوس لتعميم التعليم وزيادة تأثيره فمن يستمع هذا الخطاب يتصور المضمون ويفرض لنفسه ذرية ضعافاً قد احاط بهم جميع اسباب الذل والهوان ويجعلهم نصب عينيه وهو من الاساليب التعليمية المثيرة .

والسديد في قوله تعالى : « قولاً سديداً » هو العدل والصواب كما عرفت ، والسداد بالفتح هو الاستقامة والصواب ، وبالكسر هو البلغة وما يسد به الحاجة ، ولكن قال ابن السكيت في اصلاح المنطق انه لا فرق بين الفتح والكسر وانها بمعنى واحد يقال : سداد من عوز وسداد . وكذا حكاه غيره .

## بحث دلالي

تدل الآيات الشريفة على امور :

الاول : يدل قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » على ان الاصل في التوارث هو الولادة أو القرابة وبذلك يرد القرآن الكريم على العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي فانهم كانوا يحرمون بعض الورثة ويمنعون حقوقهم عنهم من دون سبب معين سوى العصبية وبعض العواطف الظالمة ، والقرآن في تأسيس هذا الاصل القويم يبين الشريعة الحقة في اهم حكم من الاحكام الاجتماعية الذي طالما كان مورد النزاع والاختلاف في جميع المجتمعات .  
واسس الاسلام قاعدة معروفة هي المرجع في الارث وهي : قاعدة الاقربية التي تقوم على العلة النسبية والاقربية في الرحم ، وأكد

سبحانه وتعالى على هذه القاعدة في موارد متفرقة من القرآن الكريم قال تعالى : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم » الانفال - ٧٥ وقال تعالى : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » الاحزاب - ٦ والآيات التي تقدم تفسيرها تبين جهة الاقربيه وهي الولادة ، والنسب ، والقربه ومن تقديم الولادة يستفاد انها الاصل للقربه .

ولم يذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية مقدار النصيب لما سيأتي في الآيات التالية ذكره وبيان سائر خصوصياته .

الثاني : يستفاد من قوله تعالى : « وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » اشتراك النساء مع الرجال في الارث وأكد عزوجل ذلك بالانصريح والتعميم والاظهار في مقام الاضمار ونص عليه نصاً قاطعاً بقوله تعالى : « مما قل منه أو أكثر نصيباً مفروضاً » فانه يدل على كون السهام مقطوعة لا ابهام فيها ولا خلط ، وهذه الآية الشريفة تعطى للنساء حقوقهن قبل ان يطالبن بها ، فان شريعة الحق والعدل الرباني يثبتان الحقوق لاهلها قبل المطالبة بها، وسيأتي في الآيات الكريمة التالية الكلام في مقدار حق المرأة في الارث وبيان السبب في التفاضل بين الرجال والنساء فيه .

الثالث : يدل عموم قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » على شمول الحكم لجميع افراد الانسان بلا استثناء فيدخل فيه تركه النبي ( صلى الله عليه وآله ) الا اذا قام دليل معتبر على التخصيص وهو مفقود كما ستعرف في الموضوع المناسب ان شاء الله تعالى ، كما ان عموم الآية

الشريفة يدل على بطلان التعصيب ايضاً .

الرابع : يدل قوله تعالى : « واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين » على حكم ادبي تجتمع فيه الرحمة والرافة في حال يكون اقرباء الميت احوج اليهما من غيرهم ، فانه إذا قسنا هذا الحكم مع ما كانت عليه الحال في الجاهلية، وما كان يقتضيه المقام من التعسف والظلم بمقوق الآخرين يتجلى عظمة هذا الحكم الالهي الذي يشير العطف والشفقة في قلوب الاولياء لاسيما بالنسبة إلى فقراء القربى واليتامى والمساكين والاحسان اليهم ومد يد العون اليهم فاجتمع في هذا الحكم الجانب الاخلاقي والاجتماعي والتربوي وهذا هو شأن الاحكام الالهية التي لا تقتصر على جانب معين .

الخامس : يدل قوله تعالى : « نصيباً مفروضاً » على ان النصيب يدخل في ملك الوارث قهراً بقرينة سياق الآيات الشريفة المشتملة على لفظ « اللام » الظاهر في الاختصاص ولعل ما ذكره الفقهاء من ان الارث من النواقل القهرية غير الاختيارية مستفاد من مثل هذه الآيات المباركة والروايات الواردة في السنة المقدسة .

السادس : اطلاق قوله تعالى : « اولوا القربى » يشمل قرابة الميت الاغنياء منهم والفقراء ، وقيد بعضهم بالفقراء ولكنه خلاف الظاهر نعم لا ريب في اولوية الفقير .

السابع : يدل قوله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » على حقيقة من الحقائق الواقعية التي كشفت عنها القرآن الكريم وأكد عليها في مواضع متعددة وهي ارتباط الحوادث الخارجية مع الاعمال سواء كانت حسنة أو سيئة . ومن مصاديق هذه الحقيقة ماورد في الآية

الشريفة التي تقدم تفسيرها فانها تبين ان الآثار الوضعية لظلم الايتام سيعود إلى الظالم ولو على اعقابه ويؤكد هذا قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » الزلزال - ٨ واطلاقه يشمل عود الجزاء إلى نفس العامل أو إلى ذريته واعقابه وفي بعض الروايات « يؤثر العمل السيء ولو إلى سبعين بطناً » وعلى هذا فربما يكون ما يصيب الانسان من خير أو شر من انعكاس اعمال آباءه عليه .

ويمكن ان يقام الدليل العقلي على ذلك ايضاً فان الذي يحسن إلى غيره انما يفعل ذلك لأجل انه رضي بالاحسان وارتضاه لنفسه ، فاذا احسن للايتام فهو قد رضي ذلك المذريته ايضاً وبالعكس اي إذا ظلم احد فانها طلب ذلك لنفسه ورضي وما يرتضيه لنفسه يتعلق بأولاده واعقابه ايضاً ان لم يتدارك . نعم هناك اسباب وعوامل قد تمنع انعكاس العمل على النفس والذرية لا يعلمها إلا الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى : « وما اصابكم من مصيبة فما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير » الشورى - ٣٠ وسيأتي في الموضوع المناسب تفصيل الكلام ان شاء الله تعالى .

الثامن : يمكن ان تكون من احد بطون قوله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » الاشارة إلى كيفية المعاشرة مع اولياء الله تعالى إماماً كان أو عالماً عاملاً هادياً ، فان ترك المعاشرة معهم أو سوئتها يؤثر في الذرية والاعقاب وقد ادعي التجربة في ذلك فحينئذ يكون المراد من قوله تعالى : « قولاً سديداً » اي قولاً مطابقاً مع العمل بما يرشدون اليه فانهم واسطة الفيوضات المعنوية .

التاسع : يدل قوله تعالى : « ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً » على تجسم الاعمال وهو صحيح - ويستفاد

٣١٦ - ..... مواهب الرحمن - ج ٧

ذلك من قوله تعالى : « وسيصلون سعيراً » وان اكل اموال اليتامى سبب تام للدخول في النار - لان الحقيقة الواحدة يمكن اختلافها باختلاف العوالم وخصوصيات الادراكات - مثلاً - لو رأى احد في المنام انه يشرب اللبن يعبر عنه بالعلم بمناسبة ان اللبن مادة الحياة الجسمانية والعلم مادة الحياة المعنوية فأكل مال اليتيم حقيقة واحدة هي في عين وحدة تلك الحقيقة متعددة بحسب العوالم والمدركات فهي اكل للمال عند ذوي البصائر المستورة بالحجب الظلمانية الغليظة وعند ارتفاعها تعرف البصائر تلك النار وتظهر في النشأة الآخرة ولذا قال سيد الانبياء ( صلى الله عليه وآله ) : « الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا » وقال مولانا الرضا ( عليه السلام ) : « كلما هناك لا يعلم إلا بما هاهنا » فكما ان آثار الدنيا تظهر في الآخرة بما يناسب ذلك العالم فلا بد ان تكون تلك الآثار ظاهرة في هذه الدنيا بما يناسبها لكن لاهل البصائر لا لكل احد والامثلة والشواهد كثيرة في القرآن الكريم والسنة الشريفة لعل الله تعالى يوفقنا لبيانها .

### بحث روائي

في تفسير القمي في قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون - الآية » قال : « هي منسوخة بقوله تعالى : « يوصيكم الله في اولادكم » .

اقول : ليس المراد به النسخ المصطلح في علم الاصول بل المراد الاجمال والتفصيل كما عرفت .

وعن الطبرسي : اختلف الناس في هذه الآية على قولين احدهما انها محكمة غير منسوخة وهو الصحيح .

اقول : ما ذكره مطابق للاصل وعليه اجماع الامامية :  
وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن  
عكرمة في قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون »  
قال : نزلت في أم كلثوم وابنة أم كحاة ( كجة ) أو أم كحلثة  
وثعلبة بن اوس وسويد وهم من الانصار كان احدهم زوجها والآخر  
عم ولدها فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركتي وابنته فلم نورث  
من ماله فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرساً ، ولا تنكح  
عدواً ويكسب عليها ولا تكتسب فنزلت الآية .

اقول : روى قريباً منه الواحد في اسباب النزول وفي بعض الروايات  
عن ابن عباس : « انها نزلت في رجل من الانصار مات وترك ابنتين  
فجاء ابنا عمه وهما عصيته فقالت امرأته : تزوجا بهما - وكان بهما  
دمامة - فأيما فرفعت الامر الى رسول الله ( صلى الله عليه وآله )  
فنزلت آيات المواريث - الرواية .

اقول : يمكن تعدد منشأ النزول ولا تنافي بينها .  
وفي تفسير العياشي عن ابي بصير عن الصادق ( عليه السلام ) في  
قوله تعالى : « واذا حضر القسمة اولوا القربى - الآية - » قال :  
« تسختها آية الفرائض » .

وفي المجمع في الآية : « واذا حضر القسمة اولوا القربى » : « اختلف  
الناس في هذه الآية على قولين احدهما انها محكمة غير منسوخة قال  
وهو المروي عن الباقر ( عليه السلام ) .

اقول : تقدم ما يتعلق بذلك في التفسير ، ويأتي في البحث الفقهي

تنمة الكلام .

وفي الكافي عن سماعة عن ابي عبد الله ( عليه السلام ) : « اوعده الله تبارك وتعالى في مال اليتيم بعقوبتين احديهما عقوبة الآخرة النار ، وأما عقوبة الدنيا فيقول عز وجل : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم - الآية - » يعني : ليخش أن اخلفه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى » .

أقول: روى مثله العياشي عن الصادق وابي الحسن ( عليهما السلام ) وفي المعاني عن الباقر ( عليه السلام ) أيضاً والآيات والروايات الدالة على وجود الآثار الوضعية في المعاصي كثيرة جداً وهذه من احدي مصاديقها ، ويستفاد منها عظمة المعصية .

وفي تفسير العياشي عن عبد الاعلى مولى آل سام قال : « قال ابو عبد الله ( عليه السلام ) مبتدأ : « من ظلم سلط الله عليه من يظلمه أو على عقبه وعقب عقبه فذكرت في نفسي . فقلت: يظلم وهو يتسلط على عقبه وعقب عقبه ١١٩ فقال لي قبل ان اتكلم ان الله يقول وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليقتوا الله وليقولوا قولاً سديداً » .

أقول : هذه الرواية منقولة متواترة من ان للظلم آثاراً وضعية دنيوية واخروية ولا بد من ظهورها في الدنيا سواء على الظالم أم على عقبه ومثل ذلك قولهم ( عليهم السلام ) : « قطيعة الرحم واليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع من اهلها » .

وفي الكافي عن الباقر ( عليه السلام ) : « ان آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنار تلتهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه يعرفه اهل الجمع إنه آكل مال اليتيم » .

وفي تفسير القمي عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ( عليه السلام ) قال : « قال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) لما اسرى بي الى السماء رأيت قوماً نقذف في اجوافهم النار ونخرج من ادبارهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى » .

أقول : وجه ذلك انه ( صلى الله عليه وآله ) اسرى الى عالم كشف الحقائق وظهور السرائر والضمائر ولا بد ان يرى الاشياء على ما هي عليه ، وقد يحصل له ( صلى الله عليه وآله ) تلك الحالة في هذا العالم من دون ان يسرى به الى السماء وكذلك يحصل عند بعض اولياء الله تعالى .

وفي الدر المنثور اخرج عبد بن حميد عن قتادة قال : « ذكر لنا ان نبي الله ( صلى الله عليه وآله ) قال : « اتقوا في الضعيفين : اليتيم والمرأة ايتمه ثم اوصى به ، وابتلاه وابتلى به » .  
أقول : ونظير ذلك ما عنه ( صلى الله عليه وآله ) : « دخلت الجنة ورأيت اكثر اهلها النساء علم الله ضعفهن فرحمهن ، وهو محمول على المؤمنات الصالحات .

### بحث فقهي

الآية الشريفة : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » تبين وجه الارث والسبب فيه وانه الولادة والاقربية ، واستفاد الفقهاء من مثل هذه الآية الشريفة الاصل الاول في الارث



الذي هو النسب وهو يثبتني على امرين الولادة والاقربية في الرحم، والآية المباركة تدل على ان الرجال والنساء مشتركان في حصة من الميراث على الاجمال وبرئان النوعان معاً اذا كانا متساويين في الدرجة والقربة والا فالاقرب يمنع الابعد .

ومن ذلك يظهر بطلان التعصيب فان الله تعالى فرض للنساء كما فرض للرجال في التركة وشرك بينها واختصاص بعض الورثة بها وحرمان الآخر عما زاد من الفرض خلاف مقتضى الآية الشريفة . كما ان مقتضى قوله تعالى : « نصيباً مفروضاً » ان الارث من النواقل القهرية ودخول النصيب في ملك الوارث يكون بغير الاختيار فلا يخرج عنه الا بسبب شرعي .

ثم ان ظاهر قوله تعالى : « واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً » ان الامر بالرزق محمول على الندب لا على الوجوب كما في الامر بالقول السيد ايضاً لقرائن متعددة في الآية الشريفة وما وردت في السنة من الروايات . والمعروف بين الامامية انها غير منسوخة وادعى الاجماع عليه ولكن في تفسير العياشي عن أبي بصير عن الصادق ( عليه السلام ) انه قال : « نسختها آية الفرائض » والظاهر انه لا منافاة بين آية الفرائض وهذه الآية الشريفة بعد ظهورها في الندب .

وعلى فرض الوجوب ان آية الفرائض تدل على تحديد الفرائض وتعيين السهام وهذه الآية الكريمة تدل على القسمة على الاجمال من غير تعيين سهم فلا موجب للنسخ .

ويمكن ان يكون المراد من النسخ في الحديث مطلق الرفسع في الروايات لا النسخ المصطلح في علم الاصول فحينئذ تصح الرواية ولا

تنافي بين الآيتين الشريفتين .

والخطاب في الآية المباركة للاولياء أو الاوصياء وغيرهم من القضاة ان يرزقوا اولي القربى غير الوارثين سواء كانوا اغنياء أم فقراء قبل قسمة التركة أو بعدها مما صار اليهم مع القول المعروف الحسن حين الاعطاء أو الرد بالاحسان اذا لم يعطوهم شيئاً .

ثم إن مقتضى قوله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ، حرمة اكل مال اليتيم ظلماً واما إذا لم يكن على النحو المذكور فيجوز لوجود الاذن الشرعي فيه ، والخطاب في الآية الكريمة للاولياء والاوصياء ومن يتصدى امور اليتامى .

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي كَثُرَ مِثْلُ حَسَظٍ  
 الْأُنثَىٰ لِلَّذِي كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ الْأُنثَىٰ قَلْبَهُنَّ  
 تُرَثْنَ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ  
 وَلَا يَتَوَيَّهُ لِيَكُلَّ وَاحِدٌ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ  
 إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ وَوَرِثَةٌ  
 آبَاؤُهُ فَلَهُمِ الثَّلَاثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَهُمُ  
 السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ  
 وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ تَقْضَا  
 قَرِيبَةً مِنْ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (١١) وَلَكُمْ  
 نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِهِنَّ وَلَدٌ  
 فَإِنْ كَانَ لِهِنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ لِلرُّبْعِ مِمَّا تَرَكَنَّ

مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَاللَّهُنَّ الرَّابِعُ  
 مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ  
 لَكُمْ وَلَدٌ فَلِلَّهِنَّ الشُّمُونُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ  
 وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ  
 يُورَثُ كَفَّالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ  
 فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُوسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ  
 مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ  
 يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ  
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٢) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ  
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)  
 وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ  
 نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤)

الآيات الشريفة تتضمن احكاماً الهية ترشد الناس الى الكمال وتسوقهم  
 الى السعادة في الدارين ، وهي احكام اجتماعية روعي فيها حفظ اموال  
 الناس وتوزيعها وفق نظام متين على ما بينه عزوجل دفماً للتشاجر  
 والتخاصم . وحفظاً لحقوق الافراد ومراتبهم .  
 وقد ذكر سبحانه وتعالى عمدة احكام الموارث والفرائض في هذه  
 الآيات المباركة مرتبة على قاعدة الاقربية في الرحم التي هي اهم  
 القواعد في الارث وجرى عليها العمل في الفقه الاسلامي وهي من اجل  
 واحسن نظام روعي فيه جميع الخصوصيات وابطل بها عزوجل جميع

الاحكام الرضعية التي كانت سائدة في المجتمعات القديمة ومنها المجتمع الجاهلي وما وضعته القوانين المدنية وقد جعل عزوجل من يتبع تلك الاحكام السماوية مطيعاً لله وللرسول وقد وعد تعالى له الجزاء العظيم والسعادة العظمى في الدارين واوعد تعالى على من خالف تلك الاحكام وتعدي حدودها وعصى الله ورسوله النار والعذاب المهين .

### للتفسير

قوله تعالى : يوصيكم الله في اولادكم .

الوصية : العهد والأمر ، ومنه الوصية المعروفة وهي ما يتمهد به الى الغير للعمل به واليه يرجع ما ذكره الراغب في المفردات : انها التقدم الى الغير بما يعمل به مقترناً بوعد .

والمراد بها في المقام الفرض والتشريع وانما عدل الى هذه اللفظة لانها ابغ في الاهتمام بما اوصى به والاعتناء به وطلب حصوله بسرعة كما عدل من الابناء الى لفظ الاولاد لانه يشمل من تولد من الرجل بواسطة أو بدونها وان كان الابناء أيضاً كذلك إلا ان في التعبير بـ « اولادكم » نحو استيناس اليه وفيه تعميم يشمل الذكور والاناث كباراً أو صغاراً . وذكر بعضهم ان الولد حقيقة في اولاد الصلب ومجاز في غيرهم ولكنه فاسد كما هو واضح .

وانما ذكر الاولاد ابتداءً لانهم اقرب رحماً الى الميت من غيرهم .  
والمعنى : ان الله تعالى فرض عليكم احكاماً في ارث اولادكم ،  
والآية فيها إجمال تبينه الآيات الشريفة التالية .

### قوله تعالى : للذكر مثل حظ الانثيين .

تفصيل بعد إجمال وبيان لاهم ما وصى به عزوجل وهي تتضمن قاعدة كلية من قواعد الارث ولذا قدمها عزوجل على سائر احكامه واستدل بها الفقهاء في كتبهم الفقهية في أكثر من مورد . والآية الشريفة بإيجازها البالغ تتضمن تفضيل الذكر على الانثى في الارث إذا اجتمعا وجهة التفضيل ، والاشارة إلى تقرر نصيب الانثى في الواقع وبيان سهم الانثيين إذا انفردتا ولا يظهر ذلك المضمون لو كانت العبارة غير ما ذكره جل شأنه فسبحان من ظهرت آياته في محكم كتابه .

واسلوب الخطاب ينبيء عن ابطال ما كانت عليه الجاهلية وبعض المجتمعات الاخرى من منع توريث النساء كما عرفت سابقاً، والاسلام بدأ اولاً بابطال العصبية والتقاليد وشرك النساء مع الرجال في التركة كما تقدم ثم بين ان ارث الانثى محفوظ ومعروف وانه الاصل في تشريع ارث الذكر وعد كل واحد منهما باثنتين من النساء إذا اجتمع الصنفان من الذكور والاناث ، فالاسلام يعطي نصيب الضعف للرجل، فيكون نصيب المرأة نصف الرجل في المال الموروث ثم فصل سهام الاناث بعد ذلك ولم يذكر سبحانه سهام الرجال مستقلاً إلا مع سهام النساء ، وذلك لبيان اهمية الموضوع وقطعاً لكل عصبية وابطالاً لكل عادة وتقليد ورفعاً للابهام والاجمال .

واما العلة في تفضيل حظ الذكر من المال الموروث على الانثى مع كون هذا المال لم يبذل فيه جهد ومشقة من اي منها فلوجوه عديدة ، منها ما سيذكره عزوجل في قوله تعالى : « للرجال نصيب مما

اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله « النساء - ٣٢  
فإن الرجل كلف بالانفاق ، والمرأة لم تكلف به فالتميز حق في  
مقابل هذا التكليف . وهناك وجود آخر يأتي بيانهما .

واللام في الذكر والانثى للجنس . اي : جنس الذكر يعادل  
جنس الانثى إذا اجتمع الصنفان ، وانما قدم الذكر على الانثى لبيان  
زيادة حظ الذكر لانقص حظ الانثى فان الاشارة إلى جهة فضل  
الفاضل احسن في التعليل من الاشارة إلى جهة نقص المفضل كما ذكره  
بعض العلماء وهو حسن .

قوله تعالى : فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك .  
تخصيص لسهام النساء المنفردات لاهمية الموضوع ورفعاً لكل اجال  
وابهام كما عرفت . وتأنيث الضمير الذي يرجع إلى الاولاد ، كن ،  
باعتبار الخبر .

أي إذا كن الوراثة نساءً ليس معهن في طبقتهم ذكر واحد أو  
اي : متعدد فلهن ثلثا ما تركه المورث المعروف من سياق الكلام .  
وقوله تعالى : « فوق اثنتين » صفة نساء ، أو خبر ثان . والمراد به  
الفوقية في العدد أي ثلاثاً فصاعداً فلهن الثلثان والباقي يرد على من  
اجتمع معهن مع تساوي الدرجة أو يرد عليهن إذا لم يكن معهن احد  
من نفس الدرجة .

وانما ذكر الثلثين لبيان انها الميزان في الرد على غيرهن فيبقى  
مجال لسهم الوالدين أو احدهما والزوج أو الزوجة إذا كانوا مع البنات .

قوله تعالى : وان كانت واحدة فلها النصف .

الضمير يرجع إلى المولودة المفهومة من الكلام ، واللام في النصف

عوض عن المضاف اليه اي نصف ما ترك . والنصف مثلث النون  
وقرىء بعضهم بالرفع لزوماً قياساً على بقية الاعشار كالثلث والرابع  
والخمس فان كلها مضمومة الاوائل وهي لغة اهل الحجاز. والنصف  
احد شقي الشيء. وانا ذكر النصف لبيان انه الميزان في الرد على من  
يجتمع معها كالأبوين أو احدهما أو الزوج أو الزوجة فيعرف سهام  
كل واحد منهم .

وقد ذكر سبحانه سهم البنت الواحدة وهو النصف ، وسهم فوق  
النتين من البنات وهو الثلثان ولم يذكر سهم البنتين وسيأتي في البحث  
الدلالي تفصيل الكلام .

قوله تعالى : ولأبويه لكل واحد منهما للسدس مِمَّا  
ترك ان كان له ولد .

الضمير في ( لأبويه ) يرجع إلى الميت المعلوم من السياق والسدس  
خبر ، والمراد بالأبوين هما الاب والام تغليباً للفظ الاب فان العرب  
يجري المختلفين مجرى المتفقين فيغلب احدهما على الآخر كالقمرين  
والحسين والملوين .

وانما عطف حكم الأبوين على حكم الاولاد لبيان اشتراكهما مع  
الاولاد في الطبقة .

والمعنى : ولكل واحد من ابوي الميت السدس مما تركه الميت  
فهما في هذه الصورة في الفريضة سواء لا يتفاضلان كما يتفاضل الذكور  
والاناث إذا اجتمعا .

وهذا الحكم مختص بالاب والام ولا يتعدى إلى الجد والجددة لعدم  
اطلاق الاب والام على الجد والجددة حقيقة وان كان يشملها لقرائن

خارجية كما في قوله تعالى : وكما اخرج أبو يكم من الجنة ، الاعراف  
- ٢٧ مضافاً إلى ان تشية الابوين شاهد آخر على ان المراد هما  
القربيان لان الجد والجدة في الطبقة الاولى يكونون اربعة لاثنين كما  
هو معلوم ، ويتضاعف العدد كلما علت الطبقة ويدل على الحكم  
المزبور اجماع الامامية ايضاً . هذا إذا كان مع الابوين ولد للميت  
ذكراً كان أو انثى ، منفرداً أو متعدداً للصلب أو غيره لان الولد  
جنس يشمل الجميع . نعم ان كان الولد بنتاً واحدة فلها النصف  
ولكل واحد من الابوين السدس ، فما زاد يرد على الجميع اجناساً ان  
لم يكن حاجب والا فارباعاً كما هو معروف في فقه الامامية .  
ولا يعطى للعصبة شيء خلافاً للجمهور وهي مسألة التعصيب المعروفة  
في الفقه .

قوله تعالى : فان لم يكن له ولد وورثة أبواه فلأمه الثلث .  
بيان لصورة انحصار الوارث في الابوين اي وان لم يكن للميت  
ولد مطلقاً كما عرفت آنفاً وانحصر الوارث في الابوين معاً لا احدهما  
فان الوارث ان كان الاب فقط فالمال كله له ، وان كانت الام فلها  
الثلث تسمية والباقي رداً ، فاذا اجتمع الابوان معاً وانحصر الوارث  
فيهما فلام الثلث مما تركه المورث والباقي للاب وانما لم يذكره لكونه  
معلوماً ولانه لم يكن صاحب فرض غيرها والكلام في اصحاب القروض .  
قوله تعالى : فان كان له اخوة فلامه السدس .

بيان لصورة الحجب اي : وان كان للميت اخوة ، فلام الميت  
السدس توفيراً على الاب ، فيعطى الباقي له قرابة ويشترط في حجب  
الاخوة من الثلث إلى السدس امور ذكرها الفقهاء في الفقه من يشاء



فليراجع كتابنا ( مهذب الاحكام ) .  
وذكر الاخوة بعد قوله تعالى : « فان لم يكن له ولد وورثه  
ابواه » فيه الدلالة على ان الاخوة في الطبقة الثانية بعد الطبقة الاولى  
التي فيها الابناء والآباء .

قوله تعالى : من بعد وصية يوصى بها أو دين .

قاعدة اخرى من قواعد الارث وهي : « ان الارث انها يكون  
من اصل المال الذي تركه الميت إذا لم يوص بوصية أو لم يكن عليه  
دين فان كانت وصية أو دين فانه يجب اداؤها اولاً ثم التوريث  
بما بقي » .

والوصية - كما تقدمت - هي التمهيد إلى الغير بعمل معين ، وهو  
المراد بها في قوله تعالى : « كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت ان  
ترك خيراً الوصية » البقرة - ١٨٠ وانا وصف الوصية بانها يوصى  
بها لبيان أهمية الوصية ، والدلالة على التأكد من ثبوتها والتحقق من  
نسبتها إلى الميت ولم يقيد الدين بما قيد به الوصية للدلالة على انه لا  
يعتبر في اخراج الدين الوصية به ولا حصوله عليه باختياره .

وانما قدم الوصية على الدين مع انها مؤخره عنه في الترتيب لانها  
اكثر وقوعاً وللاهتمام بها وتنزيلها منزلة اصل الدين والا فان الدين  
مقدم في الوفاء على الوصية فيخرج الدين اولاً من تركته الميت ثم  
تخرج الوصية ثم الارث وقد دل على هذا الترتيب السنة الشريفة والاجماع  
المحقق ، مع ان القصد في الآية الشريفة هو بيان تقدمها على الميراث  
من دون قصد بيان ترتيبها في انفسها مضافاً إلى انه يستفاد التأخير  
من كلمة « بعد » فانها تدل على ان الميراث بعد اخراج الوصية وهي

تلو الدين فوافقت الآية الكريمة ما ورد في السنة الشريفة والاجماع .  
والدين يشمل كل ما هو واجب مالي لازم الوفاء سواء كان ديناً  
خالقياً - كالزكاة والخمس والحج - أو خلقياً كالقرض وغيره .

قوله تعالى : آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب  
لكم نفعاً .

بيان لحقيقة من الحقائق الواقعية وخطاب عام يبين خطأ الاوهام  
والتقاليد التي كانت متبعة عند الامم في عصر نزول القرآن الكريم  
ودفعاً لما قد يقال في هذا الموضوع المهم الذي هو في معرض التشاجر  
والتنازع والجواب عن السبب في اختلاف السهام ببيان ان الانسان  
مهما بلغ في الذكاء والفطنة لا يعلم من هو الاقرب اليه نفعاً في الدين  
والدنيا والآخرة فانه يقع تحت تأثير العواطف والنزعات النفسية والتقاليد  
والعادات الاجتماعية فكم من شخص يحرص الانسان توريثه وتوفير  
سهمه ولكن لو انكشف الامر له لمنعه عن ذلك ، والاسلام ينظر في  
ذلك نظرة واقعية ويستن قانوناً الهياً لا يقبل التغيير وهو بعيد عن  
الاهام الباطلة والعواطف الانسانية والنزعات الشخصية . ويقسم السهام  
على افراد الورثة حسب ما ينظره من المصلحة العامة وما يقتضيه  
تكوين الانسان وفطرته كسائر الاحكام الاسلامية التي تبتني على القطرة  
والمصلحة العامة . ويدل عليه تقديم الآباء على الابناء في الآية الشريفة  
وهما يشيران الى الاصول والفروع في باب التوارث ، فتشمل الاب  
والام والجد والجددة والابناء الذكور والاناث ، والاخوة والاخوات  
ويستفاد من تقديم الآباء على الابناء ان الآباء اقرب نفعاً من الابناء.  
والمراد من النفع : الاعم من النفع الدنيوي المادي أو النفع

الاخروي المعنوي ، ففي الحديث المعروف « إذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » والآية الكريمة تؤكد مضمون ما ورد في الآيات السابقة .

قوله تعالى : فريضة من الله .

فريضة منصوب على انه مصدر مؤكد لنفسه اي : فرض عليكم فريضة ، وقيل منصوب على انه حال من المواريث الموصى بها اي أوصى بتلك السهام حال كونها مفروضة .

والآية المباركة تؤكد على ان تلك السهام مقدرة ومعينة من الله تعالى وفق حكمة متعالية لا تقبل التغيير والتبديل .

قوله تعالى ان الله كان عليماً حكيماً .

اي : ان الله تعالى المحيط بعلمه بجميع مصالحكم ، ولحكمته المتعالية البالغة التي يضع الاشياء بها في مواضعها فانه شرع لكم تلك الاحكام والوصايا وفق الحكمة التامة والمصالح العامة .

قوله تعالى : ولكم نصف ما ترك ازاواجكم ان لم يكن لهن ولد .

بعدما ذكر سبحانه وتعالى الموجب الأول للارث وهو النسب والقراية وبين ما يتعلق بالطبقة الأولى وهو سهام الاولاد والوالدين وبعض الاحكام كحجب الاخوة عن نصيب الأم .

يبين عزوجل في هذه الآية المباركة موجباً آخر وهو السبب فذكر قسماً منه وهي الزوجية وانها تنص على انه يرث كل واحد من الزوجين من الآخر في جميع الحالات ولا يحجبها عن النصيب الاعلى - وهو النصف للزوج والربع للزوجة - الا الولد مطلقاً ، فيستفاد من

الآية الكريمة انها يشاركان جميع الطبقات ، فيشاركان الاولاد وان  
نزلوا ، والآباء وان علوا ، وسائر الورثة بالاولوية .

وقد ذكر سبحانه جميع صور إرثها وهي أربعة : الزوج مع عدم  
الولد للزوجة ، ونصيبه النصف ، والزوج مع الولد لها ، ونصيبه  
الربع ، والزوجة مع عدم الولد للزوج ونصيبها الربع ، والزوجة مع  
الولد له ونصيبها الثمن .

والمراد بالزوجة مطلق من تحققت بهن الزوجية الدائمة ، سواء  
دخل بهن أم لا على ما فصل في الفقه ، كما أن المراد بالولد مطلق من  
تولد منهن سواء كان ذكراً أم أنثى للصلب أم غيره وان نزل واحداً  
كان أم متعدداً . ويستفاد من قوله تعالى : « لهن » ان المناط تحقق  
الولد منهن وان لم يكن من الزوج الوارث لها .

قوله تعالى : فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن .

هذه هي الصورة الثانية ، والمراد من الولد تحققه منهن ، سواء  
كان من الزوج أم من غيره ، فان في هذه الحالة للزوج الربع .

قوله تعالى : من بعد وصية يوصين بها أو دين .

أي : ان الزوج انما يرث في كلتا الحالتين بعد اخراج الدين  
والوصية التي توصي بها الزوجة ، فاذا فضل بعد ذلك شيء يخرج  
منه السهام ، ومنها سهم الزوج على ما تقدم من التفصيل .

قوله تعالى : ولهن للربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد .

هذه هي الصورة الثالثة ، والكلام فيها كالكلام في الصورة الاولى  
والاستفاد من « لكم » ان المناط تحقق الولد منه وان لم يكن ولداً

لها ، ونصيب الزوجة في هذه الحالة الربع .  
قوله تعالى : فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم .  
الصورة الرابعة ، وهي ارث الزوجة من الزوج ان كان له ولد  
فلها الثمن مما تركه الزوج على ما تقدم من التفصيل .  
واطلاق الآية المباركة يقتضي عدم الفرق بين الزوجة الواحدة  
والمتعددة فانهن يشتركن في الربع ان لم يكن للزوج ولد وفي الثمن ان  
كان له ولد .

قوله تعالى : من بعد وصية توصون بها أو دين .  
على ما تقدم من التفصيل ، فان الزوجة انما ترث في الحالتين من  
تركة الزوج بعد وفاء الدين واخراج الوصية التي اوصى بها الزوج .  
قوله تعالى : وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة .  
بيان لبعض احكام الطبقة الثانية من الموجب الأول للارث ، وهم  
الاخوة والاجداد .

و « كان » تامة ، ورجل فاعل ، وجملة « يورث كلالة » صفة  
له و « كلالة » حال من الضمير في « يورث » و ( امرأة ) عطف  
على رجل . وقيل ، في وجه الاعراب غير ذلك ولكنه لا يخلو عن تكلف .  
ومادة كلل تدل على الاحاطة ، وكلالة مصدر من كلل بكل ،  
وتكلمته النسب بمعنى احاطه ، ومنه الاكليل وهو التاج لاحاطته بالرأس  
وكذا الكل ( بالضم ) لاحاطته بالجزء . وقيل : ان الكلالة بمعنى  
الاعياء وسميت القرابة البعيدة كلالة لضعفها بالنسبة إلى القرابة القريبة  
وهم الاصول والفروع . وقيل : إنها بمعنى البعد ، ومنه كلت الرحم

بين فلان وفلان إذا تباعدت القرابة ، وسميت القرابة البعيدة بها  
لبعدهم عن الميت ، والكلالة ما خلا الوالدان والولد سموا كلالة ،  
لاحاطتهم بنسب الميت . ولم يرد لفظ الكلالة في القرآن الكريم إلا  
في موضعين احدهما المقام ، والثاني في آخر هذه السورة ولم يقصد منها  
إلا الاخوة والاختوات . وهي اسم يجمع الوارث والمورث من جهة  
انتساب كل واحد منهما إلى الآخر ، وهي تشمل الذكر والانثى ، ولا  
تثنى ولا تجمع لانها مصدر ، كالوكالة والدلالة .

وكيف كان فالمتفق عليه عند الجميع انها لا تشمل الآباء والاولاد .  
والمعنى : ان كان الميت المورث كلالة ليس له أب ولا ابن والآية  
تختص بما إذا لم يكن للميت وارث من الطبقة الأولى في الارث وهم  
الآباء والابناء وكان له اخ أو اخت ، والمرأة حكمتها حكم الرجل إذا  
كانت كلالة ليس لها أب أو ابن .

قوله تعالى : وله أخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس .  
الضمير في « له » يرجع إلى الرجل اكتفاءً به عن المعطوف  
لاشتراكهما في الحكم . والاخ اصله «آخو» لدلالة التثنية ( اخوان )  
عليه فحذف منه الواو ونقلت الضمة إلى الخاء على غير قياس . وأما  
اخت فقد حكى جمع انه ضم اولها لأن المحذوف منها واو ، كما كسر  
اول بنت لان المحذوف منها ياء اي : وان كان المنتسب إلى الميت  
واحداً من الكلالة إما اخ أو اخت فله السدس مما تركه الميت .  
قوله تعالى : فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث .

اي : وان كان المنتسب اكثر من واحد اي اخوين فصاعداً أو  
اثنين كذلك أو هما معاً فلهم الثلث يقتسمونه بينهم بالسوية من دون  
تفاضل بين الذكر والانثى .

والاخ والاخت وان كان مطلقاً يشمل الاخوة من طرف الام والاختوة  
من طرف الابوين ، أو الاب ، ولكن إشتراكهم في الثلث بالسوية يدل

على ان المراد منهم خصوص كلاله الام فقط ، وقد اجمع المسلمون على ذلك ، وبشهاد له اجمع بين هذه الآيه والآيه الاخرى في الكلاله في آخر هذه السورة .

قوله تعالى : من بعد وصية يوصى بها أو دين :

اي : انما ترث كلاله الام السدس ان كانت واحده ، والثالث ان كانت متعددة بعد وفاء الدين واخراج الوصية من التركة ، كما تقدم التفصيل :

قوله تعالى : غير مضار .

جملة حالية من الفاعل ، والفاعل فيها ( يوصى ) اي يوصي الرجل ومثله المرأة حالكونه غير مضار للورثة بوصيته بان يوصي بأكثر من الثلث أو يضرهم بافتعال الدين لنفسه فيحرمهم من الارث . والمضارة من الاضرار وهذا القيد يعتبر في جميع الموارد التي ذكر فيها الوصية في ما تقدم من الآيات الشريفة كـ « يوصي ويوصين وتوصون » ولكن حذف للدلالة ما بعده عليه ، وانما ذكره في المقام لانه مظنة الضرر ، فان كلاله الام كثيراً ما تكون ثقله على المورث .

قوله تعالى : وصية من الله .

مصدر منصوب بفعل مقدر اي : يوصيكم بذلك وصية من الله تعالى فيجب الإذعان بها والعمل بمضمونها ، وانما نسبها اليه عزوجل للتأكيد على مضمونها وتعظيم شأنها والتحذير من مخالفتها .

قوله تعالى : والله عليم حكيم .

اي : والله عليم بمصالحكم ونياتكم فيعلم المطيع منكم والعاصي

المتعدي على حدود الله تعالى ، حلم لا يعاجل بالعقوبة ، فعليكم بالتخلق  
باخلاق الله تعالى .

وانما ذكر عزوجل هذين الاسمين المباركين لان احدهما يبين حكمة  
التشريع ، والثاني يبين تنفيذ التشريع فانه شرع الاحكام لمصالحكم  
فيجب عليكم العمل بهما ومن يخالف يعاقب وان يمهله الله تعالى  
لحلمه بكم .

قوله تعالى : تلك حدود الله .

الحد هو الحاجز بين الشيئين بحيث يمنع اختلاط احدهما بالآخر  
والمايز بينهما ، والمراد بها تلك الاحكام التي شرعها الله تعالى في  
الموارث وغيرها التي هي حدوده عزوجل فلا يجوز التعدي والتجاوز عنها .

قوله تعالى : ومن يطع الله ورسوله .

تفريع على ما سبق فان كون الاحكام حدوده تعالى يستلزم الاطاعة  
وبيان الجزاء على الموافقة والمخالفة اي : ومن يطع الله تعالى في العمل  
باحكامه على حدودها ويتبع ما ورد على لسان الرسول ( صلى الله  
عليه وآله ) في تفسيرها وبيانها فانه واسطة الفيض وما ينطق عن  
الهوى فانه يجزيه الجزاء الأوفى .

قوله تعالى : يدخله جنات تجري من تحتها الانهار

خالدين فيها .

اي : ان جزاء المطيع هو ان يدخله الله تعالى جنات في غاية  
البهجة واستكملت جميع اسباب السرور خالدين فيها لا ينقص عيشهم  
حزن الفراق .



وانما جمع « خالدين » مراعاة لمعنى « من يطع » لانه من الالفاظ التي تدل على العموم وليبان انهم مجتمعين فان في الاجتماع كمال اللذة كما انه افرد الضمير في « يدخله » مراعاة للفظ « من » .

قوله تعالى : وذلك للفوز العظيم .

فانه عظيم بنفسه ، لانه في غاية البهاء والصفاء واستكملت جميع اسباب البهجة والسرور والسعادة وخلي عن جميع المنغصات والكدورات وعظيم بالاضافة لانه من عند الله تعالى .

قوله تعالى : ومن يعص الله ورسوله .

بعد ان ذكر أن المناط في الطاعة هو العمل بحدود الله تعالى وما جاء به الرسول الكريم ( صلى الله عليه وآله ) . بين عزوجل أن المناط في العصيان هو التعدي عن حدود الله .

اي : ومن يخالف احكام الله تعالى ولم يعمل بما انزله عزوجل وما جاء به الرسول العظيم ( صلى الله عليه وآله ) .

قوله تعالى : ويتعد حدوده .

تفسير العصيان ، وفيه التاكيد على ترك المخالفة ، وليبان ان مخالفة الرسول من التعدي عن حدود الله تعالى . وللإشارة بان الزيادة عليها يكون من التعدي عن حدود الله ، فيكون رداً على بطلان العول والتعصيب كما ستعرف .

قوله تعالى : يدخله ناراً خالداً فيها .

اي : ان جزاؤه هو الخلود في النار . وانما افرد « خالداً » لبيان انه لا يتمتع من منفعة الاجتماع ، وهي الانس لشدة العذاب

ومقاساة أهوالها ، فهم كالفرادي في النار .

قوله تعالى : وله عذاب مهين .

اي : له مضافاً إلى دخوله النار عذاب عظيم كنهه ، مدل له ،  
وانما اذله الله تعالى في العذاب لانه اغتر بنفسه وتعدي حدود الله تعالى .

### بحوث المقام

#### بحث دلالي :

تدل الآيات الشريفة على امور :

الأول : يستفاد من الآيات المباركة المتقدمة اهمية الفرائض واحكام  
المواريث في الشريعة الاسلامية ، فقد اعتنى القرآن الكريم بهذه الفرائض  
واهتم بها اهتماماً بليغاً وتضمنت تلك الآيات رموزاً ووجوهاً كثيرة  
تدل على ما قلناه .

منها : ان الله تبارك وتعالى شرع تلك الاحكام وفرضها على الناس  
وامرهم بمراعاتها وتعهدوا حالاً بعد حال ، وفي الوصية بالفرائض  
اهتمام بها وتأكيد على مراعاتها والعمل بها ما لم يوجد ذلك في غيرها .  
ومنها : انه ذكر عزوجل القواعد الكلية المتبعة في المواريث ولم  
يعهد مثل ذلك في غيرها ، فمن تلك القواعد قاعدة « ان للذكر مثل  
حظ الانثيين » وقاعدة « الاقرب يمنع الابد » وغيرهما من القواعد .  
ومنها : انه تعالى بسط السهام ، وذكر اصولها في هذه الآيات

وهي : النصف ، والرابع ، والثلثان ، والثلث ، والسدس .  
ومنها : انه جلّ شأنه عظم أمر تلك الفرائض ببيان جزاء المطيع  
والعاصي فذكر الثواب على إطاعة الله تعالى وإطاعة الرسول ( صلى  
الله عليه وآله ) فيها والعذاب المهين على المخالفة والعصيان .  
ومنها : انه تعالى جعلها من حدوده التي لا يجوز التعدي عنها ،  
وقد وردت احاديث متعددة تدل على اهمية الفرائض والامر بتعلمها  
ففي الحديث المعروف عن رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) انه  
قال : « تعلموا الفرائض وعلموها الناس فاني امرؤ مقبوض ، وان  
العلم سيقبض ، وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة ولا يجدان  
من يقضي بها » وغيره من الاحاديث الكثيرة .

الثاني : يدل قوله تعالى : « يوصيكم الله في اولادكم » على ان  
حكم السهم والسهمين مخصوص باولاد الصلب للميت مباشراً ، واما  
غيرهم فهم في حكم من يتصلون به فلبنت الابن سهران ولابن البنت  
سهم واحد إذا اجتمعا ولم يكن هناك من يتقدم عليهم في المرتبة ،  
وكذلك حكم الاخوة والاحوات واولادهم . هذا بخلاف الابن والبنت  
فانهما اعمان من ان يكونا بواسطة أو غيرها .

الثالث : يدل قوله تعالى : « للذكر مثل حظ الانثيين » بايجازه  
البليغ واسلوبه الجذاب على اعظم حكم سنته الشريعة الالهية في الفرائض  
والمواريث فانه يعلن أن جنس الذكر يعادل في النصيب سهم اثنتين  
وهو يبين حقيقتين .

احديهما : ارث الانثى وانه امر مقرر معروف لا يمكن لاحد إنكاره  
وهو الاصل في ارث الذكر .

الثانية : ان للذكر مثل حظ الانثيين . وبذلك يبطل جميع التقاليد

والعادات البائدة التي لم ينزل بها سلطان ، وقد قيل في وجه الحكمة في هذا الحكم الالهي وجوه كثيرة بعضها لا تخلو من المناقشة . والمهم ان القرآن الكريم في هذا الاسلوب بين جهة فضل الفاضل ولم يتطرق إلى جهة نقص حظ الانثى .

الرابع : قد ذكر سبحانه في الآيات المتقدمة من موجبات الارث النسب - المتحقق في الآباء والابناء والاخوة - والسبب المتحقق في الزوجية وقد ذكر الابناء والآباء في قوله تعالى : « فان كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس » . وكلالة الأم من الاخوة . فاما السبب فقد ذكر عز وجل سهم الزوجين الاعلى والادنى على ما عرفت من التفصيل .

الخامس : يستفاد من التفصيل في سهام البنات انه لا يستغرق فرضهن التركة ، فان الواحدة مئتين تأخذ النصف والمتعددة يأخذن الثلثين واما الزائد فيرد عليهن بالتساوي . هذا إذا لم يكن معهن وارث ذكر ، والا فان للذكر مثل حظ الانثيين ويعلم من هذا التفصيل ان الذكر الواحد أو المتعدد يأخذون التركة ويتساوون فيها .

السادس : يستفاد من قوله تعالى : « من بعد وصية يوصي بها أو دين » انه لا نصيب لذوي السهام في التركة قبيل اخراج الدين والوصية منها ، فاذا اوفي الدين واخرجت الوصية من التركة فما فضل منها يتعلق به سهام ذوي الفروض . وانما قدم الوصية لاثبات الاهتمام بها فان اداء دين المورث مفروغ عنه بين العقلاء بخلاف الوصية .

السابع : يستفاد من نسبة السهام إلى التركة ان كل سهم من السهام الستة - وهي الثلث ، والثلثان ، والسدس ، والنصف ، والربع ، والثلثون - يتعلق

بأصل التركة في مرض واحد وعلى حد سواء ، فإذا اجتمع السدس والرابع مثلاً فإن السدس يخرج من أصل التركة كما يخرج الربع كذلك لأن يخرج السدس أولاً ثم يخرج الربع من ما بقي أو بالعكس وكذا في بقية فروض الاجتماع - كالثلث ، والثلثان ، والرابع - فالسهم كسور عشرية تتعلق بجميع المال وأصله فان كل جزء من اجزائه ينحل إلى كسور وكل كسر معين لصاحب فرض ، فلا وجه لتقديم احد الفروض وإخراجه من المال المورث ثم إخراج فرض آخر من ما بقي وهكذا فان ذلك خلاف ظواهر الآيات الكريمة وخلاف المنساق من تعلق الكسور في مال معين .

الثامن : يدل قوله تعالى : « آباكم وابتنائكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعاً » على ان تلك الاحكام الالهية والقسمة الربانية تبتنى على مصالح واقعية يعم النفع بها لجميع افراد البشر .

### بحث روائي

في اسباب التزوال والدر المنثور اخرج عبد بن حميد ، والبخاري ، ومسلم ، وابو داود ، والترمذي ، والنساء ، وابن ماجه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في السنن عن جابر ابن عبد الله قال : « عادني رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وابو بكر في بني سلعة ماشين فوجدني النبي ( صلى الله عليه وآله ) لا اعقل شيئاً بماء فتوضاً منه ثم رش عليّ فأفقت فقلت : ما تأمرني ان اصنع في مالي يا رسول الله ؟ فنزلت . يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » .

اقول : في ماء الرضوء آثار فكيف بماء وضوئه (ص) فانه قد يوجب احياء الموتى .

وفي اسباب النزول ايضاً عن جابر بن عبد الله الانصاري قال :  
« جاءت امرأة إلى رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) بابنتين لها فقالت  
يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس - أو قالت سعد بن الربيع -  
قتل معك يوم أحد وقد استغفاه عمهما مالهما وميراثهما فلم يدع لهما مالاً  
إلا أخذه فما ترى يا رسول الله ؟ فوالله ما تنكحان ابداً إلا ولها مال  
فقال يقضى الله في ذلك فنزلت سورة النساء وفيها : « يوصيكم الله  
في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين - الآية » فقال لي رسول الله  
( صلى الله عليه وآله ) ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعنهما : اعطها  
الثلثين واعط امها الثمن وما بقي فلك » .

اقول : الرواية لا تتعرض لحكم الزائد عن السهام وهناك روايات  
اخرى تتعرض له وان الزائد يرد على البنتين .

ويمكن أن يكون منشأ النزول متعددأ والنزول واحداً ولا بأس بذلك .  
وفي الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن السدي قال : « كان اهل  
الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من  
والده إلا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن - اخو حسان الشاعر -  
وترك امرأة له يقال لها ام كحة وترك خمس جوارى فجاءت الورثة  
فأخذوا ماله فشكت ام كحة ذلك إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) فأنزل  
الله تعالى هذه الآية « فان كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك  
وان كانت واحدة فلهما النصف » ثم قال في ام كحة : ولهن الربع  
مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن » .

وفيه ايضاً عن ابن عباس قال : « لما نزلت آية الفرائض التي  
فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والانثى والابوين كرهها الناس  
أو بعضهم وقالوا : تعطى المرأة الربع أو الثمن ، وتعطى الابنسة

النصف ، ويعطى الغلام الصغير ، وليس من هؤلاء احد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث الا لمن قاتل القوم ويعطونه الاكبر فالأكبر .

اقول : يعلم ان منشأ افتعال التعصيب في الاسلام وجدوره كانت من الجاهلية كما يعلم من ذلك ان قوله تعالى : « آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا » كان رداً على جميع هذه الخرافات والافتعال الجاهلية منها وما كانت في الاسلام .

وفي الدر المنثور اخرج الحاكم والبيهقي عن ابن عباس قال : « اول من اعال الفرائض عمر تدافعت عليه وركب بعضها بعضاً قال : والله ما ادري كيف اصنع بكم ؟ والله ما ادري ايكم قدم الله وايكم آخر ؟ وما أجد في هذا المال شيئاً احسن من ان اقسمه عليكم بالخصص ؟ ثم قال ابن عباس : وأيم الله لو قدم من قدم الله وأخر من أخر الله ما عالت فريضة فقبل له واياها قدم الله ؟ قال : كل فريضة لم يهبطها الله من فريضة إلا الى فريضة فهذا ما قدم الله وكل فريضة إذا زالت عن فرضها لم يكن لها إلا ما بقي فتلك التي أخر الله فالذي قدم كالزوجين والام ، والذي أخر كالاخوات والبنات فاذا اجتمع من قدم الله واخر بدىء بمن قدم فأعطي حقه كاملاً فان بقي شيء كان لمن وان لم يبق شيء فلا شيء لمن . »

وفيه ايضاً اخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس قال . « آرون الذي احصى رمل عالج عدداً جعل في المال نصفاً وثلاثاً وربعاً ؟ إنما هو نصفان وثلاثة اثلاث واربعة ارباع . »

وفي الكافي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : « جالست ابن عباس فعرض ذكر الفرائض من المواثيق فقال ابن عباس

سبحان الله العظيم أترون الذي احصى رمل عالج عدداً جعل في مال نصفاً وثلاثاً ؟ فهذان نصفان قد ذهبا بالمال فابن موضع الثلث ؟ فقال له زفر بن اوس البصري يا ابا العباس فن اول من أعال هذه الفرائض فقال عمر بن الخطاب لما التفت عنده الفرائض ودفع بعضها بعضاً قال : والله ما ادري ايكم قدم الله وايكم آخر ؟ وما أجد شيئاً اوسع من ان أقسم عليكم هذا المال بالحصص وأدخل على كل ذي حق حقه فأدخل عليه من عول الفرائض . وايه الله لو قدم من قدم الله وأخر من اخر الله ما عالت الفريضة فقال له زفر بن اوس : وايها قدم وايها اجر ؟ كل فريضة لم يهبطها الله عن فريضة إلا الى فريضة فهذا ما قدم الله واما ما اخر الله فكل فريضة إذا زالت عن فرضها لم يكن لها ما بقي فتلك التي أخرت ، فاما التي قدم فالزوج له النصف فاذا دخل عليه ما يزيد عنه رجع إلى الربع لا يزيد عنه شيء والزوجة لها الربع فاذا زالت إلى الثمن لا يزيد عنها شيء ، والام لها الثلث فاذا زالت عنه صارت إلى السدس ولا يزيد عنها شيء فهذه الفرائض التي قدم الله عز وجل ، واما التي أخرت ففريضة البنات والاحويات لها النصف والثلاثان فاذا ازالتهن الفرائض عن ذلك لم يكن لها إلا ما بقي فتلك التي اخر الله فاذا اجتمع ما قدم الله وما أخرت بدأ بما قدم الله فاعطي حقه كاملاً فان بقي شيء كان لمن أخر وإن لم يبق شيء فلا شيء له فقال له زفر فما منعك ان تشير بهذا الرأي على عمر ؟ فقال هيبه ،

اقول : الروايات في مضمون ذلك كثيرة ونفي العول مذهب

اهل البيت ( عليهم السلام )

وفي الكافي عن أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) في حديث قال :



« كان أمير المؤمنين ( عليه السلام ) يقول : ان الذي احصى رمل  
عالم يعلم ان السهام لا تعمل على ستة لا تبصرون وجهها لم تجز ستة .  
وفيه ايضاً عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « قال أمير المؤمنين  
( عليه السلام ) الحمد لله الذي لا مقدم لما آخر ولا مؤخر لما قدم .  
ثم ضرب باحدى يديه على الاخرى ثم قال يا ايها الامة المتحجرة بعد  
نبيها لو كنتم قدتم من قدم الله واخرتم من آخر الله وجعلتم  
الولاية والورثة حيث جعلها الله ما عال ولي الله ولا مال سهم من  
فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله ولا تنازعت الامة في شيء  
من امر الله الا وعند علي علمه من كتاب الله ، فذوقوا وبال امركم  
وما فرضتم فيما قدمت ايديكم وما الله بظلام للعبيد ، وسيهلم الذين  
ظلموا أي منقلب ينقلبون . »

اقول : الروايات في رد العول متضافرة ، واما كيفية تقسيم التركة  
على الوارث إذا كانت السهام اكثر منها فهي مذكورة في كتب الحديث  
والفقه فليراجع اليها .

وفي الكافي عن الصادق ( عليه السلام ) قال : « لا تحجب الام  
عن الثلث إلا اخوان أو أربع اخوات لاب وام أو لاب . »  
اقول : الاخبار في ذلك كثيرة وقد تقدم ما يستفاد ذلك من  
الآية ايضاً .

وفي التهذيب عن السكوني عن أبي عبدالله ( عليه السلام ) قال :  
« اول شيء يبدأ به من المسال الكفن ، ثم الدين ، ثم الوصية ،  
ثم الميراث . »

اقول : الروايات في مضمون ذلك كثيرة وهي متفقة على ان  
الدين مقدم على الوصية وهي مقدمة على الميراث والكفن من شؤون

الميت نفسه فلا بد من اخراجه اولاً .

وفي المجمع في قوله تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين »  
عن أمير المؤمنين ( عليه السلام ) وانكم تقرأون في هذه الآية الوصية  
قبل الدين وان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قضى بالدين قبل الوصية .  
اقول : رواه السيوطي وغيره ايضاً وتقدم الوجه في تقديم الدين  
على الوصية .

وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر ( عليه السلام ) قال : « ان  
الله ادخل الزوج والمرأة على جميع اهل المواريث فلم يتقصها من الربع والثلث . »  
اقول : هذه الاخبار ونظائرها دليل على عدم العول والتعصيب  
بالنسبة اليها واما الرد اليها ففيه كلام ذكرناه في الفقه ومن شاء  
فليرجع إلى ( مهذب الاحكام ) .

وفي الكافي في معنى الكلالة عن الصادق ( عليه السلام ) : « ومن  
ليس بوالد ولا ولد » .

اقول : تقدم معنى الكلالة وذكرنا ان ذلك مستفاد من نفس  
الآية الشريفة .

### بحث فقهي

بستفاد من الآيات المتقدمة - التي فرض الله تعالى فيها السهام  
بضميمة الآيات الاخرى الواردة في الارث منها الآية التي تقدم تفسيرها  
« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك  
الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » والآية التي

في آخر هذه السورة وغيرها - احكام مهمة تعتبر كليات باب الفرائض والمواريث وقد اعتمد عليها الفقهاء في كتبهم الفقهية ونحن نذكر المهم منها في ضمن مسائل .

المسألة الاولى : قاعدة : و تفضيل الذكر على الانثى ، التي هي من القواعد في الفرائض والارث والاصل فيها قوله تعالى : وللذكر مثل حظ الانثيين ، فانها تقضي تقسيم التركة إذا اجتمع الذكور والاناث من الورثة ولم يكن لواحد فرض على تفضيل الذكر على الانثى في النصيب . وإذا تأملنا في الفرائض التي فرضها الله تعالى في الارث للرجال والنساء نرى ان سهم النساء ينقص عن سهام الرجال مطلقا إلا في مورد واحد وهو الابوان إذا اجتمعا فان سهم الام قد يزيد على سهم الاب ، كما إذا اجتمع الاب والام والبنيت الواحدة فان للبنيت الواحدة النصف ، والاب واللام السدسان والباقي يرد على البنيت والام دون الاب فيزيد سهم الام على الاب حينئذ ، ولعل الوجه في ذلك ان الأم أُمس رحماً للولد من الأب لما تتحمله من المصاعب وتقاسي من الهموم في سبيل تربيته وحضانه ، فلها المنزلة العظمى في الاسلام وفي غير هذا المورد يكون نصيب المرأة اقل من نصيب الرجل ، فالزوج له النصف مع عدم الولد للزوجة والربع مع وجوده ، واما الزوجة فلها الربع مع عدم وجود الولد للزوج والثلث مع وجوده ونحو ذلك .

واما وجه الحكمة في كون سهم الرجل ضعف سهم الانثى في الجملة فإنه يبتني على امرين : احدهما اجتماعي اقتصادي والآخر يرجع إلى الخلق والتكوين ويشير إلى كلا الامرين قوله تعالى : والرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم »

النساء - ٣٤ فان المراد من الفضل الوارد فيها هو تعقل الرجال وإستيلاء روح التعقل بحسب الطبع والتكوين عليهم وما يمتاز به الرجل من زيادة اليأس ، والصلابة والشدة ، والغلظة والخشونة . فان جميع ذلك امور يتطلبها المجتمع الانساني في مواطن الدفاع والاعمال الشاقة ، وفي تحمل الشدائد والمحن ، والثبات في الأهوال ونحو ذلك مما هو ضروري في الحياة فالرجال على الاكثر يقومون بهذه الشؤون .

واما المرأة فهي متصفة بالاحساسات والعواطف التي لا غنى للمجتمع عنها فان لها آثاراً عجيبة في الانسان لما يتطلبه من الوداعة في العيش والسكن والحية والانس والرحمة والرأفة مضافاً إلى تحمل المرأة اثقال الحمل والوضع والحضانة وخدمة البيوت ولا يصلح لهذا الجانب إلا الرحمة والرأفة والاحساس اللطيف والعاطفة الرقيقة ، فالرجل والمرأة يتبادلان هذين الأمرين الضروريين ويتعادل بهما الحياة ويتنظم شؤونها فانها يتقوم بهما .

واما الوضع الاجتماعي فان وضع الرجل الاجتماعي يقتضي الصرف وادارة المعاش والسعي فيها ويجب عليه الانفاق غالباً وذلك يتطلب التدبير المالي في الانتاج والاسترباح فهذا إلى روح التعقل انسب إذ لا فائدة للاحاساس والعواطف التي هي إلى روح التصرف والمصرف انسب ولذا كانت المرأة اكثر من الرجل فكانا متعاكسين في الملك والمصرف فإذا ملك الرجل الثلثين فان المرأة تذهب بنصف هذين الثلثين بينما تملك المرأة الثلث ولكنها تملك زمام ملكه ومصرفه . ويستفاد ما ذكرناه من عدة آيات كما مر وروايات .

منها : ما رواه هشام : ان ابن أبي العوجاء قال لمحمد بن النعمان الاحول ما بال المرأة الضعيفة لها سهم واحد ، وللرجل القوي المورس

سهان ؟ قال فذكرت ذلك لأبي عبدالله ( عليه السلام ) فقال : ان المرأة ليس عليها عاقلة وليس عليها نفقة ولا جهاد ، وعدة أشياء غير هذا ، وهذا على الرجل فلذلك جعل له سهان ولها سهم ، وفي مضمونها وردت روايات اخرى .

المسألة الثانية : قاعدة « تقرب الاقرب وتقدمه ، وان القريب يمنع البعيد » ويدل عليها قوله تعالى : « ابؤاكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعاً » فانه اعتبر الاقربى الى الميت امرأ مفروغاً عنه ولكن الانسان يجهل خصوصيات الاقربى وبضميمة الآيات الاخرى يتبين الاقرب والابعد اللذان يكونان مؤثرين في زيادة السهم وقلته ويدل على ان الاقرب نسباً يمنع الابعد قوله تعالى : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » الاحزاب ٦ فن الآيات المتقدمة يستفاد : ان اقرب الاقارب والارحام هو الأب والأم والإبن والبنت ومع وجودهما لا تصل النوبة الى اولادهما ، لأن الإبن والبنت يتصلان بالميت بدون واسطة واولادهما يتصلون به بواسطتها .

ثم بعد هذه الطبقة تأتي الطبقة الثانية وهم اخوة الميت واخواته وجدودته فانهم يتصلون بالميت بواسطة واحدة وهي الأب والأم واولاد الأخ والأخت كاولاد الإبن والبنت فانهم يتصلون بالميت بواسطة آبائهم ، وامهاتهم وهم يمنعون الاولاد .

ثم تأتي الطبقة الثالثة وهم اعمام الميت وعماته وخالاته واخواله فانهم يتصلون بالميت بواسطة الجدود والأبوين والأم وهكذا القياس في جميع الافراد .

ومن ذلك يظهر ان ذا السيين مقدم على ذي السبب الواحد فاذا اجتمع الأبوين مع كلاله الأب فان الاول مقدم على الثاني واما كلاله

الأم فلا يزاحها احد من كلاله الأبوين أو الأب لادلة خاصة .  
 المسألة الثالثة : قاعدة الحجب ويستفاد تلك القاعدة من الآيات  
 المباركة المتقدمة والسنة الشريفة فان بعض الافراد يحجب صاحب سهم  
 عن سهمه وهذا على نحوين فانه تارة يحجبه عن سهم إلى سهم آخر  
 كحجب الاخوة انصيب الأم من الثلث إلى السدس ويبدل عليه قوله  
 تعالى : وفلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس ، وفي حجب  
 الاخوة شروط مذكورة في كتب الفقه .

منها : ان يكون الاخوة متعددين سواء كانوا ذكراً أو إناثاً واختين  
 أو اربع اخوات ، ويبدل عليه ظاهر الآية الشريفة وبعض الاخبار  
 والاجماع المحقق .

ومنها : ان يكونوا للأب والأم أو للأب ، ويبدل عليه الاخبار  
 كما عرفت والاجماع ايضاً .

ومنها : ان يكون الأب حياً وغير ذلك من الشروط المذكورة  
 في الفقه .

واخرى : يكون الحجب من سهم معين ولكن لا ينتقل إلى سهم  
 آخر مثل حجب الابن والبنت لسهم الأب والأم .

المسألة الرابعة : التركة إذا قيست مع السهام فتارة : تكون مساوية  
 للسهام مثل بنتان واب وام فان للبنتين الثلثين وللأب السدس وللأم  
 السدس ، فاستغرقت السهام التركة والمال الموروث أو زوج واخت  
 فان للاخت الواحدة النصف وللزوج النصف ايضاً .

واخرى : تكون السهام اكثر من التركة مثل زوج واختين أو  
 اخوات فان للزوج النصف وللأخوات الثلثين وكذا إذا اجتمع ابوان  
 وبنتان وزوج فان السهام سدسان وثلثان وربيع وهي تزيد على التركة

بربع إذ هي لا تزيد عن السدسين الثلثين .  
وثالثة : تكون السهام انقص من التركة كما إذا اجتمع اب و بنت  
واحدة فان للاب السدس وللبنات الواحدة النصف وهي تنقص عن  
التركة بمقدار السدسين وكما إذا كان بنتاً فقط أو بنتين فقط أو اختين فقط .  
والصورة الثانية : تسمى في اصطلاح الفقهاء بالعول ، والصورة  
الثالثة : تسمى بالتعصيب وفيها النزاع المعروف بين الامامية والجمهور  
فانهم حكموا بورود النقص في مسألة العول على جميع الورثة ؛ كما حكموا  
في مسألة التعصيب بأن الزائد يرد على عصبية الميت - وهم اقاربه من  
الذكور فقط - فحرموا الاثاث منه .

ولكن الامامية شددوا التكبير على ذلك تبعاً لما ورد من ائمة اهل  
البيت ( عليهم السلام ) واعتبروا ذلك خروجاً عن حدود الله  
تعالى وتعد عليها ، ويستفاد من تشديد التكبير في آخر الآيات المتقدمة  
على التعدي عن حدوده سبحانه والاقتران بين عصيان الله والرسول  
( صلى الله عليه وآله ) والتعدي عن حدود البارئ عز وجل ان  
ذلك خروج عما فرضه الله تعالى ، ولعل ما ورد في السنة الشريفة من  
انكار العول والتعصيب مأخوذ من الآيات المتقدمة .

وكيف كان فان ائمة الهدى ( عليهم السلام ) حكموا في مسألة  
العول ان النقص يدخل على خصوص الذين لم يعين لهم الاسهم واحداً  
وهم البنات والاخوات دون غيرهم كالام والزوج الذين عين لهم الله  
تعالى فرائضها الاعلى والادنى في جميع الفروض وفي مسألة التعصيب  
يكون الزائد للجميع حسب نسبة السهام والتفصيل يطلب من محله وتقدم  
في البحث الروائي ما يتعلق بذلك ايضاً .

المسألة الخامسة : ظاهر اطلاق الآية الشريفة في الاولاد وغيرهم

ان الاولاد يقومون مقام آبائهم في مقاسمة الابوين ويرث كل واحد منهم نصيب من يتقرب به كما تقدم في البحث الدلالي ، ويدل عليه اخبار كثيرة والاجماع المحقق .

المسألة السادسة : اطلاق الأزواج في قوله تعالى : **وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ** « يشمل المعقود عليها وان لم يحصل المقاربة . والدخول فترثه ويرثها ، كما يتناول المطلقة طلاقاً رجعياً لانها بحكم الزوجة ما دامت في العدة . وبعد العدة إلى سنة يقع فيها الوفاة ويدل على ذلك الاجماع والاخبار المستفيضة إلا انه استثنى من القسم الاول ما إذا تزوج المريض زوجة فلم يدخل بها حتى مات في مرضه الذي تزوج بها ويدل على ذلك الاخبار والاجماع .

كما ان ظاهر اطلاق الآية الشريفة **وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ** ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ، ارث الزوجة من جميع التركة من العقار والبناء ونحو ذلك فلا تحرم من شيء منها ولكن الروايات المستفيضة والاجماع المحقق يدلان على حرمانها من بعض الاشياء . واختلف الفقهاء في تعيين ذلك تبعاً لاختلاف الاخبار والمتفق بينهم انها تحرم من العقار بلا اشكال كما فصلناه في الفقه .

المسألة السابعة : ظاهر قوله تعالى : **وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاةً أَوْ امْرَأَةً وَهِيَ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ** ، ان الاخوة والاخوات لا يرثون مع الوالدين والاولاد ، ولا مع واحد منهم ، لما ذكرناه من ان طبقة الاخوة والاخوات بعد طبقة الوالدين والاولاد فاذا وجد واحد من الطبقة الاولى لا ترث الطبقة الثانية وهو متفق عليه عند الامامية ، واكن الجمهور يورثون الاخوة مع الام وتعرضنا لذلك في الفقه فراجع ( مهذب الاحكام ) .



## بحث فلسفي

الوراثة على اقسام: الاول الوراثة المالية وهي كما تقدم ان الانسان يورث مالا للطبقات التي بعده وقد شرحها الله عزوجل بأحسن شرح وافضل بيان وفصلتها السنة المقدسة بما لا مزيد عليه خصوصاً في الموارد التي لها المعرضة للتشاجر والاختلاف .

وعلم هذا التشريع منحصر به جلت عظمته فهو تبارك وتعالى بين اصولها والسنة المقدسة تبين شرائطها وقبورها وغيرها مما يتعلق بها واما الفروع والاحكام فيبينها الاولياء العظام والائمة الكرام ، وهذا مما لا شك فيه لان الانسان مهما بلغ من الكمال لا يمكن له درك الحقائق الواقعية والمصالح النوعية على ما هي عليه فلا بد وان يرجع إلى وحي السماء وهو يبينها كما انزلها تعالى بالترتيب المتقدم ويبدل عليه قوله تعالى « اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا » .

الثاني : الوراثة في الملكات الراسخة في نفس المورث - حسبة كانت أو حلدسية - وهي وجدانية لكل احد في الجملة فقد يؤثر ملكات الآباء أو الاجداد في الاولاد غالباً ، وقد ثبت ذلك في العلم الحديث المعبر عنه بـ ( قانون الوراثة ) .

وعلم هذا القسم وخصوصياته منحصر به جلّ جلاله ايضاً لانه العالم بالواقعيات والمحيط بدقائق الامور - كلياتها وجزئياتها - ومن هذا القسم نشأت القبائل والعشائر وعليه بنيت اكثر الامور الاجتماعية والاعتبارية الشرعية على ما فصل في الفقه .

وهو من اقدم الامور فكان مقارناً مع اول نسل آدم (عليه السلام)

وقد كشف العلم الحديث كشفاً صحيحاً بحشيتة واذنه تعالى وفي السنة المقدسة ما يدل على ذلك وقد ورد بعضها في كتاب النكاح وغيره قال تعالى : « وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتها محسن وظالم لنفسه مبين » الضافات - ١١٣ بدعوى ان الاحسان في المحسن حصل من الملكات الموروثة وكذا ظلم الظالم لنفسه صار مقتضياً لظلم الذرية وقال تعالى : « ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون » الحديد - ٢٦ ، وقال تعالى : « اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا » .

الثالث : الوراثة الروحانية وفي بعض المعنويات في الجملة فيورثها الاب لذريته قال تعالى : « والذين آمنوا واتبعتمهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم » الطور - ٢١ وغيره من الآيات المباركة . وهذا القسم يختص باولياء الله تعالى يتقدمهم سيد الانبياء وذلك مشروط بعدم النقص والخلل في الذرية فانها بمنعان عن تلك الوراثة بعد الاعتقاد بانه تعالى عليم حكيم .

ويمكن ان يجتمع في ولي من اولياء الله تعالى أو نبي من انبيائه الوراثة في المال والصفات الحسنة والوراثة التشريعية الروحانية فما نسب إلى نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) : « إنا معاشر الانبياء لانورث درهماً ولا ديناراً » ليس في مقام نفى الوراثة اصلاً وإلا لخالف الآيات الشريفة بل في مقام ان الانبياء ليسوا في مقام جمع المال وادخاره لوراثتهم - كما يصنع ابناء الدنيا - فان شأنهم ومقامهم يجلي عن ذلك نعم لو فرض شيء لهم ينتقل بعدهم إلى وارثهم وان الورثة بصرفونه في ذوي الحاجات وهذا هو معنى ما الحق بذيل الحديث : « وما تركناه صدقة » فمعنى صدر الحديث وذيله ان النبي ووارثه الروحاني كل منهما

ليس في مقام ادخار المال بل امواهم تصرف في ذوي الحاجات وإلا  
فانها كسائر الناس يرثون ، فان وارث النبي يرث منه من جهتين  
الجهة المالية والجهة الروحانية ولا يمكن التفكيك بينها .

ثم إن اهتمام القرآن في تشريع اصول سهام الارث بهذا التقسيم  
البلغ انما هو لاجل ان الموضوع كان مورد التشاجر والتخاصم في  
المجتمع فشرع السهام على وجه معقول وأكد الالتزام بها بقوله تعالى :  
« ومن يغص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله  
عذاب مهين » وقوله تعالى : « آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم  
نفعاً » فهذه كلها لدفع التشاجر والتخاصم وإلافتعالات الخاطئة وان  
ما سوى ما شرعه الله تعالى يكون « كسراب بقية بحسبه الظمان ماء  
حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » النور - ٣٩ .

### بحث اجتماعي

الارث : من الامور الاجتماعية التي لازمت المجتمع الانساني  
من اول حلوه وقد مرت اطوار كثيرة على هذا الامر المهم  
حتى وصل إلى الحالة التي نراها في الاسلام الذي يعتبر بحق احسن  
ما شرع فيه لأنه يبتني على حكمة متعالية ومصلحة عامة ونحن نذكر  
في هذا البحث ما يتعلق به :

## بداية الارث وتحوله :

الارث من أقدم الامور الاجتماعية بل يمكن ان نقول انه امر طبيعي لا يسع لاحد انكاره وقد برز للوجود بظهور الملكية والتملك عند الانسان فانه من مصادر الملكية ، لكنه يختلف عن سائر المصادر بانه مصدر قهري للملكية ، فان بموت احد يملك غيره سواء كان قريباً له أو لا ما كسبه في حياته وتركه لغيره ، اختلاف المجتمعات في هذه الظاهرة شدة وضعفاً لا يضر ان يكون الارث من اقدم العهود والسنن الاجتماعية .

ومن الطبيعي ان هذا الامر الاجتماعي كان في بداية ظهوره بسيطاً كسائر الامور الاجتماعية فان الحياة كانت بسيطة وغير معقدة ولم يتكون المجتمع إلا من افراد قليلين ولم يكن المال الذي يرثه سوى بعض الاشياء البسيطة ، ولكنه تطور وتحول تدريجياً وان لم تصل اليها كيفية ذلك .

## تطور الارث وتقسيمه :

بعدها عرفت ان الارث والتوارث هو امر طبيعي وقد كان بسيطاً ثم تطور وكان في ابتداء امره مبنياً على القرابة والولاء فان لكل فرد ابوين واولاداً وزوجة وقرابة وصديقاً ورحماً وهذه الافراد تتفاوت في القرب والبعد والاولوية ومن هؤلاء تشكل العشيرة والقبيلة ونحو ذلك فكانت قسمة الارث تتفاوت في المجتمعات تبعاً لاختلاف الآراء

في الاولوية والاقربية، ففي المجتمع الجاهلي مثلاً كانوا يحرمون كثيراً من الورثة عن التركة لانهم كانوا يعتبرون القوة في الوارث فيعضهم كانوا يعتبرون القوي هو رئيس القبيلة ، والآخر يعتبره الأب وثالث يعتبره اشجع القوم وظل هذا الامر الاجتماعي مختلفاً فيه ويتحول من حال إلى حال آخر .

ولكن الامر المتفق عليه انهم كانوا يحرمون الصغار والنساء والضعفاء من الارث . وبلغ هذا الامر الاجتماعي أوج كماله في الشريعة الاسلامية لانها تبني على الفطرة والحكمة بخلاف غيرها فانها لا تتبع عن الفطرة بل تتبع العواطف والنزوات والاحساسات حتى عند الامم الراقية التي سنت القوانين في حياتها مثل اليونان والرومان ولذا كان بطراً عليها التغير والتبدل بخلاف ما شرعه الاسلام في الارث فان المسلمين قبلوا هذا الحكم بمجرد نزوله على صاحب الشرع واسرعوا إلى العمل به وظلوا على ذلك منذ اربعة عشر قرناً .

### مقارنة الارث في الامم المتعدنة :

أما اليونان فكانوا يحرمون النساء مطلقاً الزوجة والبنات والاخت من الارث كما كانوا يحرمون صغار الاولاد ولكنهم كانوا يحنلون في توريث من حرموه من الميراث بالوصية اليهم .

واما الرومان فانهم كانوا يقسمون الارث على القرابة التي يبني عليها البيت عندهم وما يريد اب البيت ، فانهم كانوا يعتبرون ان للبيت شخصية قانونية واستقلالاً مدنياً عن المجتمع العام وكانت تشكيلة البيت من رب البيت والزوجة والاولاد والعييد ، وكان رب البيت

هو المعبود لاهله وهو يعبد رب البيت السابق من اسلافه كما انه المالك وغيره لا يملك والقيم عليهم والاولاد ان بقوا في البيت بعد تأسيسهم لبيت جديد فانه تابع لرب البيت وإلا فهو رب للبيت الجديد بعدما كان من افراد البيت القديم واما إذا مات فانه يرثه احد ابناؤه أو اخوانه ولا ترث النساء مطلقا الأم والبنت والاخت والزوجة بحكم القانون الذي يسنه اب البيت ، فالنساء ذوات قرابة طبيعية دون القرابة الرسمية التي بموجبها يرث افراد البيت . ولعل السبب في ذلك انهم كانوا يحرمونهن من الارث لثلاثا ينتقل مال الميت إلى بيت آخر بالازدواج ، فان المال عندهم ملك للبيت الذي اكتسبه ولا يجوزون انتقال الثروة من بيت إلى بيت آخر .

واما سائر الامم - كالهند والصين وغيرهما - فانهم كانوا يحرمون النساء وضعفاء الاولاد ويقربون في ذلك إلى اليونانيين والرومانيين .  
واما الفرس فانهم كانوا يحرمون بعض النساء في بعض الحالات مثلا كانوا يحرمون البنات المزوجات والزوجات غير الكبارات واما الزوجة الكبيرة والبنت غير المزوجة فانها ترثان ، ورب البيت قد يحب بعض النساء حبا يجعلها مقام الاولاد فترثه كما يرث الابن والدعي لانهم كانوا يجوزون الارث للبنين واما البنت فاذا لم تتزوج فهي ترث نصف الابن واما إذا تزوجت فلا ترث شيئا لثلاثا تنتقل الثروة إلى خارج البيت .

واما في العصر الجاهلي المعاصر لنزول القرآن فانهم كانوا يورثون الاولاد تبعاً للرشد والقوة ، فحرموا النساء وصغار الاولاد فان لم يكن في الاولاد رشيد قوي فبرث المال العصبية .

## الارث في الاسلام :

بعدما عرفت حال هذه السنة الاجتماعية قبل الاسلام وعصر نزول القرآن وقد اتفقوا على منع النساء والضعفاء ومن لا حول له ولا قوة من الارث والجميع اسسوا هذه القواعد والاحكام على اساس العصبية والعواطف التي لا تهدي إلى السعادة والحقيقة .

اما الاسلام فقلسنا حكمه على الفطرة والحكمة والتعقل وشرع قانون الارث على اساس محكم متين وهو النسب والسبب والولاء ، واعتبر ان القرابة تقوم على اساس الرحم الذي هو ام تكويني والنبي كثيراً من الامور التي كانت متبعة عند المجتمعات قبل الاسلام منها التبني والادعاء والقوة والنفوذ والشجاعة والرشد ونحو ذلك من الاوهام الخاطئة التي بها حرم كثير من الورثة ، بل يمكن ان نقول ان الارث مطلقا كان يبتني على ارادة قرب البيت وما تملبه العادات والتقاليد دون الحكمة والتعقل . وقد عرفت ان الاسلام يبني الارث على اصلين جوهرين هما اصل القرابة والرحم الذي هو الرابط بين الفرد واقربائه وفي هذا الاصل لا يختلف الذكور والاناث والكبار والصغار بل حتى الجنين في بطن امه فانهم جميعاً يشتركون في الرحم والقرابة لكن الافراد تختلف في القرب والبعد ولذلك سنّ قانون الاقربى وان الاقرب يمنع الابعد وعلى ذلك بنيت طبقات الارث المتتالية وهي ثلاث طبقة الآباء والابناء ، وطبقة الاجداد والاحوة ، وطبقة الاعمام والاخوال على ما هو المعروف ولا ترث الطبقة اللاحقة عند وجود فرد من الطبقة السابقة وفي كل طبقة تجري قانون أن الاقرب يمنع الابعد . وكان اساس

ذلك أمر تكويني وحكم رباني مبني على الحكمة المتعالية والمصاحبة العامة :  
كما له اصل آخر قويم وهو : اختلاف الذكر والانثى في الارث  
واسس القانون العظيم وهو : « للذكر مثل حظ الانثيين » وذلك  
لاختلاف الطبايع في كل واحد منها الموجب لاختلاف منزلتها الاجتماعية  
وان كان الجميع سواء في الشخصية الانسانية بلا اختلاف بينهما في  
هذه الجهة ، وبذلك ابطل جميع التشريعات الوضعية التي استت على  
العاطفة والاحساس ، فكانوا يجرمون النساء لانهم كانوا لا يرون لمن  
منزلة في المجتمع الانساني ولكن الاسلام رد المرأة إلى منزلتها الطبيعية  
وارجع لها الحقوق التي اغتصبت برهة من الزمن .

واما ما تدعيه المدنية المعاصرة من تساوي الحقوق بين المرأة والرجل  
فهذه ليست إلا بدعة ارادوا بها اذلال المرأة وجعلها لعبة يستفيد منها  
المغرضون في الميل عن الحق واثبات اغراضهم الفاسدة واعمال نواياهم  
السيئة فاي حق لها كان ضايعاً في الاسلام حتى يردوه اليها .

وكيف كان فالاسلام بنى الارث على هذين الاصلين وقسمته على  
الكيفية المعهودة كما عرفت سابقاً . وجاء رد الاسلام واضحاً في قول  
الله تعالى : « آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعاً ، فانهم  
قصدوا المنافع الدنيوية من الارث وفي تقسيمه ولكنهم جهلوا خصوصياته  
فضلتوا واضلوا .

ومن ذلك تعرف الفرق الجوهرية بين النظامين الاسلامي والوضعي  
فانه يفترق عن غيره في المنهج والقاعدة والغرض كما عرفت مما سبق .  
ومن نافلة القول ان بعض من يدعي الفضل يرى ان قانون الارث  
في الاسلام مأخوذ من الارث الروماني ، وكأنه غفل عن التباين الكلي  
بينها وانه جهل اساس كل من القانونين ونحن في غنى عن التخصيل



بعدها اتضح لك الحال .

### الارث في الامم المعاصرة :

يختلف الارث في الامم المعاصرة المتمددة عن قانون الارث في الاسلام في الاصل والمنهج، ولكنها تتفق معه في توريث المرأة لاعتمادهم على تساوي الحقوق بين الرجل والمرأة ويدعون انهم خالفوا بذلك جميع المجتمعات التي حرمت النساء من حقوقهن ولكن بعد التأمل في ما ذكرناه ترى ان فضل ذلك يرجع إلى الاسلام عندما اعتبر المرأة جزء من الاجتماع وان لها حقوقاً كما للرجال .

ولقد ثارت في الجاهلية المعاصرة منذ القرن السادس عشر قضية المرأة وشغلت بال النساء والرجال على حسد سواء برهة من الزمن وكانت في بداية الامر لا تتمدي عن بعض الامور ولكنها اتسعت وتعدت حتى وصلت إلى المساواة المطلقة في كل شيء بل نادى بعضهم بالحرية للمرأة في ان تهب نفسها لمن تشاء . وشتان بين الجاهلية التي جعلت المرأة كالمناجاة وحكمت العواطف والاحساسات على العقل والحكمة وبين ما اثرت في عصر نزول القرآن من المسلمات المؤمنات اللواتي اردن المساواة بينهن وبين الرجال في الحقوق ودرجة الشهادة والتساوي في الميراث فجاء الخطاب السماوي الذي يفصل بين الواقع والخيال ورداً على التمنيات التي توجب الفوضى والفساد قال تعالى : « ولا تمنوا بما فضل الله به بعضكم على بعض الرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليماً » النساء - ٣٢ فان الله خلق كل واحد من الجنسين لمهمة معينة تقوم

بها الحياة وينتظم النظام الاحسن وجعل لكل جنس حكمه المختص به التي تتطلبه وظيفته الفطرية وفي غيرها يشترك الجنسان في جميع الاحكام والحقوق ، وقد اسست في الفقه الاسلامي قاعدة معروفة يعتمد عليها الفقهاء وهي : « اشترك الرجال والنساء في جميع الاحكام إلا ما خرج بالدليل » كما عرفت في احد مباحثنا السابقة . وتطبيقاً لتلك المشاعر العاطفية والنعرات الجاهلية فقد وضعت القوانين الحديثة احكاماً تشرك النساء مع الرجال في جميع المجالات منها تساوي الرجال والنساء في سهم الارث فالاباء والامهات والبنات والبنون سواء فيه .

وقد سن القانون الوضعي في فرنسا في الارث اموراً منها انه رتب الطبقات على اربع : الاولى البنون والبنات . الثانية : الآباء والأمهات والاخوة والاخوات . الثالثة : الاجداد والجدات . الرابعة : الاعمام والعمات والاخوال والخالات . ولم يجعل القانون موضعاً للزوجة في هذه الطبقات لأن الجاعلين اعتبروا علاقة الزوجة من مجرد المحبة القلبية واكنهم جعلوا الزوجة تحت قيمومة الزوج فلا يحق لها ان تتصرف في الاموال التي ترثها من اقاربها إلا باذن زوجها . إلا ان القوانين التي وضعت بعد ذلك اخرجت المرأة عن قيمومية الرجل وساوت بينها في الملك والتصرف . وبعد الاحاطة بما ذكرناه آنفاً تعرف الفرق الكبير بين قانون الاسلام والقوانين الوضعية التي تبين الاسلام من جهات كثيرة ، فان الشريعة التي وضعت على الحكمة والمصلحة العامة واعرضت عن الاحساس والعواطف الوقتية لجديرة بالعمل بها والاعراض عن غيرها .

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ لِلْفَاحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا  
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَامْسِكُوهُنَّ  
فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ  
لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا  
فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦)

بعدما ذكر سبحانه وتعالى بعض احكام اليتامى واحكام الموارث  
وبين شريعة الحق فيها ففي هاتين الآيتين بين عز وجل حكماً اجتماعياً يتعلق  
بالاجتماع والافراد معاً ، وهو النهي عن الفحشاء والتغليظ على من  
يأتي الفاحشة ويرتكب هذه المعصية الموبقة وإخلاء المجتمع منها لانها  
توجب زوال الحياء والعفة وتستلزم افساد النسل والشقاء . ويبين سبحانه  
وتعالى لزوم اجراء الحد الشرعي على مرتكبها .  
ويجمع هذه الآيات المباركة اذها تشتمل على الاحكام الشرعية  
الالهية التي نزلت لتكميل الانسان وجلب السعادة له في الدارين ، وهذا  
هو وجه الارتباط بين هاتين وما سبقتهما من الآيات الكريمة ولا موجب  
لالتماس وجوه بعيدة عن السياق للتوفيق بينها .

### التفسير

قوله تعالى : وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ .

اللاتي : احدى صيغ جموع (التي) السماعية وهو اسم مبهم للمؤنث  
ولا يتم إلا بصلته ولا ينزع الالف واللام منه ، ولذا أدخل بعض

الشعراء حرف النداء عليه كاسم الجلالة قال :

لاجلك يا التي تيمت قلبي وانت بخلية بالوددعني

ويأتي في البحث الادبي نعمة الكلام .

و(بأئين) من الايتان وهو المجيء يكتنى به عن الفعل ، كما جاءت  
الكتابة عن الفعل بالقرب في القرآن الكريم قال تعالى : « ولا تقربوا  
الفواحش » الانعام - ١٥١ وانا عبره عنه عزوجل لمزيد التهجين ،  
ولبيان ان الفعل صدر عنهم مع القصد والاختيار .

والفاحشة: اسم لكل فعل قبيح ، بل لكل ما اشتد قبحه من المعاصي

وهي مصدر كالعافية والعاقبة وقيل اسم وضع موضع المصدر :

وهي إما تصدر من الذكربن وتسمى باللواط والتفخيد أو تصدر  
من الاثيين وتسمى مساحقة أو بين الذكر والاثى وتسمى بالزنا ،  
وقد استعمت في القرآن الكريم في جميع تلك الموارد ففي الزنا قال  
تعالى : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » الاسراء - ٣٢  
وفي اللواط والسحق قال تعالى : « انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها  
من احد من العالمين » العنكبوت - ٢٨ .

ثم ان المحتملات في المراد من الفاحشة في الايتين ثلاثة :

الاحتمال الاول : ان يكون المراد منها الزنا ، وهذا هو المعروف بين

المفسرين والفهاء واستدلوا على ذلك بأمر :

منها : ان الزنا هو المعهود من اطلاق لفظ الفاحشة .

ومنها : مناسبة المقام تقتضي ان يكون المراد منها الزنا .

ومنها : ظهور الآية المباركة في ان الحكم فيها مؤقت وانه منسوخ

بالحد المفروض في سورة النور حيث قال تعالى في المقام « أو يجعل

الله لمن سبيلا » والسبيل ما ورد في سورة النور : « الزانية والزاني

فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة ، سورة النور - ٢ .  
ومنها : الروايات المتعددة التي تدل على ان المراد منها الزنا فقد  
روى كبار المحدثين من الجمهور عن عبادة بن الصامت في حديث :  
« ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) اوحى اليه ، ولما سرى عنه  
الوحي فقال ( صلى الله عليه وآله ) : « خذوا عني قد جعل الله لهن  
سبيلا : الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ، والبكر جلد مائة ثم نفى  
سنة ، ومثله غيره .

وفي الكافي عن أبي جعفر الباقر ( عليه السلام ) في حديث : « ان  
سورة النور نزلت بعد سورة النساء قال الله تعالى : « واللاتي يأتين  
الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن  
في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، فالسبيل الذي  
قال الله تعالى هو : « الزانية والزانية فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة »  
وفي تفسير العياشي عن جابر عن الباقر ( عليه السلام ) . « جعل  
السبيل الرجم أو الجلد ، وغير ذلك من الروايات .

واصحاب هذا القول اختلفوا في تعيين المراد من الآيتين فقيل ان  
الاولى في زنا المحصنات لتخصيص النساء بالذكر دون الرجال ،  
وشيوخ اطلاق النساء على ذوات الأزواج لاسيما إذا اضيفت إلى الرجال  
كما في قوله تعالى : « من نسائكم » والآية الثانية متعرضة لحكم الزنا  
من غير احصان ، فيكون الحكم المذكور في الآية الاولى مؤجلاً  
إلى ان يجعل الله لهن سبيلاً ، فان المراد من السبيل الحكم الالهي  
المبين بالوحي أو السنة المقدسة ، ولا يسمى هذا نسخاً . والمراد من  
قوله تعالى : « فامسكوهن في البيوت » ترغيب الاولياء إلى النهي  
عن المنكر وردعهن عن الفاحشة وتربيتهن تربية صالحة حتى يأتي حكم

آخر وحيثئذ فان ثابت فلا حد وإلا فيجري عليها الحد .  
والمراد من الايذاء مطلق ما يوجب الاذية من الضرب والحبس  
والتعير بالقول والاهانة ونحو ذلك وعلى هذا تكون الآية منسوخة  
ببيان الحد في سورة النور وهو الجلد .  
وقيل : ان الاولى تتعرض لبيان حكم الزنا في الشيب والثانية لبيان  
حكم الابكار ، وحيثئذ يكون المراد بالايذاء الحبس ثم تخلية السيل مع  
التوبة والاصلاح .

وقيل : ان الآية الاولى متعرضة لحكم الزانيات والثانية متعرضة  
لحكم الزاني من الرجال ، وجميع الاحكام الواردة فيها منسوخة بآية النور .  
وقيل : ان المراد من الآيتين شيء واحد وهو بيان عقوبة الزنا  
وهي الايذاء ثم نسخ بالحبس ثم نسخ بالجلد والرجم واستقر الحكم  
على ذلك . وقيل غير ذلك .

وبالجملة : ان الآية الاولى تتعرض لحكم النساء الزانيات مطلقا على  
نحو الاجمال ، واما التفصيل فهو مذكور في آية سورة النور والسنة  
المقاسة سواء كن محصنات أم غير محصنات ثيبات ام ابكارا . واما  
الآية الثانية فهي تتعرض لحكم من يصدر عنه الفاحشة كما ستعرف .  
ولكن لا وجه للنسخ من الآية بل هي مفصلة ومشروحة بعضها في  
هذه السورة والبعض الآخر - وهو حكم غير المحصنات - في سورة النور .  
الاحتمال الثاني : ان يكون المراد من الفاحشة في الآية الاولى  
خصوص المساحقة وفي الآية الثانية اللواط وقد نسب هذا القول إلى  
أبي مسلم من الجمهور وبعض المفسرين ، وايداه الأردبيلي في زبدة  
البيان فيكون حكم المساحقات الحبس والامساك في البيوت والمنع من  
مخالطة النساء مع المرأة التي اعتادت هذه الجريمة والفاحشة حتى تتوب

أو يتوفاهن الموت . واما اللواط فحكمه معلوم من السنة وهو القتل فيكون ما ورد في السنة تفسيراً للأذية الواردة في الآية الثانية فالآيتان غير منسوختين .

ولا دليل على تعيين هذا الاحتمال اصلاً إلا ما يقال : من انه لو لم يكن المراد منها ذلك لم يذكر في الكتاب حكمها وهو تبيان كل شيء . وفيه : انه كذلك بلا ريب ولا اشكال لكن مع شرحه في السنة المقدسة وقد ورد حكمها فيها مفصلاً وتقدم سابقاً ان القرآن الكريم يتكفل اصول الاحكام وجذورها واما الشروط والقيود بل الفروع فتكفلها السنة .

او ما يقال : من ان لفظ « اللاتي » يدل على المساحقة إذ ليس بينهن فاحشة غيرها .

وفيه : ان الآية الاولى الوارد فيها « اللاتي » باعتبار غلبة افراد النساء الزانيات ولا مانع منهن من ارتكاب المساحقة وغيرها وسيأتي في البحث الدلالي ما يرتبط بالمقام .

الاحتمال الثالث: ان يكون المراد من الفاحشة في الآية الاولى المعنى الاعم من الزنا والمساحقة وهو احتمال حسن أخذاً بالعموم الوضعي للفظ الفاحشة فيكون الحكم المذكور في الآية الشريفة مجملًا تبينه الآيات التي وردت في الحدود وما ورد في السنة الشريفة . واما الآية الثانية فيجري فيها ما يجري في الآية الاولى ايضاً كما عرفت إلا ان المراد بالفاحشة فيها إما اللواط أو التفخيذ أو الزنا ، والاولى هو التعميم ايضاً كما تقدم فيكون الحكم فيها مجملًا تبينه السنة المقدسة وما ورد في سورة النور . واحتمال اختصاصها بخصوص اللواط يبعده ظاهر الآية الشريفة فان مجرد الابداء لا يناسب تلك المعصية العظيمة

التي ورد فيها التعليل الشديد . فقد نحسب الله تعالى قوم لوط لاجلها وكيف كان فلايتان غير منسوختين .

ثم ان المراد من قوله تعالى : « من نسائكم » هو النساء المؤمنات تشرافاً لهن ، وقيل ان المراد النساء ذوات الازواج لشيوع هذا الاستعمال قال تعالى : « من نسائكم اللاتي دخلتم بهن » النساء - ٢٣ وقال تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » النساء - ٤ ومن هنا قال بعض المفسرين باختصاص هذه الآية بالمحصنات ذوات الازواج . وفيه . ان اللفظ مطلق يشمل ذوات الازواج وغيرهن واختصاصه بالاولى لبعض القرائن لا يوجب تقييد بقية الموارد وقد ورد في القرآن الكريم استعماله في العموم قال تعالى : « زين للناس حسب الشهوات من النساء والبنين » آل عمران - ١٤ وقال تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » النساء - ٣ وغير ذلك مما ورد في القرآن الكريم والسنة المقدسة .

قوله تعالى : فاستشهدوا عليهن اربعة منكم .

اي : اقيموا اربعة من الشهداء الرجال عليهن باثباتهن الفاحشة . وتخصيص الفاحشة باقامة اربعة شهداء ذكور انما هو للتعليل على المدعي والستر على العباد وعدم شيوع الفحشاء .

ولا يختص الزنا باقامة اربعة شهود بل يشترك معه اللواط والسحق ايضاً فلا يستفاد من هذا الحكم اختصاص الفاحشة بالزنا في الآية كما عن بعض . كما لا يستفاد من الآية المباركة وجوب تحمل الشهادة ولزوم المراقبة لهن فان ذلك امر آخر لا ربط له بالآية المباركة ، فتشمل الآية الشريفة الشهادة الاتفاقية ايضاً .



قوله تعالى : فان شهدوا فامسكوهن في البيوت .  
اي : وان شهد الرجال الاربعة وثبت الامر عند الحاكم الشرعي  
بانيانهن الفاحشة فاحبسوهن في البيوت حائلين بينهن وبين الفاحشة .  
والظاهر ان هذا الحكم ادبي اجتماعي تربوي حيث تجعل المرأة  
التي اقترفت هذه الجريمة تحت المراقبة وللابتعاد عن مظان الجريمة  
والمواظبة على تهذيبهن وتربيتهن تربية صالحة .  
وعلى هذا لا ينافي خروجهن من البيوت إذا تحقق المناط وهو  
المراقبة ، ويستفاد ذلك من لفظ الامساك ايضاً حيث لم يعبر عزوجل  
بالحبس والسجن ونحوهما .

قوله تعالى : حتى يتوفاهن الموت .

اي حتى يستوفيهن الموت بانتهاء اجلهن وقد تقدم في قوله تعالى :  
« يا عيسى اني متوفيك ، آل عمران - ٥٥ الكلام في مادة (وفي) .

قوله تعالى : أو يجعل الله لهن سبيلاً .

اي : أو يشرع لهن حكماً غير الحبس فيه المخرج لهن ، ويستفاد  
من ذلك ان الحكم السابق مؤقت حتى يأتي الحكم الجديد . والسبيل  
هو الجلد أو الرجم كما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة .  
وقد راعى القرآن الكريم في من اقترف الفاحشة من النساء السماحة  
والتسهيل فقد جعل الامساك في البيوت عقاباً مؤقتاً يسائر الضمير ،  
ولوحظ فيه تربية من اقترف الفاحشة وتهذيبه بالاصلاح وترك الفاحشة  
والحيلولة بين المقترف وبينها ثم ينتقل الى حكم آخر روعي فيه قمع  
مادة الفساد ، فكان كلا الحكمين جارياً على حكمة متعالية وفق المصلحة

العامة فان الحكم الاول بني على الفطرة وهي بعث العفة بين النساء التي طمست في الجاهلية ، واما الحكم الثاني فقد بني على المحافظة لناموس العفة وزوال مادة الفساد وهذه قرينة اخرى على عدم اختصاص الفاحشة بالزنا أو السحق ، كما عرفت .

قوله تعالى : واللذان يأتيانها منكم .

الذنان تشنية ( الذي ) والتشنية إما باعتبار الزانية والزاني تغليباً كما عليه المشهور ؛ أو الرجلين في اللواط كما عليه جمع ، أو الرجلين في الفاحشة مطلقاً اللواط والتفخيد وسائر الفواحش بينهما .

والضمير في « يأتيانها » يرجع الى الفاحشة وقد ذكرنا ان الفاحشة وان كانت مطلقة في الآيتين لكنها تختلف في الآية الاولى عن الآية الثانية فراجع . والضمير في « منكم » يرجع الى المسلمين لكونهم اهلاً لالقاء الخطاب وتلقي الاحكام الالهية .

وهذه الآية المباركة تتعرض لحكم الرجال في الفاحشة اما الآية الاولى فهي تتعرض لحكم النساء كما عرفت آنفاً .

وقيل : ان هذه الآية تتعرض لحكم زنا الابكار وان المراد بالاذية هي مطلق الحبس ثم تخلية السبيل مع التوبة . وفيه : انه لم يقم دليل عليه .

قوله تعالى : فأذوهما .

بالقول أو الفعل بما هو المعتاد للردع عن الفاحشة ، سواء كان بالحبس أم الضرب أم الاهانة أم بالتوبيخ والتعير ونحو ذلك ، والحكم وان كان مطلقاً اول الامر الا انه ورد تفسيره في السنة الشريفة بالحد المعين لفاحشة الرجال وهو القتل في اللواط والجلد في التفخيد ، ولوحظ في هذا الحكم ابتداءً جانب التربية وروعي فيه التسهيل والسماحة

وإثارة العفة والحياء والترغيب اليها ثم ورد تفسيره بذلك قسماً لمادة الفساد على سبيل التدرج .

قوله تعالى : فان تابا واصلحا .

هذه قرينة على ان الحكم كان مبنياً على السجادة والتسهيل فانه اذا تابا حقيقة واصلحا أعمالها بالرجوع عن الفاحشة . وعطف الاصلاح على التوبة لبيان تحقق حقيقتها دون مجرد اللفظ لو بقي في حالة معينة .

قوله تعالى فاعرضوا عنها .

اي : اصفحوا عنها وكفوا عن ايذائها بعد تحقق التوبة .

قوله تعالى : ان الله كان تواباً رحيماً .

اي : ان التوبة والرحمة ثابتتان منه تعالى لعباده ازلاً وابدأ .

## بحوث المقام

بحث ادبي :

اللائي احدى صيغ جموع التي كما عرفت وهي « اللات » بحذف الياء وابقاء الكسرة ، و « اللائي » بالهمز واثبات الياء ، و « اللاء » بكسر الهمز وحذف الياء ، و « اللاء » بحذف الهمزة ، واما جمع الجمع فاللائي تجمع على « اللواتي » ، « اللاء » على « اللواتي » ، وقيل : ( اللوات ) بحذف الياء وابقاء الكسرة و ( اللوا ) باسقاط التاء .

وتصغير « التي » اللتيا بالفتح والتشديد قال الراجز :  
 بعد اللتيا واللتيا والتي اذا علتها نفس تردت  
 واللتيا والتي اسمان للداهية . يقال : وقع في اللتيا والتي .  
 واللذان تثنية الذي - كما تقدم والقياس ان يكون اللذان كرحيان  
 ومصطفيان ولكن قيل انه حذف الياء تخفيفاً وقيل : انه للفرق بين  
 الاسماء المبهمة والاسماء المتمكنة لان نون التثنية قد تنحذف فيها مع  
 الاضافة نحو رحياك ومصطفيا القوم ، فلو حذف الياء لاشتبه المفرد  
 بالاثنتين . هذا بخلاف اللذان فان النون لا تنحذف فيه .  
 وقرىء بتخفيف النون وبالتشديد وهي قراءة قريش .

### بحث دلالي

تدل الآيتان الشريفتان على امور :  
 الاول : يستفاد من قوله تعالى : « واللاتي يأتين الفاحشة من  
 نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت  
 حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا » اطراف الفاحشة التي نهى  
 عنها الله تعالى في مواضع متفرقة من القرآن الكريم وشدد النكير عليها وجعل  
 على من ارتكبها حداً ردياً معيناً عن اقترافها مرة اخرى واصلاحاً للمجتمع .  
 والمذكور في هذه الآية المباركة من المقومات والاطراف هي  
 الطرفان المرتكبان ، والفاحشة ، وثبوتها باربعة شهداء ، والحد .  
 وقد اجمل سبحانه وتعالى سائر الخصوصيات في هاتين الآيتين لانهما  
 في مقام قبج هذه الجهة (الفاحشة) واعلام الناس بها، وبعث الضمير الانساني

على التجنب عنها ، وهذه الآية الشريفة من اجمع الآيات الواردة في هذا الموضوع ، وحملها على اطلاقها بحيث تشمل جميع اقسام الفاحشة اولى من اختصاصها ببعض الاقسام من غير دليل .

وقيل: ان الموصول في الآية الاولى «واللاتي» يدل على اختصاص الفاحشة بالاتي ترتكبها النساء وهي المساحقة والموصول في الآية الثانية «الذات» يدل على اختصاصها بالاتي يرتكبها الرجال وهي اللواط والتفخيز فلا اطلاق لها .

ويرد عليه : ان ذلك صحيح إذا لم يكن احتمال آخر يساويه ويمتعه عن الظهور فان اسم الموصول في الآية الاولى قد يراد به الطرف الانثوي في الفاحشة اي الافراد منهن والموصول في الآية الثانية يراد به الطرف المقابل لها وهو الرجل فتختص الفاحشة بالزنا كما ذكره جمع من الفقهاء وخصه عزوجل بالذكر لشيوع هذه الجريمة في المجتمع وهي ذات طرفين ذكر وانثى فالآية الاولى تتعرض للثاني والآية الثانية تتعرض للاولى ، وانما قدم عزوجل الانثى على الذكر في هاتين الآيتين لقوام هذه الجريمة بالمرأة نظير قوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » النور - ٢ .

ويحتمل ايضاً ان يكون اتيان اسم الموصول جمعاً للمؤنث في الاولى لبيان مطلق الفاحشة الصادرة من النساء سراً وجهاً حتى انهن كن ذوات الاعلام في الجاهلية كما هو معروف ، واتيان التثنية مذكراً في الثانية باعتبار الفواحش الصادرة من الرجال وشاعتها بحيث فرض وجودها كالعدم ولم يعرف ذو علم بالنسبة إلى رجل فلا تختص الايتيان بفرد خاص من الفاحشة كما عرفت في التفسير فراجع .

الثاني : بسند قوله تعالى : « فامسكوهن في البيوت » على ان

المراد منه منع الخروج عن البيوت والحيلولة بينهن وبين الفاحشة .  
وبعبارة اخرى : ابقاؤهن في البيوت لغرض تربيتهن تربية صالحة .  
ولعل ذلك هو السر في العدول عن التعبير بالسجن والحبس . ويشهد  
على ان المراد من الامساك منع الخروج قوله تعالى : « لا تخرجوهن  
من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » الطلاق - ١ وإن  
كان الامساك في الموردين مختلفان في الغاية . وكيف كان فلا ينافي  
ذلك كونه حداً لمن في المقام ، لما يقتضيه بعض النصوص . وكيف  
كان فالآية الشريفة تتضمن سباحة الاسلام وسهولته كما لا يخفى .

الثالث : ذكر بعض المفسرين ان قوله تعالى : « حتى يتوفاهن  
الموت » يشير الى عادة جاهلية وحمل قوله تعالى : « أو يجعل الله لمن  
سيلا » على جعل الحكم الالهي والحد الشرعي - الفاحشة وهو ما ورد  
في سورة النور والسنة المقدسة فيزول الحكم الالهي لا محالة بعد التشريع .  
ويمكن ان يراد من قوله تعالى : « حتى يتوفاهن الموت » المعنى  
الكنائي وهو اظهار النفرة عنها يعني ان المرتكبة لهذه الفاحشة لا يختلط  
ولا يعاشر معها حتى يأتيتها الموت لقبح فعلها ، ولا بد ان يقيد ذلك  
بما قبل التوبة واظهار الندامة وصدور العمل الصالح عنها ، فيزول  
الموضوع لا محالة كما يدل عليه الآية الثانية .

الرابع : يدل قوله تعالى : « يأتين الفاحشة » على ان الفصل  
صدر عنهن بالاختيار من دون جبر واكراه فيكون للمكرهة حكم آخر .  
الخامس : يدل قوله تعالى : « ويجعل الله لمن سيلا » على ان  
الحكم مغيبى يجعل حكم جديد فليس ذلك من النسخ المصطلح كما  
عرفت في التفسير لانه يشترط في المنسوخ ظهوره في التأيد .  
السادس : يدل قوله تعالى : « فان تابا واصلحا فاعرضوا عنها »

على ان التوبة والاصلاح مسقطان للحد على ما فصل في الفقه .

### بحث روائي

في تفسير العياشي عن ابي بصير عن الصادق ( عليه السلام ) قال :  
« سألته عن هذه الآية : واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا  
عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن  
الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، قال ( عليه السلام ) هذه منسوخة  
قلت : كيف كانت ؟ قال ( ع ) كانت المرأة اذا فجرت فقام عليها  
اربعة شهود ادخلت بيتاً ولم تحدث ، ولم تكلم ، ولم تجالس واوتيت  
بطعامها وشرابها حتى تموت قال « أو يجعل الله لهن سبيلا ، فقال  
( عليه السلام ) جعل السبيل الجلد والرجم والامساك في البيوت » .  
وفي تفسير النعماني عن الصادق ( عليه السلام ) عن آباءه عن  
أمير المؤمنين ( عليهم السلام ) في حديث ذكر فيه احكام هذه الآية  
- الى ان قال - « فلما قوي الاسلام انزل الله : « الزانية والزاني فاجلدوا  
كل واحد منهما مائة جلدة » فنسخت هذه الآية الحبس والأذى -  
الحديث » .

وفي تفسير القمي في قوله تعالى : « واللاتي يأتين الفاحشة من  
نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت  
حتى يتوفاهن الموت ، كان في الجاهلية اذا زنى الرجل يوزي والمرأة  
تحبس في بيت الى ان تموت ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : « الزانية والزاني  
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

وفي المجمع : « وحكم هذه الآية منسوخة عند جمهور المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ( عليهما السلام ) .  
 أقول : ليس المراد بالنسخ هنا النسخ المعروف بين الفقهاء الذي يبحث عنه في علم الاصول وعلم الكلام وهو : « رفع حكم شرعي ثابت بحكم شرعي آخر » بل المراد بالنسخ هنا ابطال الحكم الجاهلي بتشريع الهي جديد ولعل المراد من قول بعض المفسرين بالنسخ هذا المعنى فلا نزاع ويدل على ما ذكرناه ما تقدم من الحديث .

### بحث عرفاني

ذكرنا في احد مباحثنا السابقة ان للقرآن الكريم بطوناً ترتقي الى سبعة بطون كما في بعض الروايات او الى سبعين بطناً كما في بعضها الآخر ، ولا بد أن يكون كذلك لانه كلام من لا تنتهي لعلمه وحكمته وتدبيره ، وقد حكى عن بعض الفلاسفة الاقدمين انه كان يلقي على اصحابه كلمات الحكمة وهم يستفيدون من كل واحدة منها وجوهاً من الحكمة كلها صدق وصواب .

وما يرتبط بالآيات التي تقدم تفسيرها انه ورد في بعض الروايات تفسير الفاحشة بحب الدنيا ، كما ورد تفسير السفه في قوله تعالى : « ولا تأتوا السفهاء اموالكم » بحب الدنيا أيضاً ، والجميع حق وصواب لقول سيد الانبياء ( صلى الله عليه وآله ) : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وقول سيد الاولياء والعرفاء علي ( عليه السلام ) : « اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » فاذا اجتمعا معاً كانا من أفحش



الفواحش في إيجاب المفسدة المهلكة وإلى ذلك أشار عز وجل في سورة العصر:  
« والعصران الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا  
بالحق وتواصوا بالصبر » وهذه السورة على صغرها تعين مبدأ الإنسان  
ومنتهاه الاختياريين ، كما أن قوله تعالى : « انا لله وإنا إليه راجعون »  
البقرة - ١٥٦ يعين مبدؤه ومنتهاه غير الاختياريين ، مع اننا اذا  
لاحظنا معنى قوله تعالى : « انا لله وإنا إليه راجعون » بالملاحظة  
التفصيلية في المعتقدات والافعال والحركات والسكنات يكون داخلاً  
في قوله تعالى : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق »  
وكيف كان فان اكبر الفواحش حب الدنيا الذي يجتمع مع الاهوية  
الفسادية ، وحينئذ يكون الحد لهذه الفاحشة هو إماتة النفس الامارة  
واصلاحها بالتوبة والعمل الصالح وترويضها بالملكات الفاضلة وتزوين  
النفس بالاخلاق الحميدة وتركيتها بالتقوى ليحصل القرب الى الله  
تعالى والبعد عن الدنيا وما فيها فان ذلك هو الكمال المطلق .

إِنَّمَا لِلتَّوْبَةِ عِلىَ اللّهِ لِلَّذِينَ يَتَعَمَلُونَ السُّوءَ  
بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ  
اللَّهُ عَنِّيهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَليماً حَكِيماً (١٧) وَلَيَسِّرَ  
لِلتَّوْبَةِ لِلَّذِينَ يَتَعَمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ  
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالُوكَ إِنِّي تُوبْتُ الْآنَ وَلَا لِلَّذِينَ  
يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً  
أَلِيماً (١٨) .

لما نخم سبحانه وتعالى الآيات السابقة بالتوبة ويبيّن ان بها تسقط العقوبة والحسد الشرعي ذكر عز وجل في هاتين الآيتين الشريفتين حقيقة من الحقايق الالهية التي امتاز بها الاسلام عن سائر الاديان السماوية ، فبين عز وجل حكم التوبة وانها حق من حقوق العبد على خالقه ومربيه وقد وصف نفسه بالرحمة وذكر شروط التوبة ومواردها التي تقبل من الانسان والموارد التي لا تقبل .

كما بين عز وجل ان التوبة انما تكون وفق النظام الربوبي المتقن المبني على الحكمة والعلم .

والآية من الآيات المتعددة التي ترغب العاصين إلى هذه الموهبة الربانية وتمرضهم إلى التوبة قبل فوات الاوان . وانا ذكر عز وجل هذه الحقيقة ضمن الاحكام الالهية لما لها من الاهمية الكبرى في تربية الانسان وهدايته إلى السعادة والكمال ولا تخلو الآيات من الارتباط بالآيات الاخرى .

### التفسير

قوله تعالى : انما للتوبة على الله .

بيان لحقيقته من الحقايق الالهية التي كشف عنها القرآن الكريم بما لم يكشف عنها كتاب سماوي آخر ، فانه يبيّن حقيقة التوبة وشروطها ومواردها وآدابها وآثارها . ويمكن اعتبارها بحق من التعاليم المختصة بهذا الكتاب العزيز وانها لم تكن بهذه الخصوصية في سائر الشرايع الالهية وقد اهتم القرآن المجيد بها اهتماماً بليغاً حتى ورد ذكرها فيه بما يزيد على ثمانين مورداً ، وسميت سورة من سور القرآن المجيد باسم التوبة .

والتوبة في نظر الاسلام من الامور المعدودة التي لها جوانب متعددة فهي عملية تربوية تربي الانسان تربية دينية مبنية على الحقيقة دون الوهم والخيال ، كما انها عملية اصلاحية تصلح النفوس الفاسدة وتهذبها وتزكيها وتصلح المجتمع وتجعله في المسار الصحيح ، كما انها فضيلة اخلاقية وهي من اجل مكارم الاخلاق . ونحن ذكرنا ما يتعلق بها في قوله تعالى : « ان الذين يكتُمون ما انزلنا من بينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب اولئك بلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم » البقرة - ١٦٠ فراجع الآية الكريمة .

ومادة ( توب ) تدل على الرجوع سواء استعملت بالنسبة اليه عزوجل ام استعملت بالنسبة الى العبد قال تعالى : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » التوبة - ١١٨ وتوبة الله تعالى على العبد هي الرجوع عليه بالرحمة والتوفيق وغفران الذنوب وتوبة العبد هي الرجوع الى الله تعالى بالندامة والانصراف عن المعصية .

والمستفاد من الآيات الواردة في هذا الموضوع أن توبة العبد محفوفة بتوبتين من الله تعالى احدهما : التوفيق لها لان العبد محتاج بذاته وهو الفقير اليه عزوجل قال تعالى : « يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد » فاطر - ١٥ ، فاذا وفقه الله تعالى للتوبة تاب ورجع اليه عزوجل بالندامة والانصراف عن المعصية : الثانية : توبة الله تعالى عليه بالقبول والغفران فتكون مطهرة للعبد مما اصاب نفسه بسبب المعصية من القذارات والنجاسات المعنوية فيحصل بها التقرب اليه عزوجل .

و(على) في قوله تعالى : « على الله » تفيد اللزوم والثبوت وهو

يرادف الوجوب ، وانما وجبت التوبة لانها من افراد رحمته التي اوجبها على نفسه قال تعالى : **و كتب ربكم على نفسه الرحمة ، الانعام - ٥٤** واستعمال ( على ) في الوجوب وال لزوم كثير ولا ضير في ذلك .  
الا ما يقال : من ان استعمال الوجوب بالنسبة اليه عز وجل امر مستنكر بل لا يصلح لانه لا سلطة على الله تعالى يوجب بها عليه ولذا ذكر بعض المفسرين ان هذه العبارة وامثالها التي هي ظاهرة في وجوب بعض الاشياء على الله قد جاءت على طريق العرب في التخاطب ولا يفهم منه إلا انه واقع لا محالة .

ولا يخفى ان ذلك تطويل لا طائل تحته وما ذكره انها هو تغيير في ظاهر اللفظ ، فلا مانع من ايجاب الله تعالى على نفسه اموراً تقتضيه حكمته المتعالية وقد نطق بها القرآن الكريم وشهد بها العقل السليم من دون ان يكون لغيره سلطة عليه يوجب عليه شيئاً أو يكلفه بتكليف فاذا كانت التوبة من مصاديق الرحمة الالهية التي وعد بها عباده ، والله لا يخلف الميعاد فيجب عليه قبول توبة عباده من هذه الجهة ايضاً .  
ثم ان اطلاق الآية الشريفة يشمل جميع اقسام التوبة من الكفر والشرك والضلال وانحاء الفسق والعصيان الا ما يستثنيه سبحانه وتعالى بعد ذلك . نعم تختلف انحاء التوبة ففي بعض المعاصي تكون بالابمان بالله تعالى وفي البعض الآخر تكون باداء الحقوق ، وفي ثالث بايقاع الحد ، وفي رابع باجتناب الكبائر ، وفي خامس بالطاعة والمواظبة على الصلاة . وقد ذكرنا جميع ذلك في مبحث التوبة فراجع آية ١٦٠ من سورة البقرة .

### قوله تعالى : للذين يعملون للسوء بجهالة .

( للذين ) خبر ، و ( التوبة ) مبتدأ ، و ( على الله ) متعلق بما تعلق به الخبر ، وقيل غير ذلك و ( بجهالة ) حال من فاعل ( يعملون ) والباء للسببية و ( سوء ) هو العمل القبيح الذي يسوء فاعله بارتكابه وهو لا يليق به سواء كان كفراً أم معصية كبيرة أم صغيرة و ( الذين ) عام يشمل المؤمن والكافر معاً فالجملة تبين حالهما ، لانها معاً يعملان سوء . و ( العمل ) اعم من الجوارح أو عمل القلوب . والتعبير به مع ان الكفر من اعمال القلوب لبيان ان الكفر سيئة ومنشأ للاعمال السيئة . والجهالة من الجهل مقابل العلم والمراد بها إما عدم العلم بالموضوع أو الحكم أو هما معاً ، قصوراً أو تقصيراً ، وفي الكل لا يتحقق العصيان حتى يتحقق موضوع التوبة ، لان مقتضى ما هو المتواتر بين المسلمين عن نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) : « رفع عن امتي ما لا يعلمون » عموم الحكم لجميع افراد علم العلم . إلا ان يدعى الانصراف عن مورد التقصير ، كما عن جمع من العلماء من تحقق العصيان في الجهل التقصيري وهو مقتضى ظاهر بعض الاخبار ايضاً فلا تكون الجهالة في المقام بهذا المعنى بلا إشكال .

أو المراد بالجهالة في المقام فعل كل ما لا ينبغي صدره عن العاقل المتوجه إلى نفسه والعارف ببصيرته ما فيه صلاحه عن ما يسوؤه كما في قوله تعالى حكاية عن يوسف ( عليه السلام ) : « قال هل علمت ما فعلتم بيوسف واخيه إذ انتم جاهلون » سورة يوسف - ٨٩ فما يصدر حينئذ عن الفرد انها يكون من داع نفساني غالب على ما تقتضيه القوة العاقلة فيكون مغلوباً لنفس امارة وداعية شهوية أو غضبية ،



وغواية الشيطان الذي يمّني الانسان بالسوء وحب العاجل والتغاضي عن  
الجزاء ، فان جميع ذلك توجب الغفلة والوقوع في الجهالة فيغفل عن  
وجه قبح الفعل وذمه مع كون الفاعل انما يفعل عن علم و ارادة وعلى  
هذا تكون الجهالة قيدا توضحيا لكل معصية تصدر عن الهوى وغلبة الشهوة  
والغضب فتكون صادرة عن الجهالة ، ولذا لو سكنت نائفة الغضب  
وخمد لهيب الشهوة ورأى جزاء عمله عاد إلى العلم وزالت الجهالة وندم  
على فعله ومما ذكرنا يظهر السر في قوله ( صلى الله عليه وآله ) :  
« كفى بالندم توبة » .

هذا إذا لم يكن صدور الذنب عن المكابرة للحق وعناد معه وإلا فان  
ذلك يرجع إلى خبث الذات ورداءة الفطرة ، ومعها لا يرجع إلى الحق  
بالتوبة ويستمر على ذلك طول حياته إلا إذا لحقته العناية الربانية فيرجع  
عن عناده ولجاجته وتلحقه الندامة وفي غير هذه الحالة لا يكون المعاند  
نادماً ، وإن اظهر الندامة فانما يكون لحيلة يحنالها لنفسه فراراً عن  
الجزاء ونحوه ويدل عليه رجوعه إلى غيه ولجاجته لو ارتفعت الضرورة  
كما قال تعالى : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون »  
الانعام - ٢٨ .

ومما ذكرناه يظهر ان القيد يمكن أن يكون احترازياً ايضاً فيكون المراد به  
ان لا يكون الذنب عن عناد ولجاجه واستعلاء على الله تعالى ، ويشهد  
لذلك عدم تقييد عمل السيئات بالجهالة في الآية التالية فان المنساق منها  
هو التعمد والتعجب على الله تعالى كما يشهد له قوله تعالى : « ولا الذين  
يموتون وهم كفار » فالحالة التي تكون بين الموت وعمل السيئة على اقسام .  
الاول : ان يكون مبادراً إلى التوبة بعد عمل المعصية فهذا تقبل  
التوبة منه :

الثاني : ان يكون بانياً على الطغيان والعصيان إلى ان يحضر بعض علامات الموت فيتوب حينئذ ، والمنساق من الآيات الشريفة عدم قبول التوبة حينئذ قال تعالى : « فلما رأو بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سئت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ، غافر - ٨٥ لان التوبة انما تقبل في ظرف اختيار العبد وتمشي القصد الجدي منه وهو لا يتحقق في وقت ظهور علامات الموت وورود الانسان في الاشراف على اول منازل الآخرة وهو البرزخ إذ لا اختيار له .

الثالث : ما إذا كان بانياً على التوبة بحسب الفطرة ولكن تساهل فيها لغلبة الشهوات الدنيوية حتى إذا حضر بعض علامات الموت التي لا تسلب الاختيار ويتحقق منه القصد الجدي في الطاعة والمعصية ويترتب عليها الاثار الشرعية والعرفية فتاب عن قصد فحينئذ تقبل التوبة ان كانت جامعة للشرائط كما تقبل وصيته قال تعالى : « كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين » البقرة - ١٨٠ والروايات الدالة على قبول التوبة حتى إذا بلغت النفس الحلقوم تختص بهذه الصورة فتقبل التوبة لتحقق موضوعها . وبالجملة : بعد ارجاع بعض الآيات إلى بعض يستفاد منها ان عدم قبول التوبة إما لاجل عدم تحقق الموضوع كما في صورة العناد واللجاج أو لاجل عدم تحقق ظرفها وهو الاختيار والقصد للطاعة والمعصية، ونرجو منه جلت عظمته ان يدخل عباده في قوله عز شأنه في القدسيات « أغفر ولا ابالي » .

وقد ظهر من جميع ذلك ان الاحتمال الاول وهو كون القيد احترازياً وان كان اوفق للقواعد فان المعروف ان الاصل في القيود ان يكون

احترازياً إلا ان كونه توضيحياً اوفق لسعة رحمة .

قوله تعالى : ثم يتوبون من قريب .

القريب من الامور الاضافية وله مراتب كثيرة ، وقد استفاد العلماء من هذا اللفظ الفورية العرفية في التوبة وهي في نفسها حسن لان العصيان حجاب بين العبد والمعبود ودرن للروح ، والعقل يحكم بازالة الدرن والنجاسة عن اللباس والبدن فضلاً عن الروح وهذا لا ينافي ان تكون الجملة اشارة إلى المسارعة وعدم التساهل ، فيكون المراد من القريب الزمان القريب قبل ظهور الموت و بروز آيات الآخرة بحيث لا يعد تساهلاً في امر التوبة حتى نفوت الفرصة بحضور علامات الموت .

وبالجملة : المراد من قوله تعالى : « من قريب » التوبة في عهد قريب من قبل ان تموت الشهوات وتسقط دواعي المعصية ، بل تكون في حال صراع النفس مع القوة العاقلة فرغم النفس الامارة ويقنع عن المعصية ندماً ويرغب في الطاعة شوقاً إلى رضاء الله تعالى وطلباً لعفوه وغفرانه ، ويؤدي حقوق الناس وحقوق الله سبحانه وتعالى لو كانتا عليه ففي كل وقت صح ابراز ما في الضمير والارادة الجدية من القلب تقبل التوبة كما عرفت آنفاً .

قوله تعالى : فاولئك يتوب الله عليهم .

اولئك اسم الاشارة الموضوع للبعيد وهو مبتدأ وخبره جملة « يتوب الله عليهم » وعديت التوبة بـ (عليهم) لتضمنها معنى العطف والرحمة اي : انه تعالى يعطف عليهم بقبول التوبة ويعود بالرحمة .  
وانما اشار اليهم بالبعيد اعلماً بعلو قدرهم وتعظيم شأنهم ،



لانهم تابوا على حقيقة التوبة والتفريع بالفناء المنبذة لسببية ما قبلها لما بعدها ولييان ان قبول التوبة من مصاديق ذلك الوعد الذي قرره تعالى في صدر الآية المباركة .

قوله تعالى : وكان الله عليماً حكيماً .

اي : ان الله تعالى عالم بحقيقة الحال فيعلم شؤون عباده ومصالحهم ويعلم المخلص في توبته ، حكيم في افعاله قد وضع التوبة وفق نظام محكم ، فلا تغره ظواهر الاحوال وصريف الاقوال .

وانما ذكر هذين الاسمين لبيان اهمية الموضوع وانه تابع لعلمه الاتم وحكمته المتعالية بوضع التوبة في مواضعها وهو ارحم الراحمين .

قوله تعالى : وليست للتوبة للذين يعملون السيئات .

بيان لحال من لا تقبل توبتهم وهم طائفتان : احدهما لأجل عدم تحقق موضوع التوبة منهم وهم الذين يعملون السيئات دوماً ولا يتحقق منهم الندم حتى إذا حضرهم الموت وانتفى اسباب العمل فلا داعي فيهم لعمل السيئات لانقطاع آمالهم وموت شهواتهم فلا تقبل توبتهم .  
وانما ترك عزوجل اعادة اسم الجلالة (على الله) لبيان انقطاع العناية الالهية عنهم ، وللإعلام بان التوبة الصحيحة لا تقسع منهم لنفي موضوعها كما عرفت آنفاً .

وانما جمع عزوجل السيئات وافردها في الآية السابقة وقال « يعملون السوء » للدلالة على احصاء سيئاتهم الكثيرة العديدة واستمرارهم على فعلها واصرارهم على التكرار بلا فرق بين ان تكون السيئة المكررة من انواع مختلفة أو من نوع واحد فان التكرار يوجب التعدد لا محالة .

قوله تعالى : حتى اذا حضر أحدهم الموت .

أي : حتى إذا حضر الموت برؤية علاماته لاهية قلوبهم ، والجملة تدل على استهانتهم بالتوبة واستحقارهم لموجبات الرحمة والمغفرة ، فهم يدعون التوبة حال العجز ولم تتحقق حقيقتها عندهم ولم ترغب نفوسهم عن الذنب فاذا زال عنهم المهلكة عادوا إلى الذنب ورجعوا إلى المخالفة والعصيان كما ينجر عن ذلك قوله تعالى : «ولو ردوا لعادوا إلا انعام» ٢٨ .

قوله تعالى : قال اني تبت الآن .

أي : انه في حال العجز واليأس يردد على لسانه التوبة في تلك الحال فقط من دون ان يكون ذلك من حاق نفسه .  
والآية تدل على تحقق التوبة اللسانية مرة واحدة بلا استمرار عليها بخلاف الآية السابقة التي دلت على الاستمرار المستفاد من هيئة المضارع في قوله تعالى : « ثم يتوبون من قريب » وهذه تؤكد ما ذكرناه آنفاً من ان التوبة منه ليست على الحقيقة فانه التجأ إليها عند مشاهدة سلطان الآخرة وانقطاع أمله عن الدنيا بحضور الموت ولذا ذكر عزوجل « قال اني » ولم يقل ( تاب ) ونحو ذلك تحاشياً عن تسمية ما قاله توبة ، ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن المجرمين « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انا موقنون » السجدة - ١٢ .

قوله تعالى : ولا الذين يموتون وهم كفار .

بيان لحال الطائفة الثانية وهم الذين يصدر عنهم الذنب عناداً ولجاجاً واستكباراً على الله تعالى فلا توبة لهؤلاء كما لا توبة لأولئك

- ٣٨٦ - ..... مواهب الرحمن - ج ٧

لانهم تبادوا في الكفر فأتوا وهم كافرون فلم تصدر عنهم السيئات  
بجهالة بل عن عناد ولجاج فاذا مات الانسان على هذه الحالة لا تنفعه التوبة  
ولا نجاة له بعد الموت وقد أكد القرآن الكريم ذلك في مواضع متعددة  
قال تعالى : **وإلا الذين تابوا واصلحوا وابتؤا فاولئك أتوب عليهم وانا  
التواب الرحيم** . ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة  
الله والملائكة والناس اجمعين . خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب  
ولا هم ينظرون ، البقرة - ١٦٢ .

قوله تعالى : **اولئك اعتدنا لهم عذاباً ليماً** .

اي : اولئك الفريقان قد اعتدنا لهم وهياًنا لهم عذاباً اليماً مؤلماً  
جزاء لاعمالهم السيئة التي قدموها في دار الاعمال . وقد ذكرهم  
باسم الاشارة للدلالة على بعدهم عن ساحة القرب والعناية الربانية .

## بحوث المقام

### بحث دلالي :

يستفاد من الآيات الشريفة امور :

الاول : يستفاد من الحصر الوارد في قوله تعالى : **انما التوبة**  
على الله ، ان التوبة من الامور المختصة به عزوجل ومن مظاهر  
ربوبيته العظمى ومن مصاديق رحمته الواسعة التي وسعت كل شيء ،  
وهو رد على كل من يدعي ان هذا الامر يمكن ان يتصدية بعض

الافراد إما ولي من اولياء الله تعالى أو الكنيسة كما في الديانة المسيحية التي اعترفت لها غفران الذنوب حتى بلغ من افراط الكنيسة انهما كانت تبسب صكوك الغفران بعدما كانت التوبة في هذه الديانة من الامور غير النافعة للانسان لان المسيح ( عليه السلام ) فدّى بنفسه لاجل خلاص الانسان على ما هو المعروف عندهم .

فالآية الشريفة رد على جميع المزاعم فانها صريحة في ان التوبة من شؤون الباري عزوجل وانها محصورة عليه تبارك وتعالى لاشأن لاحد غيره فيها .

الثاني : تدل الآية الشريفة على فضل التوبة وانها من مظاهر رحمته عزوجل وفضله العظيم وقد من بها على عباده ومن المعلوم انه لا شيء يوجب رحمته عليه ولكن لا ينافي ذلك وجوب هذا القسم من الفضل عليه بايجاب من نفسه على نفسه لا من ايجاب غيره عليه وقد ذكرنا ما يتعلق بذلك في مبحث التوبة في سورة البقرة آية - ١٦٢ .

واما ما ذكره بعض المفسرين من ان الله تعالى غير مجبور في قبول التوبة لأن له الامر والملك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واستدل على ذلك بقوله تعالى : « ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم » آل عمران - ٩٠ وقوله تعالى : « ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً » النساء - ١٣٧ .

فانه يرد عليه ان الله تعالى قد وعد عباده بقبول التوبة - كما اعترف به هذا المستدل - وكل وعد منه عزوجل واجب الوفاء عليه كما قال في كتابه العزيز : « ان الله لا يخلف الميعاد » آل عمران - ٩ والآيات الشريفة التي استدل بها تدل على عدم قبول توبة المتماذي في

الكفر وهذا ما استثناء عزوجل من القبول في المقام أيضاً كما عرفت .  
وكيف كان فالآية الشريفة من الآيات التي تعني بشأن العاصين وتأميرهم  
بالتوبة من الشرك والضلال والسيئات والمعاصي كلها .

وللتوبة آثار عظيمة فانها من سبل الصلاح والتقوى وتجلب السعادة  
وتزيل درن الشقاء والرذيلة من القلب الذي هو محل الصلاح والفساد  
معاً . وتصفى النفوس التي انكدرت بالعصيان ، وتزيل الغشاوة عن  
القلوب وترفع الموانع عن طريق سير الانسان نحو السعادة والكمال ،  
وتخلص الناس من بوار الذنب وهلاك المعصية وهي الوسيلة للفلاح  
قال تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون » ،

النور - ٣١ .

ومن آثار التوبة ايضاً انها تجعل قلب المذنب متعلقاً بالرحمة الالهية  
وتبعث روح الرجاء بعد انخداد نور النفس بظلمة الذنب وتمحو الآثار  
السيئة التي تترتب على الحياة بسبب العصيان وعمل السيئات . والآية  
المباركة تعد البشارة العظمى للمذنبين .

ثم ان التوبة مظاهر مختلفة كالندم ، والاستغفار والانقلاع عن  
المعصية واثيان الطاعة والتبس بالعمل الصالح وأداء الحقوق وغير ذلك  
مما ذكره علماء الاخلاق وتقدم في مبحث التوبة وهي تبدل السيئات بالحسنات .

الثالث : استفاد من الآية الشريفة ان التوبة امر اختياري فانها  
رجوع إلى الله تعالى بعد البعد عنه بسبب فعل السيئة واثيان المعصية  
بالدخول في سلك الطاعة والعبودية بعد الاعراض عنه عزوجل وذلك  
لا يتحقق إلا في ظرف الاختيار وكون العبد مخيراً بين طريقي الصلاح  
والسعادة ، والطلاق والشقاوة ، وفي غير ذلك فلا توبة له لما يدل  
عليه ذيل الآية الشريفة .

الرابع : يستفاد من قوله تعالى : « بجهالة » ان كل ذنب يصدر عن جهالة قابل للعفو والغفران من الله تعالى ، وبهذا القيد يخرج كل ذنب يصدر عن لجاج وعناد مع الحق واستكباراً على الله تعالى ، وقد عرفت في التفسير ان الجهالة في المقام - وفي باب الاعمال على العموم - هي الغفلة عن وجه قبح الفعل وفساده لغلبة الشهوة واستيلاء الهوى ولكن ذلك لا يسلب نسبة الفعل إلى الفاعل لانه صدر عنه عن علم واردة كما يسمى الشاب قليل التجربة جاهلاً لأجل غلبة العواطف والنزوات الشهوانية عليه .

الخامس : يستفاد من قوله تعالى : « ثم يتوبون من قريب » ان المؤمن إذا صدر عنه الذنب ينبغي ان يبادر إلى التوبة بعده ولا يسوّف في ذلك فهو في صراع مع النفس الامارة وتوبة مستمرة يرجو رحمة ربه وهذا ينبيء عن حسن السريرة وشدة الامل بالله تعالى ، ولعل ماورد في بعض الروايات : « طوبى لمن كان له تحت كل سيئة توبة » إشارة إلى ذلك ويستفاد من قوله تعالى : « ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم » اولوية التوبة من الذنب من ترك الذنب رأساً فان الله تعالى مدح التائبين من الذنب وادخلهم تحت رحمته وقربتهم إليه . وقال بعض العلماء ان ترك الذنب مطلقاً احسن واولى من ارتكابه ثم التوبة عنه ، لان الله تعالى مدح هؤلاء بما لم يرد في غيرهم وهم المختصون لمقام العبودية التشريعية .

ولكن يمكن اختيار الاول لكثرة ماورد من الترغيب الى التوبة كتاباً وسنة وقد ورد عن نبينا الاعظم ( صلى الله عليه وآله ) : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » فيصير التائب من الذنب مساوياً له من هذه الجهة اي عدم الذنب ويكون تدلله مما في نفسه عند

ربه لتصوره لما صدر منه من المعصية موجباً لترجيح هذا المقام بنفسه عند الله تبارك وتعالى فعم من عصمه الله من الزلل كالانبياء والائمة الهداة (عليهم السلام) والاولياء لهم مقام خاص وهبه الله تعالى لهم. وفي حديث آخر « لولا انكم تذبون الله ثم تستغفرونه لذهب بكم ثم يأتي باقوام يذبونه ثم يستغفرونه ، وهذا هو المطابق لما هو المتسالم بين اذواق المتألهين من ان كل اسم من اسماء الله المقدسة لا بد له من مظهر خارجي ومن اسمائه جلت عظمته الثواب والغفور ولا مظهر لذلك الا بعد الذنب والتوبة .

مع ان حالة الندامة والاستحياء من الله تعالى من حالات العبد واحسنها ولا يتحقق تلك الحالة الا بذلك .

السادس : يدل قوله تعالى : « فاولئك يتوب الله عليهم » على وعد منه عزوجل للمذنبين بقبول توبتهم وهو لا يخلف الميعاد . كما انه يدل على ان التوبة الصحيحة الجامعة للشرايط تمحو الذنوب وتزيلها .  
السابع : يمكن ان يكون المراد من قوله تعالى : « حتى اذا حضر احدهم الموت » موت الامزجة والقوى فمن كانت معاصيه من سنخ اعمال الشهوة الجنسية ووصل إلى سن الاربعين مثلاً وترك تلك المعاصي لاجل عوارض عرضت عليه فلا توبة له حينئذ وكذلك سائر القوى لانه لا توبة بعد انتفاء القدرة على ارتكاب المعاصي ، وهذا الاحتمال وان كان مخالفاً لما استفدناه من الآيات المباركة ، ولكنه احتمال حسن يوجب المسارعة إلى التوبة والاستعداد لها في حال القدرة .

الثامن : اطلاق الآية الشريفة : « فاولئك يتوب الله عليهم » يشمل التوبة من الشرك وجميع المعاصي ويشمل ايضاً المؤمن والكافر اذا تاب عن كفره فيكون اسلامه توبة لما صدر عنه في حال كفره لقوله (صلى

الله عليه وآله ) : « الاسلام يجب ما قبله ، واما توبته عن معصية فيها حق الله في حال كفره مع بقاءه على الكفر فيشكل قبولها . نعم إذا كان الذنب من حقوق الناس كالسرقة وايداء الناس ونحوهما فأرضى الناس سقط هذا الذنب منه لزوال موضوعه ويمكن ان يستفاد ذلك من مفهوم قوله تعالى : « ولا الذين يموتون وهم كفار » ان توبة الكافرين في حال حياتهم مقبولة إلا ان يستظهر ذلك بخصوص اسلامهم .  
التاسع : يستفاد من قوله تعالى : « ولا الذين يموتون وهم كفار » ان التوبة من الله تعالى تشمل العاصين من المؤمنين إذا استغفروا لهم الاحياء ولو بعد مماتهم بخلاف الكافر المعاند الذي مات على الكفر بلا فرق بين اقسامه .

### بحث روائي

في الكافي عن جميل بن دراج قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : « إذا بلغت النفس ههنا وأشار بيده إلى حلقه لم يكن للعالم توبة ثم قرأ » انا التوبة على الله للذين يعملون سوءاً بجهالة ، .  
اقول : اراد ( عليه السلام ) بالعالم هو اللجوج المستكبر على الله تعالى واطلاق الآية الشريفة لا ينافي ما ذكرناه سابقاً ، ويمكن ان يجمع بذلك بين ما ورد من عدم قبول التوبة حين ظهور علامات الموت وما ورد من قبولها حينها بحمل الاول على العالم العاص المستكبر على الله تعالى كفرعون ونحوه والثاني على غيره .  
وفي تفسير العياشي عن أبي عمرو الزبيري عن الصادق (عليه السلام) قال : « كل ذنب عمله العبد وان كان عالماً به فهو جاهل حين خاطر



لنفسه في معصية ربه وقد قال في ذلك تبارك وتعالى يحكي عن قول يوسف  
لاخوته « هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه إذ أنتم جاهلون » فنسبهم  
إلى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله عزوجل .  
اقول : يشهد ذلك على ما قلناه في معنى الجهالة .

وفي تفسير العياشي ايضاً عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام)  
قال : « إذا بلغت النفس هذه واهوى بيده إلى حنجرته لم يكن للعالم  
توبة وكانت للجاهل توبة » .

اقول : يشهد ذلك على ما جمعنا به بين الروايات آنفاً .  
وفي الكافي عن محمد بن مسلم عن جعفر (عليه السلام) قال :  
« يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب عنها مغفورة له فليعمل المؤمن  
ما يستأنف بعد التوبة والمغفرة اما والله انها ليست إلا لأهل الايمان  
قلت : فان عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة؟ فقال  
يا محمد بن مسلم أترى العبد المؤمن يتدم على ذنبه فيستغفر الله منه ويتوب  
ثم لا يقبل الله توبته؟ قلت : فان فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب  
ويستغفر؟ فقال : كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله تعالى  
عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فايك  
ان تقتنط المؤمنين من رحمة الله » .

اقول : ورد في بعض الروايات إلى سبعين مرة ويشهد لذلك  
تحذير الامام (عليه السلام) الراوي في ذيل الرواية ويستفاد ذلك من  
قوله تعالى : « قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقتنطوا من  
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم » الزمر- ٥٣  
إذ المراد بالجميع الكثرة العددية . ثم انه قد ذكرنا الروايات الواردة في  
التوبة في مبحث التوبة فراجع سورة البقرة الآية ١٦٠ .

## بحث عرفاني

التدلل لدى المعبود الحقيقي الجامع لجميع الكمالات غير المنتهية والاعتراف بالقصور والتقصير عنده محبوبان لديه عزوجل . والعبودية التي هي غاية مقامات العارفين واولياء الله المخلصين متقومة بهما فانه لا ريب في تحقق الارتباط بين الممكن والواجب كالارتباط بين المعلول مع العلة التامة والمخلوق مع الخالق ، والاثر مع المؤثر بلا فرق في ذلك بين المجردات والماديات والاملاك والافلاك فان جميعها متعلقة بالارادة الازلية حدوثاً وبقاءً وبزوالها ينعدم جميع ما سوى الله تعالى ، ولا يبقى إلا وجهه الواحد القهار ولكن الانسان يرتبط مع الله جل جلاله بارتباطين :

الاول : الارتباط العام الفهري الذي يعم جميع الخلق وما سواه تعالى .  
 الثاني : الارتباط الاختياري اي الطاعة والامتثال والانقياد وهذا هو الاصل والاساس في علاقة الانسان مع الله عزوجل فاذا زال يبقى الارتباط الاول وهو يعم الجميع - الحيوان والجماد - على حد سواء .  
 والانسانية انما تظهر في الارتباط الثاني ولا يزول إلا بالطغيان والعصيان ، وحينئذ لا بد من التوبة والرجوع إلى الله تعالى ليعود الارتباط إلى ما كان عليه وتستكمل به الانسانية ، وتزول الشقاوة وتحل محلها السعادة الابدية إذ القرب من ينبوع الحكمة والعلم والكمال المطلق يوجب بلوغ الانسانية إلى الكمال ويتم به العقل والدين ، كما ان البعد عنه يوجب زوال ذلك كله ، فالتوبة الحقيقية تدخل في

إستكمال الانسانية والدين والعقل ، ويكفي في فضلها ان فيها يتجلى  
المعبود الاعظم للتائبين بقوله عزوجل : « اني اذا التوب الرحيم »  
فالعبد يعترف بما هو ممن زي العبودية، والمعبود يظهر بما هو من شأن  
الربوبية الواقعية ولذا ترى ان احب حالات المتعبدين إلى الله تعالى هي  
حالة الاعتراف بالتقصير كما هو واضح في الدعوات المأثورة عن الائمة  
الاطهار ( سلام الله تعالى عليهم ) لاسيما الصحيفة المملوكة السجادية  
على صاحبها ومنشئها (افضل الصلاة والسلام) وليس الاعتراف بالتقصير  
مع عدم صدور ذلك عنهم كذباً لانهم يعلمون ان تلك الحالة محبوبة  
لله عزوجل وتقر بهم اليه تعالى ويعترفون بذلك في جملة من دعواتهم  
الشريفة وهذا كاشف عن اشتياقهم إلى هذا المقام من العبودية .  
ثم ان ظاهر الآية الشريفة : «وليست التوبة للذين يعملون السيئات  
حتى إذا حضر احدهم الموت قال إني تبت الآن » انا هو في الموت  
الطبيعي الذي هو مسير كل ذي حياة واما الموت الاختياري الذي  
هو غاية آمال العارفين وقرّة عين اهل التقوى واليقين فهو فوق التوبة  
بمراتب كثيرة إذا وفق له ولي من اولياء الله تعالى بشرطه وشروطه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا  
النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا  
اتَّيَسَّرَ مِنْهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ  
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَعْسَى  
أَنْ تَكْرَهُنَّ وَأَنْتُمْ لَا تَكْرَهُنَّ وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ  
خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)  
وَأِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ  
وَآتَيْتُمْ أَحَدَ يَهُنَّ فِنْظَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ  
شَيْئًا آتَاخُذُوتَهُ  
بُهْتَانًا وَأَنْتُمْ مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُوتَهُ  
وَكَانَ قَدْ  
أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ  
مِيثَاقًا  
غَلِيظًا (٢١)

الآيات الشريفة تشمل على احكام اجتماعية تهم المجتمع الاسلامي  
وقد تضمنت تشريعات الهية للحياة الزوجية وقد امر عزوجل الزوج  
بالمعاشرة بالمعروف مع الزوجة ونبد الاحساسات والعواطف التي تهدد  
حياتها ونجلب الشقاء لها كما نهت الزوجة عن الخيانة والفحشاء فالعمل  
بهذه الاحكام الالهية تجلب السعادة ويهدى الى الكمال وهذه هي وجه  
الارتباط بين الآيات في هذه السورة .

### التفسير

قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا  
النساء كرها .

خطاب إلى المؤمنين الذين آمنوا بالله ودانوا بشرية الحق واعرضوا

عن العادات الجاهلية والتقاليد الباطلة، فصاروا بذلك مستحقين للخطاب  
الالهي كما تشرفوا به منه تعالى .

والآية الشريفة تشير إلى عادة جاهلية وهي انهم كانوا يجرون على  
النساء حكم المتاع والعروض بل يستفاد منها انها كانت في زعمهم  
بمنزلة الحيوانات العجم التي لا ارادة لها ولا اختيار كالأبل والغنم وذلك  
من اضافة الوراثة إلى النساء إلا ان وراثة النساء عندهم كانت وراثة  
خاصة لم تكن في عرض وراثة مائر الاموال .

والمعروف انهم كانوا يرثون النساء مع التركة إذا لم تكن المرأة  
أماً للوارث فكان احسد الوراث يلقي ثوباً على زوجة الميت فيرثها  
ويتسلط عليها فان شاء عضلها عن النكاح وحبسها حتى الموت فيرث  
اموالها وان شاء يزوجها فينتفع من مهرها . والآية المباركة تنهي عن  
تلك العادات التي لم ينزل بها سلطان ، وتضمنت قوانين فطرية عقلية  
قررها الوحي المبين وهي امور اجتماعية يسعد بها الاجتماع والحياة الزوجية .

منها : النهي عن ارث النساء كرهاً وهذا الحكم فطري يقرره كل  
عقل سليم . وكرهاً بالفتح كما هو المعروف وقرىء بالضم . والكره  
بالضم والفتح بمعنى عدم الرضا إما من الغير أو من قبل نفسه وقيل:  
بالفتح الكراهية وبالضم الاكراه وقيل . غير ذلك وهو مصدر في موضع  
الحال إما نائب عن المفعول المطلق المستفاد من « ترثوا » أو انه  
منصوب على انه حال من النساء . وهذا الحكم يتصور فيه وجوه :

الاول : ان يستوهب منها المال الذي يصل من المورث بالاكراه  
بأن تحرم من تركتها فيستقل الوارث بتمام التركة دونها .

الثاني : ان يؤخذ نفس النساء كسائر الاموال وهن مكروهات على

ذلك أو انهن يكرهن ذلك .

الثالث : ان يستكرهها احد الوراث على ان تهب تركتها او نفسها له دون سائر الورثة وغير ذلك من الحيل الاكراهية .  
وعلى اى حال يكون القيد ( كرهاً ) لبيان الواقع الذي كان في الجاهلية ، فتكون الآية في مقام الردع عن تلك العادة السيئة وحينئذ لا معنى للنزاع في ان هذا القيد هو قيد توضيحي أم احترازي ويستفاد من اضافة الورثة إلى النساء انهن بمنزلة المال فيشملن نفسهن والمال الذي عندهن .

قوله تعالى : ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتينموهن .

حكم فطري آخر عطف على قوله تعالى : « لا ترثوا » . ومادة (عضل) تدل على التضييق واليه يرجع الحبس والشدة . يقال : عضل الامر اي : اشتد وعضلت المرأة بولدها عسر عليها . وعضل المرأة بعضلها - مثله الضاد - منعها الزوج ظلماً وقد وردت هذه المادة في موضعين احدهما المقام ، والثاني في قوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » البقرة - ٢٣٢ وقد تقدم الكلام هناك فراجع والمراد به هو المنع من حقوقهن في الحياة الزوجية بخلاف الآية الاولى التي كانت في المال الذي تمتلكها النساء .

وهذا ايضاً يتصور على اقسام : فاما ان يكون العضل والمنع عن الزواج وهذا ما تقدم في سورة البقرة - ٢٣٢ أو العضل عليهن في الطلاق حتى تفتدي بشيء من المال أو العضل عليهن من النكاح حتى تفتدي جميع الصداق أو ببعض منه .  
والآية المباركة تؤكد النهي عن منع المرأة من حقوقها المشروعة

التي قررها القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى : « فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن المعروف » البقرة - ٢٣٤ فان المنع والتضييق عليهن باي وجه كان هو خلاف قاعدة السلطنة المقررة عقلاً وشرعاً .

قوله تعالى : الا ان يأتين بفاحشة مبينة .

استثناء عن ما تقدم . والفاحشة هي الفعل القبيح قد شاع استعمالها في الزنا والمبينة من البين وهو الواضح اي الفاحشة المعلومة الواضحة . والمعنى : ولا تمنعوا النساء من النكاح وتضيقوا عليهن ليضطروا إلى بذل شيء من المال إما الصداق أو غيره مما دفعتموه اليهن لرفع الاضطرار إلا ان تأتي المرأة بفاحشة معلومة واضحة فله ان يعضلها حتى تدفع مالا له ليفارقها .

ونظير هذه الآية ماورد في سورة البقرة قال تعالى : « ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا ان يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افقدت به » البقرة - ٢٢٩ و « الا » في المقام يفسر عدم اقامة حدود الله تعالى باثبات الفاحشة هذا كله لو لم يكن رضاه منها في البذل .

واما لو كان عن تراض منها فلا اشكال في جوازه إذا لم تكن عن مفسدة شرعية . ومن تقييد الفاحشة بالمبينة يستفاد ان مجرد صرف الوجود غير كاف ما لم تكن مبينة وواضحة .

قوله تعالى : وعاشروهن بالمعروف .

بيان لاصل من اصول الحياة وهو الاساس للحياة السعيدة فان الله تعالى نهى عن ارث النساء كرهاً وعضلتهن ، ووضع حداً للظلم عليهن وبين في هذه الآية المباركة ان الطريق الصحيح هو المعاشرة مع النساء

بالمعروف بأن تكون المخالطة والمصاحبة والعيش معهن بما هو المعروف بين افراد المجتمع ولم يعين سبحانه وتعالى كيفية ذلك ليكون العرف الذي هو الشايخ في كل عصر وزمان هو المعتمد في ذلك وهذا من المفاهيم الاسلامية القويمة التي تذكر في مجال التطبيق العملي وان الجاهلية والشقاء تتحققان بقدر الاعراض عما شرعه الله تعالى فيما بيته السنة المقدسة والاسلام دين متكامل يعطي بقدر ما يترك ولا يصلح جانباً على حساب جانب آخر أو اهمال جهة معينة ، ففي المقام الواجب على الرجل حسن المعاشرة مع النساء بالمعروف فاذا كان ذلك من جانب الرجل ففي جانب المرأة هو اطاعة الزوج وهما يتوازنان الامر وتنادى الحقوق والواجبات .

قوله تعالى : فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .

تأكيد لما ذكره عزوجل وهو المعاشرة مع النساء بالمعروف ، وايضا للشعور الانساني بأن دين الله تعالى لا بد ان يعمل به بجميع حدوده وقيوده في جميع اتجاهاته .

وتبين الآية الشريفة حكم الاستمرار في الحياة الزوجية واو كانت مع الكراهية فانها تأمر بالمعاشرة حتى مع الكراهة وعدم فصم العلاقة الزوجية وقطعها عند ادنى تحول في المشاعر والاحساس ويصلح حالها بالصبر وحسن المعاشرة لتعود حياتها الى الانتظام وتنتهي اسباب السرور والبهجة فان الله تعالى قادر على ان يمنحها السعادة ويتمتع الرجل - الذي وجد اموراً يكرهها في زوجته - بما فيه خير كثيراً مما يهون عندما شاهد ما كرهه في زوجته .



والخير الكثير مظاهر كثيرة منها : اظهار الحق وابطال الباطل .  
ومنهما : كثرة النسل والبركة فيه وفي المال .  
ومنهما : التخلق باخلاق الكرام .  
ومنهما : الهناء في العيش والبعد عن مشاكل الحياة .  
ومنهما : السعادة في الدارين وغير ذلك مما لا يحصى .  
واسناد الكراهة إلى الزوجات انفسهن يدل على أن اسباب الكراهة  
توجد في انفسهن إما ذاتاً كما كان عليه الناس في العصر الجاهلي أو  
لامر خارجي كالعيب الخُلقي أو الخُلقي دون نفس الحياة الزوجية  
ونكاحهن، والآية المباركة ترشد الى عدم المسارعة إلى مفارقتهم ومضارتهم .  
والتعليل في الآية الشريفة عام لا يختص بمورد الآية فهو من الحقائق  
الواقعية التي كشف عنها القرآن الكريم وهي توظف روح التعقل في  
الانسان عند استيلاء القوى الشهوية والغضبية عليه وترشده إلى التفكير  
في عواقب الامور وتروض النفوس على التخلق بمكارم الاخلاق  
وحسن المعاشرة مع النساء وانه بعمله بما ورد في هذه الآية الشريفة  
يرتقى إلى المستوى المرغوب منه من المحل الواقعي له ويصل إلى الكمال  
الذي اعد له فانه اذعن بالحق وعمل به وانكر الباطل وزيفه .  
والآية المباركة تبعث الأمل والرجاء عند اليأس في الحياة وعروض  
المشكلات على الانسان وقد تقدم نظير ذلك في قوله تعالى : وكتب  
عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم  
وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ، البقرة  
- ٢١٦ وتقدم البيان في ذلك ايضاً فراجع .

قوله تعالى : وان اردتم استبدال زوج مكان زوج .  
الاستبدال : هو طلب البديل واقامة زوج مكان زوج اخرى ترغبون  
عنها لكرهتكم لها كما يدل عليه قوله تعالى : وان اردتم ، فان  
الارادة تستدعي ذلك بان تكون رغبة عن المبدل ورغبة في البديل .  
والآية الشريفة تحدد المسئولية عند تشكيل الحياة الزوجية واقامة  
زوج آخر .

ومن كلمة الاستبدال الواردة في الآية الشريفة نستفيد ان الامر  
إذا بلغ الانفصام والانفصال بينهما رغم التوصية في الآية السابقة على  
عدم مسارعة الرجل إلى فصم رباط الزوجية عند تحول المشاعر ،  
فمضى ان يكره شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً فلا ينبغي ان يحدث  
ذلك واما إذا احدث فلا بد ان تقام الوحدة الاجتماعية مرة اخرى بزواج  
اخرى وتجتمع الاسرة لثلاث تنعطل وظيفتها .

والاسلام يؤكد على ذلك وهو شديد الحرص على تكوين الاسرة  
وذلك لاسباب كثيرة منها سد ابواب الفحشاء ، وجعل دوافع الفطرة  
في مسيرها الطبيعي وتوحي كلمة الاستبدال منضمة بقوله « اردتم »  
على ملء الفراغ في الحال وعدم الاهمال في هذا الامر العظيم .

قوله تعالى : وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً .

القنطار : هو المال الكثير وقد تقدم تفسير هذه الكلمة في قوله  
تعالى : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار » آل عمران - ٧٥  
وأني به مبالغة في كثرة ما يعطي من المهور وتأكيداً في الزجر فاذا  
دفع الزوج الصداق إلى الزوجة ولو كان كثيراً أو النزم به في الذمة  
فلا يجوز ان يأخذ منه شيئاً ولو كان قليلاً إذا بلغ الامر إلى انفصام

علاقة الزوجية والطلاق ولا يحل له ذلك .

قوله تعالى : أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً .

إنكار على أخذهم لذلك الشيء ، والبهتان مصدر نصب على الحالية وهو ما يجعل الانسان متحيراً ، وغلب استعماله في الافتراء الذي يبهت المكذوب عليه ويجعله متحيراً والاثم : الذنب وهو حال ايضاً والمبين الموضح ، فيكون البهتان بمعنى الدعوى بغير حق ولا ريب ان أخذ شيء من صداق المرأة بعد كثرة علاقتها به بدون رضاها بهتان وإثم مبين واضح لا ريب فيه . نعم لو رضيت به لا اشكال فيه حيثئذ كما في الخلع وغيره .

وقيل : البهتان في المقام نسبة المرأة إلى الفاحشة ليستلب اموالها وصداقها اي : أتأخذون شيئاً مما دفعتموه اليهن صداقاً ولو كان السبب رميهن بالفاحشة باهتين لها أو ناسبين الكذب اليها كعدم اقامة حدود الله تعالى لتنتجاً إلى الافتداء .

وهذا وان كان حسناً ثبوتاً لكنه خلاف المنساق من الآية الشريفة . وبناءً على ما ذكرناه يكون « اثماً مبيناً » عطفاً تفسيرياً للبهتان كما هو واضح .

قوله تعالى : وكيف تأخذونه .

تعليل لمنع الأخذ من مال المرأة وانكار آخر له وارجاع إلى الفطرة مبالغة في التنفير وهو من احسن الاساليب البلاغية فان الصداق انما يكون بأزاء الزوجية والخلوة بها قضاءً لما تدعو اليه الشهوة والفطرة وهذا يؤكد ما ذكرناه من رجوع البهتان إلى نفس الأخذ وفيه كمال الذم والتوبيخ للأخذ .

قوله تعالى : وقد افضى بعضكم الى بعض .  
الافضاء: هو المخالطة والاتصال بالماسية يقال افضى الى الارض يده  
إذا مسها في سجوده ويكنى به في النكاح عن الجماع غالباً. والافضاء  
من الكلمات التي تستعمل في الحياة الزوجية لانها تشمل على الارتباط  
والتمتع ورفع الحشمة ، وهي من احسن الكتابات في هذا المجال .  
والمعنى : كيف تأخذون من ما لها شيئاً وقد ارتبطتم معها ارتباط  
اللباس باللباس كما في قوله تعالى : هـ من لباس لكم وانتم لباس لهن ،  
البقرة - ١٨٧ واختلطتم معها وتحققت علاقة الزوجية فكانها حقيقة  
واحدة وفي هذه الحالة لا يصح الظلم والبهتان والرمي بالكذب واخذ  
المال ظلماً وعدواناً وهو مما يتعجب منه .

قوله تعالى : واخذن منكم ميثاقاً غليظاً .  
الميثاق : هو للعهد المؤكد المشدد ، والغليظ إما عطف بيان على  
« ميثاقاً » فيكون المعنى واخذن منكم شيئاً غليظاً وهو المني الذي  
يكون محرماً بالعقد الواقع بينهما .  
أو تكون وصف من قبيل ذكر الخاص بعد العام اي : العقد  
الغليظ الواقع غالباً بمحضر من الناس مقروناً بالطرب والسرور .  
وكيف كان فهذه الآية الشريفة تدل على احترام العلاقة الزوجية وان  
العقد الواقع بين الزوجين مما عظمه الاسلام وسائر الاديان الالهية ،  
ويجب الالتزام به بحسب الفطرة .  
وقيل : ان الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ من الرجل للمرأة في  
ما ذكره عزوجل « فامسك بمعروف أو تسريح باحسان » البقرة- ٢٢٩  
وقيل الحلية المجعلولة شرعاً في النكاح وقيل غير ذلك .

ولا يخفى بُعد جميعها ويمكن ارجاعها إلى ما ذكرناه والآية المباركة تدل على انكار الاخذ وانه بهتان .

### بحث دلالي

يستفاد من الآيات الشريفة امور :

الاول : يستفاد من قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا يجل لكم ان تروا النساء » ان في عصر نزول القرآن كان الناس يعتبرون النساء متاعاً من الامتعة يتوارثونهن ويحكم الرجل عليها بما يريد وان كان على كره منها وقد نهى القرآن الكريم عن هذه العادة السيئة وبين عزوجل حكمه الابدئي فيها ورد عليها كرامتها والزم الرجل معاشرتها بالمعروف وجعل تبارك وتعالى ذلك اصلاً من الاصول النظامية فلا يبد من مراعاتها والا حصلت امور لا تحمد عقباها كما عرفت في التفسير .

الثاني : يستفاد من قوله تعالى : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ، حرمة الابتزاز والاستبداد بالمرأة والنهي عن التضييق على النساء بكل وجه من وجوه التضييق وحرمة اضطهادهن ليستفيدوا منهن اية فائدة فان ذلك قبيح إلا ما استثناه عز وجل ، ولا منافاة لهذه الآية الشريفة مع آية الخلع فانه انا يكون من جانب المرأة ، فاذا رضيت بالفداء يجوز للزوج قبوله ومفارقتها . وفي غير ذلك لا يجوز عضلها ومنعها مطلقا إلا إذا أنت بفاحشة مبينة .

الثالث : يستفاد من قوله تعالى : « إلا ان يأتين بفاحشة مبينة »

ان الفاحشة التي توجب العضل لا بد ان تكون معلومة ثابتة فلا يكفي الظن في هذا المقام الذي هو في معرض الخصومة والجدال وسوء الظن فهذه الكلمة « مبينة » لها موقعها العظيم في المقام وفي هذه الحالة يجوز عضلها من باب النهي عن المنكر والامر بالمعروف .

الرابع : يستفاد من قوله تعالى : « فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » حقيقة من الحقائق الواقعية وهي تدل على جهل الانسان بالواقع وان ما يبجله اكثر مما يعلمه ، فانه قد يقع تحت وقع المشاعر والاحساس والعواطف التي قد تكون حجاباً عن التفكير في عواقب الامور .

فالآية الشريفة من الآيات الكثيرة التي نزلت لتربية الانسان تربية حقيقية واقعية ، وتحدد مسؤوليته اتجاه الحياة الزوجية التي بنيت على المحبة وتحكيم العقل دون المشاعر الوهمية الخاطئة التي تسبب كثيراً من المشاكل والمتاعب في هذه الحياة .

والآية المباركة توحى إلى الانسان بعدم التسرع في الحكم عند غلبة العواطف ولها وقع كبير في الحياة الزوجية التي لا تخلو من التنازع والخصومة إذ ليس كل زوجة مطلوبة للزوج من كل جهة وكذا بالعكس .  
الخامس : يستفاد من قوله تعالى : « وان اردتم » منضمّاً إلى قوله تعالى : « فلا تأخذوا منه » ان الأخذ المحرم من الصداق هو ما كان بعنوان الاكراه والالغاء لها على ذلك ولو كان البذل بارادتها وعن طيب نفس منها فلا بأس به وعلى هذا فلا منافاة بين هذه الآية وآية الخلع سورة البقرة - ٢٢٩ .

السادس : يدل قوله تعالى : « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج » على اهمية الاسرة وانه لا بد من تشكيل الاسرة بعد انفصام

الاولى لجهة من الجهات إعادة الوحدة الألفة التي يعطي لها الاسلام  
اهمية خاصة في بناء المجتمع . وتوحي الآية الكريمة بانه لا يجوز تعطيل  
وظيفة الاسرة لاي جهة من الجهات .

السابع : يدل قوله تعالى : « وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم  
إلى بعض ، على اسلوب من الاساليب البلاغية البديعة فانه يرجع الانسان  
إلى الضمير وتحكيمه على سائر المشاعر والعواطف فان الحياة التي بنيت قاعدتها  
على الترابط بين شخصين يكون احدهما بمنزلة اللباس للآخر كيف يمكن  
جعل المال عوضاً عن تلك الحياة الزوجية .

الثامن : يدل قوله تعالى : « احداهن قنطراً » على انه لا تحديد  
في المهر بالنسبة إلى الكثرة كما انه لا تحديد فيه بالنسبة إلى القلة ، وقد  
ورد في السنة المتواترة « ان المهر كل ما تراضيا عليه قليلاً أو كثيراً ،  
نعم لا ريب في ان الفضل في مهر الستة .

التاسع : يدل قوله تعالى : « واخذن منكم ميثاقاً غليظاً » على  
ان المرأة هي التي اخذت الميثاق من الرجل ، ولكن المستفاد من  
الادلة الاخرى ان الميثاق مأخوذ من الطرفين وهو متقوم بالزوجين  
يأخذ الميثاق من المرأة على تمكينها من التمتع بها وقيامها بسائر الوظائف  
الزوجية الواجبة عليها والزوجة تأخذ الميثاق من الرجل على العشرة  
بالمعروف أو التسريح بالاحسان : وعقد النكاح بينها عند كل قوم  
ينحل إلى ذلك .

ولعل الوجه في تخصيص الزوجة بالاخذ في الآية الشريفة لاجل  
شدة عواطفها وسلطة الزوج عليها ، فخصها عزوجل بالذكر لئلا  
تنقهر تحت تلك السلطنة ، كما يمكن ان يكون لاجل انها اخذت مسئولية  
الحمل والارضاع وهو المراد بـ ( المنى ) في بعض الروايات ، وكيف

كان فالمستفاد من الآية الشريفة ان للمرأة شأنًا عظيمًا في هذه الحياة  
وانها بمنزلة الهيولي والمادة ولولاها لما كان للميثاق موضوع ابدأ ،  
كما انه لو لم تكن الارض لما كان للنبات موضوع اصلاً .

### بحث روائي

في تفسير القمي عن أبي الجارود عن الباقر ( عليه السلام ) في  
قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ،  
قال ( عليه السلام ) : « كان في الجاهلية في اول ما اسلموا من قبائل  
إذا مات حميم الرجل وله امرأة القمي الرجل ثوبه عليها فورث نكاحها  
بصداق حميمه الذي كان اصدقها فكان يرث نكاحها كما يرث ماله فلما  
مات ابو قيس بن الاسلب القمي محضن بن أبي قيس ثوبه على امرأة  
ايه وهي كبيشه بنت معمر بن معبد فورث نكاحها ثم تركها لا  
يدخل بها ولا ينفق عليها فأتت رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) فقالت  
يا رسول الله مات أبو قيس بن الاسلب فورث ابنه محضن نكاحي  
فلا يدخل عليّ ، ولا ينفق عليّ ، ولا يخلي سبيلي فألحق باهلي ؟  
فقال رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) : ارجعي إلى بيتك فان  
يحدث الله في شأنك شيئاً علمتكم به فنزل : « ولا تنكحوا ما نكح  
آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ،  
فلحقت باهلها ، وكانت نساء في المدينة قد ورث نكاحهن كما ورث  
نكاح كبيشه غير انه ورثهن من الابناء فانزل الله : « يا ايها الذين آمنوا  
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ،



وفي الدر المنثور واسباب النزول للواحدي عن عكرمة عن ابن عباس في الآية الشريفة « يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهماً » قال : « كانوا إذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها ، وان شاؤوا زوجوها وان شاؤوا لم يزوجوها وهم احق بها من اهلها فنزات هذه الآية » .

اقول : الروايات في مضمون ذلك متعددة من الخاصة والجمهور وجميعها تنكر ما كان شائعاً في الجاهلية وقد عرفت في التفسير ما يرتبط بالمقام . وفي تفسير العياشي عن هاشم بن عبدالله عن السري البجلي قال : « سألته عن قوله تعالى : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن » قال : فحكى كلاماً ثم قال : كما يقول النبطية إذا طرح عليها الثوب عضلها فلا تستطيع تزويج غيره وكان هذا في الجاهلية » .

اقول : هذا يبين بعض مراتب العضل .

وفي تفسير العياشي ايضاً عن ابراهيم بن ميمون عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن » قال : « الرجل تكون له المرأة فيضربها حتى تفتدي منه فنهى الله عن ذلك » .

اقول : هذا ايضاً نحو من العضل .

وفي المجمع عن الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى : « إلا ان يأتيهن بفاحشة مبينة » قال : « كل معصية » .

اقول : لا ريب انه كل معصية فاحشة إلا ان بعضها افحش من بعض .

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) : « اذا قالت له لا اغتسل لك من جنابة ولا ابر لك قسماً ولاوطين فراشك من تكبره حل

له ان يخلعها وحل له ما أخذ عنها .

اقول : هذا من بعض مصاديق الفاحشة والا فلو كانت موجبة لما هو مستنكر في العاشرة بين الزوجين وقد نهى عنها الشرع تكون تلك فاحشة ايضاً .

وفي تفسير البرهان قال الشيباني : « الفاحشة يعني الزنا ، وذلك إذا اطلع الرجل منها على فاحشة منها فله اخذ القدية قال وهو المروي عن أبي جعفر ( عليه السلام ) ، » .

اقول : هذا ايضاً بيان لبعض المصاديق .  
في الكافي عن الباقر ( عليه السلام ) في قوله تعالى : « وانخذن منكم ميثاقاً غليظاً ، قال ( عليه السلام ) « الميثاق هي الكلمة التي عقد بها النكاح واما غليظاً فهو ماء الرجل بفضيه إلى امرأته ، » .  
اقول : كون المني غليظاً باعتبار كونه منشأ الحياة وهو محترم إذا كان بعقد شرعي والا فلا احترام له .

وفي المجمع : الميثاق الغليظ هو العقد المأخوذ على الزوج حالة العقد من امسك بمعروف أو تسريح باحسان قال وهو المروي عن أبي جعفر ( عليه السلام ) .

اقول : لا منافاة بين التعبيرين فان الامسك بالمعروف والتسريح باحسان من الالتزامات الضمنية الداخلة في مفهوم العقد .

وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير عن جابر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وان لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احداً تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وفي الدر المنثور ايضاً اخرج ابن جرير عن ابن عمر : و ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) قال : يا ايها الناس ان النساء عندكم عوان اخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله وليكن عليهن حق ، ومن حاكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم أحداً ، ولا يعصينكم في معروف وإذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .  
اقول : كل ذلك بيان لمعنى الميثاق القولي الحاصل بين الزوجين .  
وفي الدر المنثور اخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن عبد الله ابن مصعب قال : قال عمر : لا تزيدوا في مهور النساء على اربعين اوقية ، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال فقالت امرأة : ما ذاك لك قال ولم ؟ قلت لان الله يقول : و آتيتم احداهن قنطاراً ، فقال عمر امرأة أصابت ورجل اخطأ .  
اقول : تقدم ما يدل على تحديد المهر كما وكيفاً فراجع .

## فهرس الجزء السابع من مواهب الرحمن في تفسير القرآن

- |    |                                                                                                                                                                                  |                                     |    |                                                                                                                           |
|----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------|----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٤ | ( الثاني ) : الآيات الشريفة تدل على ان الرحمة واللين مع الخلق والتودد معهم والرحمة لهم من اجل صفات الله تعالى افاضها على نبيه (ص) ( الثالث ) : تتضمن الآية الشريفة شروط التوكل . | [ سورة آل عمران الآية : ١٥٩ - ١٦٠ ] | ٥  | الخطاب المتوجه الى النبي ( صلى الله عليه وآله ) يذكر فيه نعمة الله عليه بأن جعل قلبه رحيماً وبعيداً عن القظاظه والحشونة : |
|    | ( الرابع ) : تدل الآية الكريمة على الاثر المهم المترتب على التوكل .                                                                                                              |                                     | ٦  | الوجه في التفات الخطاب من المؤمنين الى النبي ( صلى الله عليه وآله ) :                                                     |
|    | ( الخامس ) : يستفاد من الآية الشريفة ان شأن المؤمن التوكل على الله ولا ينبغي له التخلي عنه .                                                                                     |                                     | ٧  | مادة ( آسین ) ومعناها :                                                                                                   |
|    | ( السادس ) : الآية المباركة تدل على ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) مثال الانسانية الكاملة .                                                                                 |                                     |    | اللفظاظه ومعناها وان سببها قساوة القلب :                                                                                  |
|    | ١٦ بحث روائي يتعلق بالآيات الشريفة .                                                                                                                                             |                                     | ٨  | المراد من الامر الوارد في الآية الشريفة                                                                                   |
|    | ١٧ بحث اخلاقي في التوكل .                                                                                                                                                        |                                     | ٩  | العزم ومعناه :                                                                                                            |
|    | فضل التوكل                                                                                                                                                                       |                                     | ١٠ | التوكل ومعناه وآثاره :                                                                                                    |
| ١٨ | التوكل في الكتاب الكريم                                                                                                                                                          |                                     | ١١ | كلمة ولاه الوارد في الآية المباركة                                                                                        |
| ٢٠ | التوكل في السنة الشريفة :                                                                                                                                                        |                                     |    | لفظي الجنس :                                                                                                              |
| ٢٢ | معنى التوكل .                                                                                                                                                                    |                                     |    | بحوث المقام :                                                                                                             |
| ٢٣ | حقيقة التوكل .                                                                                                                                                                   |                                     | ١٢ | بحث ادبي يتعلق بالآية الشريفة :                                                                                           |
|    |                                                                                                                                                                                  |                                     |    | بحث دلالي وفيه يستفاد من الآيات الشريفة امور :                                                                            |
|    |                                                                                                                                                                                  |                                     |    | ( الاول ) : ان النبوات السماوية تقوم بامرین ،                                                                             |

- |                                                                                                                                                       |                                                                                              |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------|
| الكريمة وانها تدل على جلاله قدره وتؤكد المنة عليهم :                                                                                                  | ٢٦ شروط التوكل .                                                                             |
| ٤٣ المراد من « قبل » الوارد في الآية الكريمة :                                                                                                        | ٢٨ درجات التوكل :                                                                            |
| بحث دلالي وفيه يستفاد من الآيات الشريفة امور :                                                                                                        | ٣٠ آثار التوكل :                                                                             |
| ( الاول ) : يستفاد من سياق الآية الكريمة تزييه مساحة الانبياء عن السوء والفحشاء وعصمتهم عن كل ذيلة .                                                  | [ سورة آل عمران الآية ١٦١ - ١٦٤ ]                                                            |
| ( الثاني ) : تدل الآية المباركة على تجسّم الاعمال :                                                                                                   | الآيات الشريفة مرتبطة بغزوة احد :                                                            |
| ( الثالث ) : نسبة الخيانة إلى النبي ( صلى الله عليه وآله ) ظلم ولا بد من التنزه عنها :                                                                | ٣٢ الغل ومعناه العام ولا يختص بالوحي .                                                       |
| ( الرابع ) : تدل الآية الشريفة على انه لا يمكن رمي النبي ( صلى الله عليه وآله ) بالخيانة وفيها المرعظة للمؤمنين وارشادهم الى اتباع رضوان الله تعالى . | ٣٣ الآية الكريمة تبين الجزاء المترتب على الغل .                                              |
| ( الخامس ) : الوجه في اختلاف التعبير بـ « هم » و « لهم » :                                                                                            | ٣٤ الرضوان ومعناه وان الآية الشريفة من جلائل الآيات القرآنية :                               |
| ( السادس ) : يستفاد من الآية الكريمة                                                                                                                  | ٣٦ السخط ومعناه :                                                                            |
|                                                                                                                                                       | الوجه في التعبير بـ ( المصير ) :                                                             |
|                                                                                                                                                       | ٣٨ ما يتعلق باتيان الضمير « هم » العائد الى ذوي العقول .                                     |
|                                                                                                                                                       | ٣٩ في بيان ان نيل تلك الدرجات لا يكون بالتمني والوهم والخيال والها هو على الحقيقة والاعمال : |
|                                                                                                                                                       | ٤٠ المنة ومعناها :                                                                           |
|                                                                                                                                                       | في ان تكميل النفوس الناقصة من اجل نعم الله تبارك وتعالى .                                    |
|                                                                                                                                                       | ٤١ في بيان المنة الواردة في الآية الشريفة .                                                  |
|                                                                                                                                                       | ٤٢ ما ورد في تعداد اوصاف النبي ( صلى الله عليه وآله ) في الآية                               |

- الشريفة .
- بيان المصيبة والحقيقة التي خلفوا عنها :
- معنى الآية الشريفة .
- ٥٠ الآية الكريمة بين القدرة الكاملة وتذكر احد مصاديقها :
- ٥١ غابة اخرى من الغايات المترتبة على ما اصابهم .
- ٥٢ المراد من « الذين نافقوا » وبيان وجوه نفاقهم :
- ٥٣ بيان لحال المنافقين :
- ٥٤ الوجه في ذكر الاخوان في الآية الكريمة بالخصوص :
- بحوث المقام .
- ٥٥ بحث ادبي يتعلق بالآية الشريفة :
- ٥٦ بحث دلالي وفيه يستفاد من الآية الشريفة امور :
- (الاول) : يستفاد من الآية الكريمة واقع الانسان بعد اصابته بمصيبة .
- ٥٧ (الثاني) : تدل الآية الشريفة على ان قانون الاسباب والمسببات لا يخرج عن قدرة الله تعالى ه
- (الثالث) : الآية المباركة تدل على اهم ما كان يريدته المنافقون .
- الشريفة اهم اصل من اصول التعليم والتربية في الاسلام .
- ٤٥ ( السابع ) : تبين الآية الكريمة ان جهات التكبر في اللسان لا بد وان تكون من الله تعالى .
- ( الثامن ) : في الوجه باختصاص المؤمنين بالذكر مع ان رسول الله ( صلى الله عليه وآله ) وسائر الانبياء مبعوثون الى كافة الناس .
- ( التاسع ) : الوجه في تقديم التزكية على التسليم في المقدم وتأخيرها في آية اخرى :
- ٤٦ بحث روائي يتعلق بالآيات الشريفة . [ سورة آل عمران : ١٦٥ - ١٦٨ ]
- الآيات الشريفة تبين جانباً من الجوانب المعقدة في غزوة احد وتكشف الموازنة بين الخسارة والهزيمة وبين تلك النعمة العظمى والمئة الكبرى :
- ٤٨ الاستفهام في الآية الكريمة للتقريع ويكون السؤال الاستنكاري في موضعه .
- ٤٩ المراد من المثليين الوارد في الآية

- ٥٨ (الرابع) : يستفاد من الآية المباركة حسن المخاورة والمحاجة مع المنافقين .  
 بحث روائي يتعلق بالآية الشريفة .  
 [ سورة آل عمران ١٦٩ - ١٧٥ ]  
 الآيات المباركة تبين الماترئين من مات من القاهدين وبين ما يهيب المجاهدين .  
 ٦٠ صلوات الاحياء عند ربهم .  
 وجه الالتفات من خطاب المؤمنين الى خطاب الرسول ( صلى الله عليه وآله ) .  
 ٦٠ الآية الكريمة رد على من يزعم ان الموت صيباً لانعدام الروح والبدن .  
 المراد من سبيل الله ومن المرات :  
 ٦٣ الفرح ومعناه .  
 ٦٤ الوجه في ابهام النعمة و اضافتها اليه جل شأنه وكذا الجمع بين الاستبشار بانتفاء الخوف والحزن والاستبشار بنعمة من الله وفضل .  
 تأكيد آخر بتوفية الله اجر المؤمنين والشهداء وغيرهما .  
 الآية الشريفة تبين وجه الحزن والخوف عنهم :  
 التخصيص بالمؤمنين في الآية الكريمة
- وتنويه بمقامهم السامي :  
 الآيات المباركة تدل على اثبات الحياة للروح واثبات عالم البرزخ وغيرهما كما يستفاد منها امور تتعلق بالحياة للروح .  
 ٦٧ الآية المباركة تبين كيفية تأثير التربية الحقيقية الملهمة في نفوس المؤمنين :  
 ٦٨ ثناء جميل لمن استجاب الله والرسول ،  
 ٦٩ الآية الشريفة تقسم المستجيبين الى طائفتين .  
 ذكر بعض الآثار للتربية الحقة الحقيقية في الالهة المباركة .  
 ٧٢ ترتب الآية الكريمة على ما قبلها من قبيل ترتب المعلول على العلة التامة المنحصرة :  
 بحوث المقام .  
 ٧٥ بحث ادبي يتعلق بالآية المباركة .  
 ٧٧ بحث دلالي وفيه ان الآيات الشريفة تدل على امور :  
 ( الاول ) : تدل الآية الكريمة على تجرد الارواح .  
 ( الثاني ) : يستفاد من الآية الشريفة

- ماهية حياة المؤمنين والشهداء في الآخرة :  
 ( الثالث ) : تدل الآية المباركة على سنخية ارواح المؤمنين لعالم القدس :
- ٧٨ ( الرابع ) : استفاد من الآية الكريمة ان القرع وما يصيب المؤمنين في ميدان القتال مع اعداء الله له الاثر الكبير في تهذيب النفس .
- ٧٩ ( الخامس ) : ان الآية الشريفة من الآيات التي يستفاد منها لزوم مراعاة الاستقامة للحق والحقيقة :
- ( السادس ) : تدل الآية المباركة على ان الاحسان والتقوى هما المناط في القرب الى الله تعالى :
- ٨٠ ( السابع ) : استفاد من الآية الكريمة حقيقة من الحقائق وهي اذب المنافقين وعاداتهم .
- ( الثامن ) : استفاد من الآية الشريفة كمال ايمان من استجاب لله والرسول :
- ٨١ ( التاسع ) : استفاد من ظاهر الآية الكريمة ان مضمونها لا تختص بحالة دون اخرى والمراد بالانقلاب المعنى العام .
- ( العاشر ) : استفاد من الآية المباركة من لم يعصف بما تقدم في الآيات السابقة قد فوت على نفسه امر أعظماً .  
 ( الحادي عشر ) : استفاد من الآية الشريفة ان الخوف من الامور الدنيوية انها يكون منشأ الشيطان :  
 ( الثاني عشر ) : تدل الآية الكريمة على ان الايمان جنة والجنة تحرم من صاحبه من الخوف .
- ٨٢ بحث عرفاني يتعلق بمقام الشهداء والمجاهدين في سبيل الله وكذا المجاهدين مع النفس الامارة .
- ٨٤ بحث روائي يتعلق بالآية المباركة .
- ٨٨ بحث تاريخي وفيه ان الآيات الشريفة تشير الى وقعة حراء الاسد .
- ٩٠ موقع غزوة حراء الاسد وزمالتها . عدد المسلمين فيها .
- ٩٢ اسباب الغزوة .
- ٩٣ اهداف الغزوة .
- [ سورة آل عمران : ١٧٦ - ١٧٩ ]  
 الآيات الشريفة مرتبطة بما تقدمت ومع انها لارشاد المؤمنين هي لتسلي النبي الكريم من ما يوجب حزنه :



- ٩٦ توجه الخطاب الى النبي ( صلى الله عليه وآله ) تشريفاً له وتسلياً له .  
الوجه في اسناد الحزن الى ذواتهم وتعدى المسارعة به ( في ) .
- ٩٧ الآية المباركة تعليل لعدم مضارتهم .
- ٩٨ الوجه في توصيف العذاب بالمعظمة وعدم تقييده بالآخرة .
- الآية نعم جميع الكافرين والوجه في التعبير بالشراء وان المراد بالكفر جميع مراتبه .
- ٩٩ الآية الشريفة تبين قضية عقلية حقيقية
- الآية المباركة تبين جزاء تمردهم .
- ١٠٠ الآية الكريمة تكشف عن حقيقة من الحقائق الواقعية :  
مادة ( ملل ) ومعناها .
- ١٠٢ الآية المباركة تبين سوء حال الكفار في الآخرة :  
الآية الكريمة تبين اهم القوانين الهجرية في مسير التكامل .
- ١٠٣ المراد من الخبيث والطيب وان الآية هاية لما لقدمت .
- ١٠٤ اضافة كل من الطيب والخبيث .  
ظرف تمييز الخبيث من الطيب .
- ١٠٥ اختصاص الغيب بالله والمراد منه :  
الوجه في الاستدراك عما تقدم بالاجتناب .
- ١٠٧ الآية الكريمة تميز بين الخبيث والطيب : وفيها إعلام بان الحياة الطيبة مترتبة على العمل الصالح .
- ١٠٨ بمرث المقام .  
بحث ادبي يتعلق بالآية الشريفة .
- ١١٠ بحث دلالي وفيه ان الآيات الشريفة تدل على امور :  
( الاول ) : تدل الآيات الكريمة على ان اعراض الناس عن الايمان موجب لجرىان سهد الانبياء ( صلى الله عليه وآله ) وانها تسلم له :
- ١١١ ( الثاني ) : تدل الآيات المباركة على كمال عنايته تعالى بالرسول ( صلى الله عليه وآله ) والايمان :
- ( الثالث ) : الآية المباركة تدل على اعظم الحقائق وهو كل من اعرض عن الايمان به لن يضر الله .
- ١١٢ ( الرابع ) : تدل الآية الشريفة على ان الخير الحقيقي هو ما بينه عزوجل وخبيره يكون من الاستدراج .

الاملاء كما بين ماثم اليهود وتظهر  
تواهم الشريرة والآيات مرتبطة  
بما قبلها وهي تأمر بالصبر والثبات  
وتستنهض الناس الى متابعة الحق  
والجهاد .

١١٩ تحريض على بذل المال في سبيل الله  
تعالى بعد التحريض على بذل النفس  
في الجهاد .

١٢٠ في الآية المباركة كمال التوبيخ والذم  
على الباخلين وتبين واقم حالهم .  
١٢١ المراد من الطوق .

تتضمن الآية الشريفة التهديد  
والوعيد للباخلين .

١٢٢ ذكر تعالى مظهراً آخر من مظاهر  
سوء الظن بالله العظيم وهو نسبة  
المقر اليه تعالى كما من اليهود .

١٢٣ الآية الشريفة تتضمن التهديد لليهود  
والوجه في نسبة القتل الى الحاضرين  
منهم الذوق ومعناه .

١٢٤ الآية الكريمة بمنزلة التعليل لجميع  
ما تقدمتها من الآيات .

١٢٥ الوجه في اتيان صيغة المبالغة ، ظلام ،  
الآية المباركة تبين زعماً آخر من

١١٣ ( الخامس ) : الوجه في الثمن في  
وصف العذاب .

١١٤ ( السادس ) : تدل الآية الكريمة  
على ان في طريق الاستكمال لا بد من  
الابتلاء وتوارد الصعوبات والحن  
وان التمييز بين الخبيث والطيب في  
الانسان منحصر بالايمان به تعالى .

( السابع ) : يستفاد من الآية المباركة  
ان الخبيث والطيب امران اختياريان .  
( الثامن ) : في وجه تكرار لفظ  
الجلالة في الآية الشريفة .

١١٥ ( التاسع ) : تدل الآية الكريمة على  
انحصار علم الغيب بالله تعالى وان  
طريق الانسان في العلم بالحقايق  
منحصر بالاستدلال .

( العاشر ) : في ان التمييز بين  
الخبيث والطيب منحصر به تعالى .  
( الحادي عشر ) : تدل الآية الشريفة  
على ان الايمان لا يكمل الا بالتقوى  
والعمل الصالح .

١١٦ بحث روائي يتعلق بالآية المباركة .

[ سورة آل عمران ١٨٠ - ١٨٤ ]

١١٨ الآيات المباركة تبين بعض اقسام

- اليه تبارك وتعالى .
- ( السابع ) : تدل الآية الشريفة على  
كمال الحفظ والأمن من الضياع وفيها  
محو نوعيد .
- ( الثامن ) : في وجه انحصار بعثة  
الرسول بالبينات والزيبر والكتاب  
المنير .
- ١٣٣ بحث روائي يتعلق بالآية الشريفة .
- ١٣٦ بحث فقهي وفيه ان البخل ينقسم  
حسب الاحكام الخمسة التكليفية .
- ١٣٧ بحث عرفاني يتعلق بالانفاق .
- [ سورة آل عمران ١٨٥ - ١٨٩ ]
- الآيات المباركة تستنهض الناس الى  
الجهاد في سبيل الله تعالى وان المعركة  
مع اعدائه عز وجل حتمية الاثبات  
لكلمة التوحيد وان الموت الذي  
يصيب كل ذي حياة لا يمكن الفرار  
منه وتبين الآيات الكريمة ان  
التمحص سنة الهبة وانها تبين مقام  
اخلاق اهل الكتاب وان الملك لو حده  
تعالى .
- ١٣٩ الموت من مقومات هذا العالم وان  
الآية المباركة تبين قضية حقيقتها
- مزاعم اليهود الفاسدة .
- ١٢٦ القران ومعناه .
- ١٢٧ الآية الشريفة تتضمن تسلية للرسول  
الكريم .
- بحوث المقام .
- ١٢٨ بحث ادبي يتعلق بالآيات الكريمة .
- ١٣٠ بحث دلالي وفيه استفاد من الآيات  
المباركة امور :
- ( الاول ) : استفاد من الآيسة  
الكريمة ذم البخل واقسامه :
- ( الثاني ) : تدل الآية الشريفة على  
تجسيم الاعمال :
- ١٣١ ( الثالث ) : تدل الآيسة المباركة  
على ان كل ما يعطي للانسان وكل  
ما في الارض عرض زائل .
- ( الرابع ) : الآيسة الكريمة تبين  
صفات السوء وخصال الشر التي  
في اليهود .
- ( الخامس ) : استفاد من الآيسة  
المباركة ان الرضا بالمعصية معصية .
- ١٣٢ ( السادس ) : استفاد من الآيسة  
الكريمة ان كثرة الظلم لاجل تعدد  
متعلقه وانه لا يمكن انتساب الظلم

- طبيعية وجدانية والها نسلي النبي (ص) :
- ١٤١ التوقية ومعناه :
- ١٤٢ كلمة ( زحزح ) ومعناها .
- ١٤٣ هل الدخول في الجنة غير الزحزح  
عن النار ؟ .
- الوجه في اتيان الفعل مجهولاً في  
الآية المباركة :
- ١٤٤ في لحاظ اضافة الدنيا الى الله والى  
نفسها والى الاعمال التي تقع فيها .
- ١٤٦ ما يتعلق بالابتلاء في الاموال والانفس
- ١٤٧ الابتلاء بالعدوان الوارد في الآية  
المباركة .
- ١٤٨ العزم ومعناه .
- ١٥٠ الآية المباركة تبين صفات ذبيمة  
انصفت بها الدين ذكرهم الله تعالى  
في الآية السابقة .
- ١٥٣ الآية الكريمة تعليل لجميع ما ورد  
في الآيات السابقة .
- بحوث المقام :
- بحث ادبي يتعلق بالآيات الشريفة .
- ١٥٥ بحث دلالي وفيه يستفاد من الآيات  
الشريفة امور ا
- ( الاول ) ان الآية الكريمة تدل
- على تجرد النفس :
- ( الثاني ) : عموم الآية تدل على ان  
كل نفس لابد لها من ذوق الموت ،
- ١٥٦ ( الثالث ) : الوجه في التعبير  
بالدوق .
- ( الرابع ) : يستفاد من الآية الشريفة  
ان لكل نفس جزاء معيناً .
- ( الخامس ) : يستفاد من الآية  
الكريمة ثبوت حياة البرزخ .
- ( السادس ) : يستفاد من الآية  
المباركة عظمة الموقف .
- ١٥٧ ( السابع ) : تدل الآية الشريفة على  
حسنة الحياة الدنيا :
- ( الثامن ) : ان الفوز السدائم لا  
يتحقق الا بالبلاء والابتلاء .
- ( التاسع ) : يستفاد من الآية الكريمة  
ان ما اخذه الله عليه الميثاق هو من  
الانبياء وانه بيان الحق .
- ١٥٨ ( الحادي عشر ) : يستفاد من الآية  
المباركة ذم الفرحين بافعالهم التي  
لا تطابق الواقع :
- ١٥٩ ( الثاني عشر ) : ما يستفاد من الآية  
الشريفة في حب المحمدة :

- ( الثالث عشر ) : يستفاد من الآية  
المباركة ان الحصال المذمومة  
والملكات الرذيلة سبب للدخول في  
النار .
- ١٦٠ بحث روائي يتعلق بالآيات الشريفة .
- ١٦٣ بحث فلسفي يتعلق بالحياة والموت .
- بحث عرفاني يتعلق بنار الشهوات .
- ١٦٥ بحث اخلاقي يتعلق بمذمة حب  
الثناء والمحمدة .
- [ سورة آل عمران ١٩٠ - ١٩٥ ]
- الآيات الشريفة من جلائل الآيات  
واعاظمها التي تدهو الناس الى  
الفكر والسير والسلوك وانها نزلت  
من مقام عظيم .
- ١٦٧ دعوة الى التفكير والمراد بخلق  
السموات والارض .
- ١٦٨ المراد من اختلاف الليل والنهار .
- الآيات ومعناها .
- ١٦٩ الالهاب جمع لب ومعناه والوجه في  
ذكرهم في الآية الكريمة
- ١٧٠ في توصيف أولي الالهاب باوصاف  
متعددة .
- ١٧١ ما يتعلق بالفكر .
- ١٧٥ الخزي ومعناه .
- ١٧٦ ما يتعلق بالنداء الوارد في الآية  
المباركة :
- ١٧٧ الفرق بين غفران الذنوب والتكفير  
للسيئات .
- ١٧٨ ما يتعلق بسؤالهم من الله تعالى عما  
وعدهم .
- ١٧٩ الوجه في تخصيص الخزي بيوم  
القيامة .
- ١٨٠ نذل الآية الشريفة على ان الاستجابة  
لم تكن الا لأجل العمل .
- ١٨١ في بيان الأهل التي يشبث فيها الجزاء  
الموعود :
- ١٨٣ في بيان ان الآية المباركة تضمنت  
اموراً ثلاثة .
- بحوث المقام :
- بحث ادبي يتعلق بالآيات الشريفة .
- ١٨٥ بحث دلالي وفيه ان الآيات الشريفة  
تدل على امور :
- ( الاول ) : الاستدلال بآيات الله  
تعالى في مخلوقاته العلوية والسفلية  
على عبادة الله تعالى .
- الآية الشريفة تضمنت المبدأ والمعاد .

- عظمة مقام الابرار :
- ١٩٠ ( الحادي عشر ) : استفاد من الآية الشريفة ان اولي الالباب بمنزلة المادة وغيرهم من قبيل الصورة :
- ( الثاني عشر ) : تدل الآية الكريمة على ان اولي الالباب لم يبلغوا تلك المقامات الا بمحمل الاذى في سبيله تعالى .
- ١٩١ بحث روائي وفيه ما ورد في فضل الآيات وتفسير مفرد كلماتها :
- ١٩٦ بحث قرآني يتعلق بالدعاء والتضرع .
- ١٩٨ بحث فقهي يتعلق بالقدرة في التكليفات
- ١٩٩ بحوث عرفانية في السير والسلوك .
- ٢٠٢ بحث فلسفي وفيه ان الفلسفة الاسلامية تتميز بامور :
- [ سورة آل عمران ١٩٦ - ١٩٩ ]
- الآيات المباركة فنضمن جزاء من يتضاد مع الابرار وينافهم وفيها المرعظة الكبيرة والنهي عن الاغترار بحال الكفار .
- مادة غرر ومعناها والمراد من الكفرة
- ٢٠٩ بيان لعلة النهي عن الغرور ومصير المغرورين .
- ١٨٦ ( الثاني ) : تدل الآية المباركة على ان اختلاف الليل والنهار من شئون خلق السموات والارض .
- ( الثالث ) : استفاد من الآية الكريمة المنزلة العظيمة لاولي الالباب .
- ( الرابع ) : استفاد من الآية الشريفة ان ذكر الله تعالى له الاثر الكبير والمنزلة العظيمة لدوي الالباب ، واطلاق الذكر فيها يشمل جميع اقسامه
- ( الخامس ) : استفاد من الآية الشريفة ان التفكير بعد تهذيب الروح وتزكية النفس .
- ( السادس ) : المراد من القيام مطلق القيام لاخصرص الصلاة .
- ١٨٨ ( السابع ) : استفاد من الآية الشريفة ان الرب الموصوف بتلك الصفات الكمالية منزه عن الباطل ولا يصدر منه الا الحق .
- ( الثامن ) : استفاد من الآية الشريفة العلية والمعلواية .
- ( التاسع ) : تدل الآية الكريمة على ان ايمانهم مبني على امرين .
- ١٨٩ ( العاشر ) : تدل الآية الشريفة على

- ٢٠٧ بيان لمصير الأبرار .
- ٢٠٨ النزول ومعناه :
- الوجه في التفتن بالنعم :
- ٢٠٩ بيان لمشاركة بعض أهل الكتاب مع المؤمنين في خمس صلوات :
- ( الأولى ) : الإيمان بالله تعالى .
- ( الثانية ) : الإيمان بما أنزل إلى المسلمين وهو القرآن .
- ( الثالثة ) : الإيمان بما أنزل على أنبيائهم بغير تحريف .
- ٢١٠ ( الرابعة ) : الخشوع لله تعالى :
- ( الخامسة ) : عدم كتمان الحق في بيان أجر من أصف بتلك الصفات الخمس .
- بحث دلالي وفيه استفاد من الآيات الشريفة أمور :
- ٢١١ ( الأول ) : تدل الآية الشريفة على أن ما عند الكافرين من الحظوظ الدنيوية مها بلغت في العظمة لا تقابل ما للمؤمنين .
- ( الثاني ) : استفاد من الآية المباركة دواعي المتاع الذي يتمتع به الكافر .
- ( الثالث ) : استفاد من الآية الشريفة أن المناط في كل خير ونفع هو التقوى .
- ( الرابع ) : استفاد من الآية الشريفة أن للأبرار منزلة عظيمة متفوقة .
- ( الخامس ) : تدل الآية الشريفة على أن الوحدة الجامعة لجميع الأديان هي الإيمان بالله تعالى .
- ٢١٣ بحث روائي يتعلق بالآيات الشريفة [ سورة آل عمران - ٢٠٠ ]
- ٢١٤ الآية الكريمة خاتمة لجميع الوصايا والحقائق التي تضمنتها هذه السورة وبدأت السورة بالتوحيد والاصطفاء واحتتمت السورة بالصبر والمصابرة والمرابطة وانها لا يمكن إلا بالتوحيد الأمر بالصبر لأنه المعتمد في كل سعادة وفلاح وكمال ولا تتحقق إلا به .
- ٢١٥ المصابرة ومعناها .
- المرابطة وما يتعلق بها .
- ٢١٦ بحث روائي يتعلق بالآية الشريفة .
- ٢١٧ بحث قرآني وفيه أن المرابطة من أهم الموضوعات في الإسلام .
- ٢١٨ معنى المرابطة .
- أهمية المرابطة .

يحتمل وجوهاً .  
 البث ومعناه والوجه في تقدم الرجال  
 على النساء .  
 الوجه في تكرار الامر بالقوى  
 والمراد من التناؤل .  
 الآية الكريمة تدل على عظمة صلة  
 الرحم .  
 ٢٣٤ الجملة في الآية المباركة في موضع  
 التعليل .  
 بحث ادبي يتعلق بالآية الشريفة :  
 ٢٣٥ بحث دلالي وفيه ان الآية الشريفة  
 تدل على امور :  
 ( الاول ) : تدل الآية الكريمة  
 على مطلوبية التقوى :  
 ٢٣٦ ( الثاني ) : الوجه في التعبير بالرب  
 في الآية المباركة .  
 ( الثالث ) في تقديم خلق الناس على  
 الزوجة للدلالة على اظهار القدرة .  
 ( الرابع ) : التقييد بالوحدة للدلالة  
 على امرين :  
 ( الخامس ) : استفاد من الآية  
 المباركة ان الزوجة بمنزلة الجزء  
 للزوج .

٢١٩ متعلق المرابطة .  
 ما فيه المرابطة .  
 ٢٢٠ منهج المرابطة .  
 [ سورة النساء - ١ ]  
 وهي من جلائل السور واسماها لانها  
 تضمنت اكثر الاحكام الالهية التي  
 نزلت لصالح الناس وبسط العدل  
 وناموس الفطرة ومراعاة الحقوق  
 وان الغاية القصوى منها التقوى .  
 ٢٢٥ في ان اسلوب السورة ومضامينها  
 تشهد انها مدنية .  
 الوجه في ابتداء السورة بخلق الانسان  
 الآية الكريمة التي هي مفتتح هذه  
 السورة تحتوي على رموز وبدائع .  
 الوجه في الخطاب بـ ( يا ايها الناس )  
 وانه لا يختص اهل مكة .  
 ٢٢٧ الامر بتحصيل التقوى في الآية  
 الشريفة .  
 ٢٢٨ الآية المباركة تنضم وجوهاً من  
 الحكيم .  
 ٢٢٩ المراد من النفس .  
 ٢٣٠ الزوج والمراد منه .  
 خلق الزوج من النفس الواحدة



- التي تتعلق بنظام الاسرة والمجتمع وهي مرتبطة بما قبلها .
- ٢٦٠ الاول : من الاصول النظامية ترتبط بحياة الاسرة والمجتمع ما يتعلق باموال اليتامى .
- ٢٦١ الثاني : ما يتعلق بتبديل الخبيث بالطيب .
- الثالث : في الخلط بين اموال اليتامى واموال المتصددين لاموالهم .
- ٢٦٢ الرابع : ما يتعلق بالقسط والمعاشرة . وتحتل في الآية المباركة صور :
- ٢٦٣ في معنى « منى وثلاث ورباع » .
- ٢٦٤ المراد من الخوف الوارد في الآية الشريفة :
- ٢٦٥ العول ومعناه :
- الخامس : من الاصول النظامية ما يتعلق بمهور النساء .
- ٢٦٦ معنى المنية والمري .
- السادس : من تلك الاصول ما يتعلق بتحفظ اموال السفهاء .
- السفيه ومعناه .
- ٢٦٧ الوجه في اضافة المال الى المخاطبين .
- السابع من تلك الاصول ما يتعلق
- ( السادس ) : يصح ان يراد من النساء والرجال ذرية خاصة من نسل آدم ( عليه السلام ) .
- ( السابع ) : الوجه في تكرار التقوى في الآية الشريفة .
- ( الثامن ) : الآية الشريفة تدل على ايقاظ الشعور .
- ( التاسع ) : تدل الآية الكريمة على ان تقوى الارحام من تقوى الله تعالى .
- ٢٣٨ بحث علمي يتعلق بخلق الانسان .
- ٢٣٩ بحث قرآني يتعلق بانحدار النسل من آدم ( ع ) وان التناسل بواسطة روحاني متجسد .
- ٢٤٢ بحث روائي وفيه ما وردت في خلق حواء وما وردت في كهلية بث النسل من آدم وحواء وما وردت في تعدد خلق آدم طولاً وما ورد في شأن صلة الرحم .
- ٢٥٥ بحث فقهي يتعلق بصلة الرحم .
- ٢٥٦ بحث عرفاني وفيه ما يتعلق بادوار خلق الانسان وهي اربعة عشر دوراً .
- [ سورة النساء : ٢ - ٦ ]
- الآيات الكريمة تبين القواعد النظامية

- بالعناية للسفهاء .
- ٢٦٨ الثامن : من تلك الاصول ما يتعلق باختبار اليتامى .
- في ان الاختبار متقوم بامرین ا البلوغ واحراز الرشده .
- ٢٦٩ التاسع : من تلك الاصول ما يتعلق بالتعدي في اموال اليتامى :
- العاشر : من تلك الاصول ما يتعلق في تحديد تملك من يتصدى الاموال اليتامى .
- الحادي عشر من تلك الاصول ما يتعلق بالاستيثاق .
- ٢٧٠ الآية المباركة تعليل لجميع ما تقدم .
- بحوث المقام :
- بحث ادبي يتعلق بالآيات .
- ٢٧٢ بحث دلالي وفيه يستفاد من الآيات الشريفة امور :
- ( الاول ) : الوجه في التعبير باتوا في الآية الكريمة .
- ( الثاني ) : شمول الآية الشريفة للمحرّم وغيره .
- ( الثالث ) : الوجه في اختلاف التعبير في الآية المباركة .
- ( الرابع ) : يستفاد من الآية المباركة الجمع بين تسع نساء طولاً لا في زمان واحد .
- ٢٧٣ ( الخامس ) : تدل الآية الشريفة على مشروعية تعدد الزوجات والوجه في التعبير بـ مثنى وثلاث ورباع :
- ( السادس ) : الوجه في تخصيص حرمة اكل مال اليتامى مع اموال الاولياء .
- ٢٧٤ ( السابع ) : تدل الآية الكريمة على ان النكاح ليس من المعاوضة .
- ( الثامن ) : تدل الآية المباركة على كثرة المعاشرة مع اليتامى .
- ( التاسع ) : تدل الآية الكريمة على كيفية المقاوله مع اليتامى .
- ( العاشر ) : تدل الآية الشريفة على النهويل واهمية ما تقسدم من الاحكام .
- ٢٧٤ بحث روائي يتعلق بالآية المباركة :
- ٢٨٨ بحث قرآني وفيه ان للآيات الشريفة القرآنية اثار وضعيه وخواص معلومة .
- ٢٩٠ بحث فقهي وفيه ما يستفاد من الآية

٣١٢ بحث دلالي وفيه ان الآيات المباركة

تدل على امور :

( الاول ) : تدل الآية الكريمة على

اصل من اصول التوارث .

٣١٣ ( الثاني ) : تدل الآية الشريفة على

اشتراك النساء مع الرجال في الارث :

( الثالث ) : عموم الآية المباركة

يشمل جميع افراد الانسان حتى النبي

( صلى الله عليه وآله ) .

٣١٤ ( الرابع ) : تدل الآية الشريفة

على حكم ادبي .

( الخامس ) : تدل الآية الكريمة

على ان النصيب يدخل في ملك الوارث

( السادس ) : اطلاق الآية الكريمة

يشمل جميع اقسام الاقرباء .

( السابع ) : تدل الآية المباركة

ارتباط الحوادث الخارجية مع الاعمال

٣١٥ ( الثامن ) : يمكن ان تكون الآية

الشريفة اشارة الى كيفية المعاشرة

مع اولياء الله تعالى .

( التاسع ) : تدل الآية الشريفة

على تجسم الاعمال .

٣١٦ بحث روائي يتعلق بالآيات الشريفة .

الشريفة احكام :

٢٩٢ بحث فلسفي يتعلق بالتزواج بسين

المادة الفاعلية والمادة المنفصلة .

بحث اجتماعي يتعلق بتعدد الزوجات

٢٩٤ اما اشكل على تعدد الزوجات

والجواب عنه .

٢٩٨ نظر الاسلام في تشريع تعدد الزوجات

٢٩٩ تعدد ازواج النبي .

٣٠٠ بحوث عرفانية تتعلق بالآيات

الشريفة .

٣٠٢ [ سورة النساء ٧ - ١٠ ]

الآيات الشريفة تتضمن احكام الارث

التي هي من اهم الاحكام الاجتماعية .

٣٠٣ النصيب ومعناه .

٣٠٤ الوجه في الاظهار في موقع الاضمار .

٣٠٦ في ان الآية المباركة ليست منسوخة .

الحشية ومعناها .

٣٠٧ الآية الكريمة تبين غاية الرحمة والرافة

٣٠٨ الشديد ومعناه .

الآية المباركة تدل على الاتم العظيم

للذين يأكلون اموال اليتامى .

بحوث المقام :

٣١١ بحث ادبي يتعلق بالآيات الشريفة .

- ٣١٩ بحث فقهي وفيه يستفاد من الآيات المباركة احكام شرعية .  
[ سورة النساء : ١١ - ١٤ ]  
الآيات المباركة في كيفية تقسيم الارث وقد اطل فيها الاحكام التي كانت سائدة في المجتمع الجاهل .
- ٣٢٣ الوصية ومعناها والمراد منها .
- ٣٢٤ الوجه في تفضيل الذكر على غيره في الارث .
- في بيان سهم البنات وسهم البنت الواحدة .
- ٣٢٦ سهم الابوين مع الولد وهدونه .
- حجاب الاخوة الام من الثلث الى السدس .
- ٣٢٨ قاعدة : وان الارث انما يكون من اصل المال الذي تركه الميت اذا لم يوص بوصية او لم يكن عليه دين .  
وجه تقديم الوصية على الدين .
- ٣٢٩ في تقديم الاقرب على غيره .
- ٣٣٠ ارث من تقرب الى الميت بالنسب .
- ٣٣١ ارث الزوجة وما يتصور فيها من الصور .
- ٣٣٢ في ارث الاخ والاخت .
- ٣٣٤ المضارة ومعناها .  
بحوث المقام :
- ٣٣٧ بحث دلالي وفيه ان الآيات الشريفة تدل على امور :
- ( الاول ) : ما تضمنت الآيات المباركة من الرموز التي تدل على اهمية الفرائض واحكام الموارث :
- ٣٢٨ ( الثاني ) : تدل الآية الشريفة ان السهام تخص بالاولاد الصلبي .
- ( الثالث ) . تدل الآية الكريمة على جهة فضل الفاضل ولم تنطرق الى جهة النقص في المفضول .
- ( الرابع ) : تدل الآية الكريمة على موجبات الارث من النسبة والسبب .
- ٣٣٩ ( الخامس ) : يستفاد من التفصيل في سهام البنات انه لا يستغرق فرضهن التركة .
- ( السادس ) : يستفاد من الآية لا نصيب للذوي السهام في التركة قبل اخراج الدين والوصية والوجه في تقديمها على الدين :
- ( السابع ) : يستفاد من نسبة السهام الى التركة ان كل سهم منها يتعلق

- ٣٦٠ الارث في الامم المعاصرة .  
[ سورة النساء ١٥ - ١٦ ]  
الآيات تتضمن حكماً اجتماعياً يتعلق  
بالاجتماع والافراد .  
٣٦٣ الفاحشة ومعناها .  
المحتملات الواردة في المراد من  
الفاحشة المذكورة في الآيتين  
الكريمتين :  
٣٦٧ الاستشهاد لا يختص بالزنا .  
٣٦٨ في عقاب المقررة للفاحشة .  
٣٦٩ في بيان حكم الرجال لو ارتكبوا  
الفاحشة :  
بحوث المقام :  
٦٧٠ بحث ادبي يتعلق بالآية الكريمة .  
بحث دلالي وفيه تدل الآيتان الشريفتان  
على امور :  
(الاول) : يستفاد من الآية المباركة  
حرمة جميع اقسام الفاحشة ولا وجه  
لاختصاصها ببعض اقسام الفاحشة .  
( الثالث ) : تدل الآية الشريفة على  
الحيلولة بينهن وبين الفاحشة .  
٣٧٣ ( الثالث ) : يمكن ان تكون الآية  
الشريفة اشارة الى عادة جاهلية .
- باصل التركة في عرض واحد .  
٣٤٠ ( الثامن ) : تدل الآية المباركة ان  
القسمة الالهية تبني على مصالح  
واقعية .  
بحث روائي يتعلق بالآيات المباركة  
٣٤٥ بحث فقهي يستفاد من الآيات الشريفة  
احكام مهمة تعتبر كليات باب  
الفرائض .  
٣٤١ قاعدة تفضيل الذكر على الانثى .  
٣٤٨ قاعدة تقرب الاقرب وتقدمه :  
٣٤٩ قاعدة الحجب .  
قاعدة العول والتعصيب .  
٣٥٠ ان الاولاد يقومون مقام آبائهم .  
٣٥١ الزوج يشمل المعقود عليها وان لم  
يحصل الدخول كما يشمل المطلقة  
الرجعية .  
٣٥٢ بحث فلسفي في ان الوراثة على اقسام .  
٣٥٤ بحث اجتماعي وفيه ان الارث من  
من الامور الاجتماعية .  
بداية الارث وتحوله .  
٣٥٥ تطور الارث وتقسيمه .  
٣٥٦ مقارلة الارث في الامم المتعددة :  
٣٥٨ الارث في الاسلام .

- ( الرابع ) : تدل الآية الكريمة على ان الفعل الذي صدر عنهم كان بالاختيار .
- ( الخامس ) : تدل الآية المباركة على ان الحكم مفيد .
- ( السادس ) : تدل الآية الشريفة على ان التوبة والاصلاح مسقطان للحد .
- ٣٧٤ بحث روائي يتعلق بالآية الكريمة .
- ٣٧٥ بحث عرفاني يتعلق بالآية الشريفة .
- [ سورة النساء ١٧ - ١٨ ]
- ٣٧٧ تبين هاتين الآيتين الشريفتين حقيقة التوبة وشرائطها وترغب العاصين اليها .
- ٣٧٨ مادة توب ومعناها في ان توبة العبد محفوفة بتوبتين .
- ٣٧٩ في بيان ان التوبة على الله تعالى ثابتة الآية الكريمة تشمل جميع اقسام التوبة .
- ٣٨٠ المراد من الجهالة وهل هي احترازي أو توضيحي ؟
- ٣٨١ في بيان اقسام الحالة التي بين الموت وعمل السيئة .
- ٣٨٢ القريب ومعناه .
- ما يتعلق باسم الاشارة الواردة في الآية الكريمة .
- ٣٨٤ في بيان الاشخاص الذين لا تقبل توبتهم .
- بحوث المقام ١
- بحث دلالي وفيه استفاد من الآيات الشريفة امور :
- ٣٨٦ ( الاول ) : تدل الآية الكريمة ان التوبة من مظاهر ربهيته العظمى ومن شوؤنه عز وجل .
- ٣٨٧ ( الثاني ) : تدل الآية المباركة على فضل التوبة والهيا من مظاهر رحمته تعالى .
- ٣٨٨ في بيان آثار التوبة :
- ( الثالث ) : تدل الآية الكريمة ان التوبة امر اختياري .
- ٣٨٩ ( الرابع ) : تدل الآية الشريفة ان كل ذنب يصدر من جهالة قابل للغفر والغفران .
- ( الخامس ) : تدل الآية الكريمة على المبادرة الى التوبة .
- ٣٩٠ ( السادس ) : تدل الآية المباركة على قبول توبة المذنبين .

- ( السابع ) : ما يتعلق بالآية الشريفة  
 وحقى اذا حضر احدهم الموت .  
 ( الثامن ) : اطلاق الآية المباركة  
 يشمل التوبة من الشرك .  
 ( التاسع ) : يستفاد من الآية الكريمة  
 ان التوبة تتمحقق او استغفر الاحياء  
 للعاصين بعد مماتهم .  
 ٣٩١ بحث روائي يتعلق بالآية المباركة .  
 ٣٩٣ بحث عرفاني وفيه ارتباط الانسان  
 مع خالقه .  
 [ سورة النساء ١٩ - ٢١ ]  
 الآيات المباركة تشمل على احكام  
 اجتماعية تهتم المجتمع الاسلامي .  
 ٣٩٦ الآية المباركة تردع عن العادة  
 السائدة في الجاهلية .  
 ٣٩٧ الآية الشريفة تؤكد النهي عن منع  
 المرأة حقوقها وعضلها عنها .  
 العضل ومعناه واقسامه .  
 ٣٩٨ استثناء عن ما تقدم في الآية المباركة .  
 بيان اصل من الاصول الحياة السعيدة ،  
 ٣٩٩ الآية المباركة تبين حكم الاستمرار  
 في الحياة الزوجية .  
 ٤٠٠ في ان للخير مظاهر كثيرة .
- الوجه في اسناد الكراهة الى الزوجات ؛  
 ٤٠١ معنى الاستبدال الوارد في الآية  
 الشريفة .  
 ٤٠٢ البهتان ومعناه في الآية الكريمة ؛  
 ٤٠٣ الميثاق ومعناه .  
 بحث دلالي وفيه يستفاد من الآيات  
 الشريفة امور ؛  
 ٤٠٤ ( الاول ) : تدل الآية الشريفة ان  
 الناس في عصر نزول القرآن كانوا  
 يعتبرون النساء بمنزلة المتاع .  
 ( الثاني ) : تدل الآية الكريمة  
 على حرمة التضييق على النساء ؛  
 ( الثالث ) : يستفاد من الآية المباركة  
 ان الفاحشة التي توجب العضل لا بد  
 وان تكون معلومة وثابتة ؛  
 ٤٠٥ ( الرابع ) : تدل الآية الكريمة على  
 ان ما يجهله الانسان اكثر مما يعلمه .  
 ( الخامس ) : يستفاد من الآية  
 المباركة حرمة الاخذ من صدق  
 النساء الا بطيب انفسهن ؛  
 ( السادس ) : تدل الآية الشريفة  
 على اهمية الامرة ولا بد من تشكيلها  
 بعد الانفصام .

( السابع ) : استفاد من الآية الكريمة الاسلوب البليغ في ارجاع الانسان الى ضميره وتحكيمه .	( التاسع ) : تدل الآية الشريفة على ان المرأة هي التي تأخذ الميثاق والوجه في ذلك .
٤٠٦ ( الثامن ) : تدل الآية المباركة على ان لا تحديده للمهر .	٤٠٧ بحث روائي يتعلق بالآية الكريمة .

وافقت وزارة الاعلام على طبعه

رقم الاجازة ٣٣٩ تاريخها ٢١ / ٢ / ١٩٨٩

رقم الايداع في المكتبة الوطنية بغداد ٩٨٩ لسنة ١٩٨٩

سعر النسخة ٧ دنانير / عدد النسخ المطبوعة ٢٠٠٠

مطبعة الاداب - النجف الاشرف - حي عدن